أنور السادات





صفحات مجهولة

كتب للجميع

العدد ٨٤

١٠

عدد ممتاز



تصدر عن

دار التحرير للطبع والنشر

المطبعة العالمية - ١٦ شارع ضريح سعد بالقاهرة

مقدمة بقلم

الرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب القائمقام انور السادات ، وساءلت نفسى عما دفعنى لهذا الاعجاب به ، فجاءنى الرد المنطقى فورا، انه مضمونه المتحلى بسلامة الاسلوب ، وقوة التعبير ، وطابع البساطة فى سرد الحوادث ، وعرض المواقف ، فى الوقت الذى أرى فيه المؤلف قد تجنب الحديث عن نفسه . فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته ، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبرى ، بل قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره وسمعه ، فجاء كتابه مجموعة لصور حية ، جمعتها ريشة رسام ماهر ، وصورتها فى صورة واحدة، ابرزت من مجموعها حقائق وأسانيد، تتيح لنا دراسة احوال مصر المعاصرة عن كثب .

ان شخصية أنور السادات ، لجديرة بالاعجاب ، خليقة بالاطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة ، وشجاعته ، ورباطة جاشه ، واخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا ، الى جانب قوة أرادته ، وتنزهه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للعدالة والانصاف ، كل هذه الصفات جعلته أهلا للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والسير بها قدما فى سبيل النجاح .

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا فى جميع أدوار حياته، كما أحسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فنجده قد سجن فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بامر العدو المستعمر ، ثم

اعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشـاطه الوطنى ، ولكم تحمل من الوان الحرمان والتعـذيب ، فلم تهن عزيمتـه ، ولم تتزعزع عقيدته ، لا ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخا وايمانا، ولا غرو ، فعلى قـدر أهل العزم تؤتى العزائم ، فـكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير ، والتفكير مليا ، حتى رجع بتمعنه وتأملاته الى آلاف السنين الخوالى ، وطالع ما كان خلالها من مطـامع العـالم التى شخصت وتجمعت حول هـذا البلد الطاهر ، فظل الشعب المصرى الابى الـكريم رازحا تحت نير الإسـتعباد ، ردحا طويلا من الزمان ، متخلفا بذلك عن تقـدم سائر البلدان ، فما كاد يفر من معتقله ، حتى صار رمزا حيـا للمطالبة بالحرية ، ومعبرا صادقا للشـعور الجامح الذى سرى فى شـعب وادى النيل أجمع ، من البحر الابيض المتوسط حتى اعالى خط الاستواء ، مطالبا بالتحرر من الظلم والاسـتعباد والطغيان .

ها هو ذا يـكافح بهمة لاتعرف الـكلل فى سـبيل المثل العليا ، فى الوقت الذى نرى فيه الجموع العالمية ، تطالب أيضا بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولا جدوى فى انكار مطالبها .

لقد عمل الضباط الأحرار جاهدين ، من أجل اذكاء الحماسة فى القلوب التى ابتأست، واشعال الجذوة فى النفوس التى اتقدت، حتى يستطيع الشعب الكريم ، مجابهة عدوه اللدود الممثل فى ثلاث ((الملـكية . الاقطاع والاستعمار))

كان النظام الملـكى الرجعى المنوط بأسرة أجنبية ، حائلا دون تقدم البـلاد ، فكان أول لزام على الثورة ، ان تهدمه تمـاما وتقضى عليه ، لتفسح الطريق أمام نهضـة البـلاد ، ثم أصبح لزاما عليها بعد ذلك ان تقتلع جذور الفساد والمحسوبية والرشوة والرجعية والحزبية المغرضة البغيضـة ، حتى تطهر البلاد من الأدران ، واخـيرا وليس بآخرا كان لزاما على الثورة أن تعبىء

الشعور العام ، وتدرب الجموع المتكتلة الحاقدة على عـدوها الغاصب لمجابهة ذلك العدو بكل ثقة واطمئنان ... وقد كان .

وكم من مرة تأرجحت سفينة الثورة ، فى ذلك اليم المتلاطم الأمواج ، اذ لم يكن من اليسير مقاومة قوى الانحلال الهدامة ، وما اليها من تقاعس وتهاون وخيانة . كان الكفاح طويلا مريرا، ولـكن المثابرة لم تذهب سدى ، فظلت السـفينة ثابتة عاتية تتكسر الامواج على دروعها القوية الواحدة تلو الاخرى ،ومضت السفينة تشق طريقهـا قدما ، فقامت مصر الحـديثة ، مصر الجمهورية الفتية .

والآن ، وقد استرد الشعب عزته، واستعاد حريته ،وأصبح يشعر بكرامته ، ويدرك حق الادراك مصالحه العليا ، المؤسسة على التحرر من الاستعمار والمساواة المدنية والسياسية ، نجد أن الفوارق الاجتماعية التى كانت شاسعة البين ، قد انهارت فاسحة الطريق أمام القيم الأخلاقية التي تقدمتها،وقدتضافرت فيها الجهود ، وتوجهت بعزيمة لاتعرف الـكلل الى الاعمـال الناهضة الانشائية ، فالشـعار الصريح الواضح لعهدنا الجديد هو التعاون التام للعمل والانتاج .

لقد تسلمت الثورة القيم الوطنية وديعة بين يديها ،وستسير بالشعب المصري قدما ، فى طريق الانشاء والتعمير ، المحـاط بجو الهـدوء والإستقرار ، وسـتتقدم بالأمة فى سبيل الرقى والازدهار .

شاهدت مصر فى خلال السنوات العشرين الاخيرة ، احداثا بدت لاول وهلة ، متشعبة الاطراف ، متعذرة الفهم والادراك ، فاذا ماحققنا فيها النظر عن كثب ، لراعنــا مافيها من خيوط مرتبطة بعضها ببعض ، تقودنا لنتيجة واضحة ، فروح السخط التى سادت الجيش من جراء فســاد الحكم ، والتالم المرير

الذي شعر به المصريون أثر احتلال ارض الوطن وعزوف المسئولين عن اجراء اصلاحات اساسية واجبة ، وحرب فلسطين ، الى غير ذلك ... فاذا ما اقتفينا اثر هذه الخيوط لتكشف امامنا منطق واضح سليم ، ادى بنا للنتييجة الحتمية التى حدثت ، وجعلت ماكان يبدو غامضا فى بادىء الأمر ، واضحا جليا فى نهايته .

لقد حلل المؤلف فى كتابه الشخصيات والاحداث تحليلا دقيقا ، مما جعل الكتاب مرجعا قيما يعتد به ، حاولت جاهدا ان أوضح مضمونه وان ألخص فصوله المتعددة ، فلم أجد خير من هذه الجملة المختصرة

((انه ولا شك لمن خلاصة البواعث الخفية ، والاسباب السيكولوجيية ، لثورتنا السلمية))

وقف الكتاب قرب منتصف عام ١٩٥٢ ، سنة التحرير والبعث ، التى سجلت احداثا خطيرة لبلادنا ، اذا ما استعدنا ذكراها ، لرأينا عهدا بائدا تغرب شمسه ، وعهدا جديدا ناهضا تشرق أنواره .

شكرا للمؤلف فقد أتاح لنا ان نرى فى الحاضر المزدهر الخصيب ، ما يبشر بالمستقبل الباسم الزاهر .

جمال عبد الناصر



« القائمقام أنور السادات »

مفاجأة مع الفجر

- ذهب الملك .. تحيا القيادة !
- أسلحة جديدة لتضليل الشعب .
- هل هم من جماعة الإخوان ؟
- اثنا عشر ملكاً بدلاً من فاروق .
- الاتحاد دائماً سياسة سادة الموقف
- الثورة الرشيدة لا تقبل وصاية من أحد

ان أحدا لم يكن يتوقع شيئا عندما نام ليلته فى نهاية اليوم الثانى والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ، فلما أصبح الصباح كان الناس فى شبه ذهول. فقد توالت الاحداث منذ الفجر على صورة لم يألفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوف بخياله ، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله ، فى ظلمة الايام وسواد الليالى ، طيلة اشهر ستة ثقيلة مرة ...

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته ، ينتكس فجأة يوم ٢٦ يناير ... ورأى مدينته العزيزة تشتعل بالنار التى انطفأت فى اليوم نفسه من معسكرات أعدائه ... ورأى أبناءه الذين ذهبوا يذودون عن شرفه وحريته ، يعودون الى المدينة مكبلين بالاغلال ، ليقضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل ... ثم رأى نفسه ، وقد أصبح فى نظر الحاكمين خطرا داهما على أرضه ، ووطنه ومدينته ، فألزموه البيت كلما جاء المساء ، عقابا له على انطلاق آماله ، والزاما له بالتكفير عن خطاياه ...

ورأى الاشاعات والمخاوف تملأ الجو من حوله ، حلقات الخيانة والدسائس تحيط بحياته ، وخمسا من الوزارات تتابع على مقاعد حكمه العرفى ، لم يعرف لماذا اتت ، ولا لماذا ذهبت ولكنه لعنها جميعا فى سره وفى علنه ... وما كان يملك غير هذه اللعنات ، وقد سلب القدرة على العمل ، وسدت فى وجهه منافذ الآمال ...

وفجأة ، وبدون أية مقدمات ، تحرك الجيش وتوالت الاحداث

وفى صباح ٢٣ يوليو ، كان الناس بين مصدق ومكذب .. كانت الفرحة تشملهم ، ولكنها فرحة تشوبها المخاوف ، وتنتابها الظنون والتكهنات لان البيان الذى طلع عليهم لم يشف نفوسهم ، ولم يضىء أمامهم كل المصابيح

وجاء الاصدقاء الى القيادة ، ونفوسهم تحترق على مصيرنا ، اذا نحن لم نجهز على الملك ، واذا نحن حصرنا هذه الضربة فى نطاق الجيش وحده ، كما فهموا من البيان ...

واخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت اليه البلاد من فوضى سياسية وخلقية ومعنوية ... ويطالبوننا بالعمل الكبير الحاسم قبل ان تضيع الفرصة ، وتفلت الآمال ...

وكان هؤلاء جميعا أصدقاء .. مجرد أصدقاء شبانا مخلصين ... ولم يكن بينهم واحد فقط من رجال السياسية وقتذاك ..

ومضى يوم ٢٣

ومضى يوم ٢٤

ومضى يوم ٢٥

مرت هذه الايام الثلاثة ، ولم نسمع فيها كلمة من سياسى واحد ، ولم نر فيها وجها لسياسى واحد ...

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم ، واعتصموا بالصمت والحذر ، فلم يتحرك منهم الا أولئك النفر الذين ظنوا أن الملك باق على عرشه ، فهرعوا يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات ... يوم ٢٤

وجاء يوم ٢٦

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ، وكان قد عرف فى دوائر السياسة أن فاروق قد وقع التنازل وانه بسبيل مغادرة البلاد فى الساعة السادسة ، حتى وقعت المعجزة ...

وكانت المعجزة ، هى خروج السياسيين من جحورهم ، وتقاطرهم علينا

وفود ، وفود من السياسيين ، من جميع الالوان والمذاهب والاتجاهات، تطرق أبوابنا فى مقر القيادة بثكنات مصطفى باشا ، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ...

جاءوا الينا جميعا ، حتى أولئك الذين قيدوا أسماءهم قبل الامس ... ولاء واخلاصا فى سجل تشريفات الملك ...

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك ...

فمنذ الصباح فى يوم ٢٧ ، بدأت كل هيئة سياسية ، بل بدأ كل سياسى فى هذا البلد ، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل ...

لا شىء قد تغير ، فى نظر السياسيين والهيئات السياسية .

لا شىء ، الا اختفاء شخص الملك ، وظهور أشخاص رجال القيادة ...

كان لسانهم الناطق يقول : ذهب الملك تحيا القيادة !!

وهذا التغير الشكلى ، قد يستتبع تغييرا فى الاساليب ، وتجديدا فى أسلحة السياسة ، ولكنه لا يستتبع أبدا ، تغييرا فى الهدف ... الهدف الرئيسى لاحتراف السياسة منذ وجد فى مصر محترفوها ...

ومثلما خاض السياسيون المعارك تحت أقدام فاروق فى سبيل الوصول الى أسلاب الحكم ومغانمه بدأوا منذ اللحظة الاولى لطرده يخوضون معركة جديدة ، يقتسمون فيها هذه الاسلاب والمغانم ...

وكان لا بد أن يختار كل منهم سلاحا جديداً يناسب لون المعركة الجديدة .. وكان لا بد أن يكون السلاح براقا امام أسلحتهم القديمة ...

وكان هذا البريق ، هو المنطق المعقول الذى يحاولون الدخول به الى الاذهان . فاذا ما انفتحت عقول الناس لهم ، أكملوا القصة بأكاذيب وأراجيف تعودوا صياغتها ، لكى يصلوا الى ما يبتغون

وكانت عقول الناس فعلا ، مهيأة لقبول اى منطق معقول ..

وقد رأى الناس اشياء لم يستطيعوا فهمها ، وسمعوا عن أسماء لا يعرفون عن اكثر اصحابها شيئا ، وترددت فى آذانهم اشاعات لا يستطيعون تكذيبها لان الحقائق لا تزال مستورة عن عيونهم .

كان الناس يريدون أن يعرفوا من أمر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين يقودونها كل شيء

كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف اجتمعنا ومتى اجتمعنا وكيف اعددنا خطتنا وما هى تفاصيل هذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننتوى ... وهل لدينا مشروعات معدة وماذا يدور فى رءوسنا وماذا سوف نصنع .. وكيف نجحنا ... ؟

هل من ورائنا قوة معينة ... وما هى هذه القوة .. ؟

هل فى صدورنا اتجاه معين .. وما هو هذا الاتجاه .. ؟

اسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يكونوا يجدوا لها جوابا منا .. ولكن .. كانت الاشاعات تجيب ..!

وانطلقت أول اشاعة تقول ان هذه الثورة ، ثورة اخوانية يقودها ويوجهها من وراء الستار الاخوان المسلمون

وكانت هذه الاشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها ...

فقد كان أول اجراء اتخذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم فى ازالة آثار الماضى البغيض ، ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل ، هو الامر

الذى صدر باعادة التحقيق فى قضية مقتل المرحوم حسن البنـــا ، مرشد الاخوان المسلمين ...

ولم يقل الناس أن هذا مصرى قد قتـــل بليل ، وأحاطت بالتحقيق فى مقتله ، ظروف مريبة ، واتخذت فيه اجراءات شاذة ... ثم طوى على سر دفين ، وقاتل مجهول .. لم يقل النــــاس هذا ولم يقولوا ان من حقهـم كمصريين أن يعاد التحقيق فى هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخذ جناتهـــا بالقصاص ...

ولكن قالوا ، ان خلف الثورة ، جماعة الاخوان المسلمين ..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير ...

ان كانت هناك صلة بين هذه الثورة ، وبين الاخوان المسلمين ... فمتى بدأت !

والى أى مدى وصلت ؟

وماذا كانت أهدافها ؟

وماذا أنتجت ؟

وهل استمرت ، أم انقطعت ؟

وفى جملة واحدة

ماهى قصة الثورة مع الاخوان المسلمين ؟

سؤال واحد ، يعود بالذاكرة الى اثنى عشر عاما قبل ظهور هذه الثورة .. الى عام ١٩٤٠ عندما بدأت قصتنا مع الاخوان

وهذه القصة لا يعرفها المصريون ، ولا يعرفها جمهرة الاخوان ولا يعرفها العدد الاكبر من رجال قيادة الاخوان . وكل ما يعرفه المصريون هو ماذاع من اشاعات بعد ذلك بأيام .

ومع ذلك ... فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر ، ومن اشاعات .. ومن محاولات ...

فقد كان هناك الوفد أيضا ...

وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفهـــا المصريون .... ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم .

فالناس لا يعرفون ان اتصالنا بالوفد قد بدأ قبـــل ظهور الثورة بزمن

طويل .. ولا يعرفون أننا فى وقت من الاوقات قد وضعنا خطتنا على أساس ان نأتى بالوفد ونفرضه فرضا على فاروق ، كشرارة أولى للثورة ، ثم نكمل نحن التنفيذ الخطر

لايعرف الناس شيئا من كل هذا ، ولا يعرفون كيف تخاذل الوفد عن القيام بدوره فى هذه الخطة ، ولا لماذا . . .

ولكن هذا كله يعرفه بعض زعماء الوفد .. الذين حاولوا بعد يوم ٢٧ يوليو أن يفرضوا وصايتهم علـى الثورة . . . وأن يمهدوا لهذه الوصاية بسيل كبير من الاشاعات والروايات ، والمظاهر . . وأن يحاولوا خلق امر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها ثوبا لم تفكر فيه يوما من الايام !!

وقد بدأ هذا بمجرد عودة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين من الخارج فى الاسبوع الذى تلا طرد فاروق .





عاد الرجلان .. فعاد النشاط الى أقصاه فى صفوف الوفد

الاجتماعات المتتالية تعقد . . .

ومندوبو الصحف يسهرون الليالى فى دار الزعامة . . .

واعمدة الصحف تمتلىء كل يوم بالاخبار والاسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التى يتخذها رجال الوفد . . !

وعاد الشباب الوفدى فورا .. يملأ ردهات النادى السعدى ، وعاد الهمس وعادت الهتافات وسارت الاشاعات ، تشكل الوزارة ، وتملأ المناصب الهامة فى الدولة ، وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الاحداث الخطيرة المقبلة .

وسمع الناس أيضا هذه الاشاعات . . ثم لم يسأل احد منهم نفسه سؤالا واحدا ، يستطيع أن يقضى عليها . . .

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوربا عقب الثورة مباشرة ؟ !

ايمكن ان يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا الى اوربا ابان اعنف الازمات السياسية التى وقعت فى تاريخ مصر . . . وخلال أحلك الليالى التى مرت بشعب مصر ، منذ احترقت القاهرة ، واضطربت كل موازين الحكم فيها ، أيمكن ان يكون الرجلان قد سافرا الى اوربا ليفكرا هناك بهدوء فى امر هذا الشعب الذى يزعمان زعامته ، وهذا البلد الذى حطمه الخراب والطغيان

لماذا يتركان البلاد فى محنتها ، فلا يعودان اليها الا يوم يترامى الى اسماعهما حديث الثورة ، فينبه فيهما شهوة جائعة الى الغنيمة ، وقد ظنا انها اصبحت سهلة بلا حواس ؟ ! .

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر احد ممن سمعوا اشاعات الوفد تنطلق فى كل يوم . . .

وبينما كان الناس فى دوامة الاشاعات كان سراج الدين يعد خطة الاستيلاء على الغنيمة . . .

وكانت خطة الوفد فذة فى نوعها . . .

فقد بلغ النشاط الوفدى اقصاه ، وملأت الاشاعات جميع الأذان ، اشاعات ان الوفد قد سيطر على الموقف تماما ، وان قادة الثورة قد أيقنوا انه لاسبيل لهم الى تحقيق اى هدف من اهداف الثورة ، الا اذا احتضن الوفد هذه الاهداف . . .

وكانت عودة النحاس وسراج الدين من الخارج عقب الثورة مباشرة والزيارة التى قام بها النحاس الى الرئيس فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، من الدعائم القوية التى استندت اليها هذه الاشاعات لتصل الى الناس فى صورة الحقائق الثابتة المقررة . . .

ولم يبق أمام الوفد الا ان يقنعنا نحن أيضا بصحة هذه الاشاعات التى اطلقها . . عنا !

كان الوفد فى هذه المرة يسير وفق خطة على درجة طيبة من الاحكام . .

فكان ما نسمعه من فؤاد سراج الدين هو نفس ما نسمعه من الشباب الوفدى جميعا على اختلاف ثقافتهم وألوانهم ...

وكان الهدف من هذا النشاط والهتافات والإشاعات والتحركات ، هو اشعار البلد أولا بأن الوفد يضع خطة المستقبل بوصفه حزب الاغلبية الذى يمثل الشعب وبوصفه القوة الحقيقية التى تستطيع هذه الثورة أن ترتكز عليها ، ولا تستطيع ان تعمل شيئا بدونها ...

كان الوفد يريد ان يجعل من هذه الدعوى امرا واقعا ، لكى يتسلل الينا بعد ذلك ، ويواجهنا بهذا الامر الواقع : ان القاعدة الشعبية الوحيدة فى البلاد ، هى قاعدة الوفد ، واننا لانستطيع ان نعمل دون الارتكاز عليها !..

وفى صباح يوم من أيام اغسطس ١٩٥٢ ، اى بعد الثورة باسبوعين تقريبا ، أيقظونى من نومى فى منزلى لكى أقابل ضيفين يطلبان مقابلتى لأمر خطير ..

فدخلت غرفة الاستقبال ، فوجدت زميلين من زملاء المعتقل ...

وكان طبيعيا ان نتذاكر شيئا عن الماضى الذى جمعنا فى معتقل واحد فى عهود الظلم والارهاب ...

ولكننى أحسست انهما قد أعدا حديثهما ، ورتباه ونمقاه ، بحيث يلقى كل منهما حلقة من حلقات الحديث فيتبعها زميله بحلقة أخرى ، تكملها فى نفس الاتجاه وفى صورة الكلام العرضى الذى يجلب بعضه بعضا دون تحضير !

ودخلا فى الموضوع .

قال احدهما :

ـ انت تعلم طبعا تماما ان هذه الثورة ليست ثورة الجيش ، وانما هى ثورة الشعب .. وكل مصرى حريص اشد الحرص على أن تصل هذه الثورة الى أهدافها كاملة ، فنحن بهذا مسئولون جميعا مسئولية متساوية **نحو الثورة ..**

امنت طبعا على هذا الدخول .. فاستطرد الضيف الوفدى نحو هدفه :

ـ ان الكتلة الشعبية لاتتمثل فى اية هيئة او حزب فى هذا البلد ، الا فى الوفد ... والوفد هو التنظيم الوحيد الذى يستطيع ان يساند هذه الثورة لانه هو الذى مهد لها بل هو الذى بدأها فعلا ...

واوشك زميله ان يتم الكلام . . لولا انى استوقفته لحظة أسأله فيها ، كيف بدأ الوفد هذه الثورة ، وكيف مهد لها . . ؟ فقد تكون معلوماتي عن قصة الثورة وقصة الوفد معلومات ناقصة . . . .

قال الضيف الثانى :

ـ ألا تعلم أن هجوم الوفد فى الفترة الاخيرة على فاروق هو الذى شجع الجيش على أن يضرب ضربته . . ؟ وألا تعلم أن الوفد فى الفترة الاخيرة كان يعد العدة لاعلان الجمهورية . . . ؟ وألا تعلم انه كان متصلا بكم فعلا فى الجيش ؟!

وقبل ان احاول الاجابة . . سألنى ضيفى فى حماس . .

ـ كيف تؤيدون على ماهر الحكم ، وهو الرجل الذى لايستند الى الشعب ولا الى أى حزب من الاحزاب ؟ !

واكمل صديقه قائلا :

ـ ان على ماهر رجل عاش طول حياته يدبر المؤامرات ، وانه فى سبيل احقاده وكراهيته لبقية الاحزاب سينحرف بالسلطة وسيستغل هذه الثورة لنفسه ، ولن يظفر بايمان الشعب به فى يوم من الايام . . .

وكنت ساكتا ، لأعطى الفرصة للضيفين العزيزين ، فأكمل الثانى :

ـ أن هذه الثورة لن تستطيع أن تسير أو تحقق شيئاً مالم تستند الى أكبر قوة سياسية فى البلد وهى الوفد . . ثم أن سراج الدين على أتم الاستعداد التعاون معكم فى كل شيء . . وأنت تعرف أنه كان ـ وهو وزيرا للداخلية ـ يوعز لنا نحن الشباب الوفدى بالمظاهرات التى تهتف بسقوط فاروق ، فى نفس الوقت الذى كان فيه يتظاهر بالولاء للملك . . وتعرف أيضاً أنه هو الذى كان يقود معركة القنال لولا أن الملك حرق القاهرة ، لانه تبين ما يدبره له سراج الدين . . !

ولم أكن انا اسمع هذا الكلام لاول مرة فقد كان هذا الكلام شائعا فى البلاد ، وكان بعض الناس قد بدأ يؤمن به فعلا . ولكنى كنت انتظر النتيجة التى يريد الضيفان ان يصلا اليها

ولم تطل الجلسة أكثر من ساعة ونصف . . ولم تزد طلبات الصديقين عن طلب واحد فقط هو ان تتم مقابلة بيني وبين فؤاد سراج الدين نتفاهم

ولم يكن هناك مايمنع من هذه المقابلة .. وقد تمت فعلا .. فقابلت سراج الدين ، وقابل هو غيرى أيضا من الزملاء ...

وكانت مقابلات مثيرة .. رأينا فيها أمورا كثيرة على حقيقتها وفهمنا ما اراده الوفد بنا وبالثورة وبالبلاد كلها ...

وأكملنا بها قصة الوفد ...

ولكن الناس لايزالون يجهلونها ... بل يجهلها الوفديون انفسهم ...

وكل الذى عرفه الناس فى فجر هذه الثورة ، هو ما أشاعه الوفديون من أنهم « أسياد الموقف ، شاءت الثورة أم لم تشأ ! » وما دعموا به اشاعاتهم من قصص كثيرة وروايات محبوكة عن قيام الثورة بالاتفاق مع الوفد .. وعن مستقبل الثورة الموضوع بين ايدى رجال الوفد !

كانت اسطوانة واحدة ، يرددها سراج الدين كما رددها الضيفان اللذان اشرت اليهما ، وكما رددها كل من لهم بالوفد صلة من الصلات ...

وكنا نسمع هذا الحديث فلا نأبه به ، ونكتفى بالابتسام ... فقد كنا نرى أمام أعيننا مأساة خلقية من مآسى العهد الماضى ، تريد أن تتخذ لها مسرحا جديدا نشترك نحن فى بنائه واخراج مسرحياته ..

وكنا نبتسم أيضا ، لان هؤلاء الذين كانوا يخاطبون الشعب بوصفهم « أسياد الموقف . شاءت الثورة أم لم تشأ » كانوا يتحدثون الينا بلهجة أخرى ، بنفس اللهجة التى كانوا يتحدثون بها الى فاروق .. وكانوايهدفون من وراء هذه اللهجة الى هدف واحد ، هو نفس هدفهم فى أيام فاروق : الحكم ..

وكانوا فى الوقت نفسه يعتقدون أنهم مناورون بارعون ، أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها

وبدأ الوفد يفصح عن نفسه أكثر أو بدأ يفضح نواياه بنفسه ... بصورة ظاهرة .

بدأ بلوح لنا بسلطات فاروق وأبهته وصولجانه وهى سلطات تكفى اذا وزعت على اثنى عشر رجلا ، أن تجعل منهم اثنى عشر ملكا لا ينقص أحدهم شىء من مظاهر الملك وسطوته ..

— واتركوا لنا بعد ذلك سياسة الحكم ، وكل مسئولية ..

ثم أردف فى اغراء واضح :

ـ ونحن على أتم استعداد لتنفيذ كل ماتشيرون به

وظلت هذه الجملة تتردد فى أذنى وقتا طويلا . . .

انها نفس الكلمة التى كانت تقال لفاروق من كل رجل يأتى به ليحكم البلاد باسم الشعب .

انها الدستور الفعلى الذى جرى عليه حكم مصر ، منذ وجد فيها دستور وبرلمان . . فقد كان دستور الشعب صفحات من الورق ، تغطى بها النواحى الشكلية للحكم « الديمقراطى !! » فى البلاد . . . أما الدستور القائم المعمول به ، فقد كان دستور « الانحناء » كان الدستور يتلخص فى هذه الجملة الفذة « ونحن على أتم استعداد لتنفيذ كل ماتشيرون به !! »

وهذا هو الدستور الذى أراده الوفد لهذه الثورة أيضا . . !

هل تغير شىء فى نظر السياسيين ؟!

هل ثار الجيش من أجل هذا الشعب ؟!

هل ثار هذا الشعب من أجل حقوقه ورفاهيته ومستقبله ؟! .

أبدا . . لم يحدث اى تغيير . . . الا أن شخص فاروق قد غاب ، ليظهر فى مكانه أشخاص رجال القيادة . . . يقنعون بالمظهر البراق وصولجان الملك وسطوته . . ويتركون مسئولية الحكم لاسياد الموقف ، يسوسونه ، لا بما تشير به مصلحة هذا الشعب ، ولكن بما نشير به نحن . . أصحاب الصولجان الجديد

انها سياسة الوفاق التى بدأها سراج الدين مع فاروق ، اراد ان يضطلع بها معنا نحن أيضا .

ان رجال الوفد ، اسياد الموقف ، وأصحاب الاغلبية ، والمسيطرون على القاعدة الشعبية فى البلاد ، هم على أتم استعداد لان يفعلوا باسم الشعب كل ما نطلبه نحن منهم ، على الا نتحمل نحن اية مسئولية مباشرة ، وهم بهذه الصفات كلها كفيلون باقناع الشعب ، وتنفيذ رغباتنا . . نحن أصحاب الصولجان الجدد !!

انها سياسة « ذهب الملك تحيا القيادة ! » التى اعتقد السياسيون أنهم قادرون على طينا وفرض وصايتهم علينا . . والعودة الى استلاب مغانم الحكم . . الذى لم يكن يعنى فى نظرهم الا الاسلاب والمغانم . . .

كانت البلاد فى واد وكان السياسيون الذين تزعموها جيلا كاملا فى واد آخر سحيق ..

كانت البلاد تفكر فى أهدافها التى طال عليها انتظارها .. كانت تفكر فى الوسائل العملية التى تخلصها من آلامها الطويلة وشقائها الكثير .. من الاستعمار الجاثم فوق صدرها . من آثار الملكية البغيضة فى ربوعها وفى نفوس أبنائها من الاقطاع الذى يهدد كيانها .. ولكن الزعماء لم يكونوا يريدون أن يحسنوا بشىء من كل هذا كانوا يريدون أن يعودوا الى كتم أنفاس هذا الشعب وتكبيله بأغلال العبودية والفقر والمذلة ، ليظلوا مسيطرين على مصيره متحكمين فى ثروته ناهبين أرزاقه وخيرات ارضه ..

وكانت هذه الحقائق صدمة مروعة لنا نحن الذين اردنا فى يوم من الايام أن نفرض الوفد على فاروق كجزء من خطة كبيرة درسناها فى وقتها بامعان واحكام .. وعندما تخاذل الوفد عن تنفيذ دوره فى الخطة ، لم نحاول تفسير هذا التخاذل بأكثر من أنه .. خوف

ولكنه لم يكن خوفا ، وكان شيئا آخر سيظهر جليا عندما يقرأ القارىء قصتنا مع الوفد !

ان قصة الثورة ، قد اتصلت فى فصول منها بالاخوان المسلمين . واتصلت فى فصول منها بالوفد ..

وقال البعض ان الثورة قد اصبحت فى حضانة الوفد ...

وقلنا أنها ثورة مصرية لمصر ..

أما لماذا اتصلت بالوفد .. ولماذا اتصلت بالاخوان .. وكيف كانت هذه الاتصالات ، فهذا ما تتضمنه الفصول القادمة من هذا الكتاب .

فكرة العمر

- نار على جسد الشريف ...
- السلطان عبد الحميد فى منقباد ..
- أسود علينا عبيد للانجليز ...
- برقية من تشمبرلين
- رفضنا تسليم سلاحنا للانجليز ...
- انقلاب عسكرى فى مرسى مطروح ..

يظن كثير من الناس أن هذه الثورة ، دبرها تشكيل من الضباط أثر حادث معين جمعهم على هدف وتدبير ...

وفى أجواء الظنون ، تجد الاشاعات كثيرا من نقط الارتكاز . تجد النقطة الاولى فى حرب فلسطين . . بين أشلاء الضحايا وخيانات فاروق وعصابته . .

وتجد النقطة الثانيــــة ، فى تحقيقات الاسلحة الفاسدة وتدخل الملك لحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته . .

وتجد النقطة الثالثة ، فى تصرفات قيــادة الجيش وكبار ضباطه الذين وضعوا أنفسهم فى احــذية فاروق

ولقد كانت كل هذه الاحداث فعلا ، من الاحداث التى شغلت اهتمام الضباط الاحرار ، واستحثت خطاهم ولكن نشأة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من الاحداث ...

فقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ، ونمـــا التمهيد لها نموا طبيعيا لانها كانت فى كل مراحلها ، تفاعلا طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر وضمير شعب مصر . .

متى نشأت اذن ... وأين نشأت ؟ .

لنرجع الى الوراء ...

الى عـــام ١٩٣٨

ولنذهب الى منقبــاد ... !

فى هذه البيئة المصرية الخالصة ، حيث يشعر المصرى . بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه . .

وفى الشتاء . . حين يقسو الجو ، وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الاصدقاء ، يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها على عواء الرياح .

هنـــاك حول نار فى معسكر المناورات بتباب الشريف ، كنا نقضى طرفا من كل ليلة . . أصدقاء كلهم صغار السن ، صغار المناصب ، كبـــار الآمال وافرو الشباب ...

ضباط لم تزد رتبة احدنا عن الملازم ثان . . نتحرق طول النهار فى الجبل ، فكانما الجبل مرآة تعكس نار القلوب . . !

ــ وكانت فى القلوب نار ... نار تنطفىء لان وقودها يتجدد فى كل لحظة من احساساتنا الشابة المرهفة .. ومما يقع امام اعيننا كل يوم من الصباح الى المساء ...

كانت آمالنا الكبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الاحداث ..

فقد كنا ضباطا صغارا ...

وكان لنا قواد ....

وكان هناك أيضا ... انجليز .. !

وكان قوادنا المصريون لاعمل لهم الا اذلالنا .. والا الانحناء أمام الانجليز ...

وكنا نرى هذا الوضع الكريه ، فنحترق .. ونسخط .. ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم ...

وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسكرى وفى تلك الاوضاع الرهيبة الا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدفن النار فى حشاه ..

هكذا كانت أيامنا ...

ولكن ليالينا كانت تختلف اختلافا كبيرا .

ففى جو من الصداقة والالفة ، كنا نجلس فنمزح ، ونذيب فى هذا المرح ، شقاء اليوم الطويل .. شقاء الجسد ، وشقاء النفس وشقاء الغربة فى جبل بعيد ...

ولا ندرى لماذا كان يتوسطنا دائما شاب رقيق وديع ، عامر النفس بالصفا لم يكبرنا سنا ، ولا رتبة ... فقد كنا جميعا أبناء « دفعة » !

ولكنه كان الملتقى الذى جمع صداقتنا جميعا ... كنا نمرح ، فنضحك عاليا ، ونسخر من كل شىء .. و لاترحم السنتنا أحدا .. وأحيانا نغنى .!

وكان يصنع كل ما نصنع ، ولكنه كان مع ذلك أيضا ، يفكر ... يفكر بقلبه ، ويفكر بوعيه .. ولا نكاد ننطلق فى المرح ، حتى نجد موضوعا هادئا .. يثيره بيننا جمال عبد الناصر ..

وربما كان موضوعا شخصيا ، وربما كان موضوعا عاما .. وربما كان ذكريات عابرة تمر به من حياته ، فلا يلبث أن يستنبط منها فكرة أو رأيا ، يثير بيننا مناقشة طويلة ... هادئة ...

وكان جمال يطوى نفسه على كثير من الآلام الشخصية .. آلام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير ، فأثرت وفاتها فى حياته تأثيرا كبيرا . .

لعل من أظهر عناصره شدة الحياء التى طبعت حياته حتى اليوم ...

وكان الى حيائه وهدوئه ، يمثل الشخصية الكاملة لابناء الصعيد . . فهو يكيف الحياة بمثله « الصعيدية » الخاصة ، فتجده وديعا رقيقا ملىء الصدر بالحنين ، اذا لمست نفسه لمسة عاطفية قد لا تحرك أحدا من الناس .. ولكنه ينقلب أسدا هصورا ، فى اللحظة التى يشعر فيها بأن احدا ، فكر مجرد تفكير فى الاعتداء عليه ...

كان هذا الصديق بيننا ، صورة حلوة للاخاء ، والصداقة والاتزان ، والهدوء والكرامة .. فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعا فكأنه فى سكونه وهدوئه وطابعه الخاص ، معنى مجسم حى ، لكل المعانى والانفعالات التى يمكن استخلاصها ، من تفاعل العواطف الانسانية المتضاربة ، فى انسان .. قست عليه الحياة ...

وهكذا .. وحول هذا الرجل ، التأمت مجموعة من الضباط الصغار الاصدقاء ... لم يكن أحد يدرى انها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأكبر ، وان اجتماعها فى تلك التباب البعيدة لن يكون مجرد صدفة تمر . ويتشتت من بعدها شمل الاصدقاء وانما سيكون البدء الحقيقى لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير

وان كنا قد أخذنا حياة قوادنا الكبار فى ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فى ساعات المرح فقد جاء اليوم الذى لم تعد فيه السخرية تغنى عن آلامنا شيئا ..

فقد ألقى علينا القدر بقائد جديد للمنطقة لم يكد يصل اليها حتى شعرنا بأن الذى وصل غاز من غزاة الترك !

كان يرى نفسه بيننا مثلما يرى السلطان عبد الحميد نفسه بين معالم اسطنبول الآمر الناهى الفظ الذى لا يناقش ...

وأصبحت الحياة كريهة منذ اللحظة التى وصل فيها اللواء محمود سيف الى منقباد .

كان هذا هو اسمه .. ولكننا كنا نسميه السلطان عبد الحميد .. لانه كان يفرض علينا تقاليد السلاطين .

وبدأنا نيأس من خدمة الجيش . وأعد بعضنا إستقالته فعلا من هـذا الجيش الذى يضم بين قواده .. السلطان عبد الحميد !

ولكننا نرى صبر جمـال فنعجب .. ونرى هدوءه وصموده لهذا الذل الطويل فتسكن نفوسنا ، فقـد كان جمال يعيش بأمل لم نحلم نحن به فى تلك الفترة السحيقة من حياتنا فى منقباد ...

واشتدت الصلات بين كل منا ، وبين المجموعة الكاملة .. حتى اصبح كل منا يفكر بعقلية الكل وأصبح من حق كل منا أن يتصرف باسم الجماعة واصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا ، لان كل عمل يأتيه فرد منها سينسب الى الجماعة شاءت أم لم تشأ .. علمت بالامر أم لم تعلم .. !

وانى لاذكر تلك الايام والليالى ، أذكر مرحنا وآلامنا وايام صـداقتنا الجميلة الاولى .. والسلطان عبد الحميد الذى اراد ان يذل رقابنا ، كما ذل رقبته لصغار الانجليز ، وراح يتجـول فى صورة شرسة مضحكة مبكية معا فى منقبـاد .

اذكر كل هذا ، واذكر اننا فى خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب .. بدأنا نفكر ذات ليلة ..

وقـال جمـال :

انهم الانجليز أصل بلائنا كله ..

وكانت مفتاح تفكير طويل ... لم يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة ...

كنا جميعا نعلم ان الانجليز هم اصل بلائنا كله .. وكنا جميعا نكره الانجليز ... ولكن هذه الكلمة قالها جمال ، وكأنه يحدد لنا رسـالة كبرى ، لاينبغى أن يتخلى عنها احد .

وشهدت تباب الشريف ، والنار الموقدة عليها عهدا مقدسا .. ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار .

لم يربطهم بعمل معين ،ولا بزمن محدد، ولكن ربطهم .. بفكرة الحياة

وبدأنا نجمع حولنا انصارا لفكرة الحياة ، كل منـا يختبر عـددا من الضباط الآخرين .. ويكون فى محيطه خلية صغيرة يشـير فيها هـذه الفكرة ، ويرى مدى استعـدادها للعمـل يوم يأتى وقت العمل ...

وبدأنا نخطو الخطوة الاولى فنحسب لها حسابا ونلقى الكلمة فنفكر قبل القائها مرتين ...

بدأنا ننزع من اعماقنا زهو الشباب ، ونحل فيها الشعور بالمسئولية والاقتصاد فى الامل

لقد قتل جمال فينا المرح ، وكنا فى شرخ الشباب ! !

وجاء الدرس الاول الذى افدناه بعد ذلك فاصبح درس حياتنا ...
فقد مرت ايام قليلة .. كنا فيها لانزال فى فترة تكويننا الأولى ...
واذا بالشىء الذى نسيناه جميعا يقع .. وكنا خليقين بتوقعه
فان ضابط الجيش لايستقر فى مكان واحد طويلا .. وان هى الا لحظة مفاجئة ، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا .. واحد فى الاسكندرية والثانى فى طنطا ، والثالث فى القاهرة ... والرابع فى مرسى مطروح ...

وكانت الحرب اذ ذاك قد بدات . والأعصاب توترت ورأينا حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة بزهرة أو تذوب فى شعاع الصباح

وافترقنا ...

ولكن الحلم لم يذب .... والفرقة لم تستطع ان تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى اقسى الظروف التى حلت بها

وفهمنا مع الأيام هذا الدرس وهو ان الصداقة القوية عند ما تقوم على نقاء وطهر وعندما تتركز ايضا حول فكرة فانها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الاصدقاء . بل هى اكثر من ذلك تستطيع، وحدها صنع المعجزات .

والذى وقع بعد تلك الايام ، هو الاثر القوى لهذه الصداقة النقية التى ربطتنا .. فقد فرقت بيننا الظروف كثيرا، وجمعت بيننا بعد ذلك كثيرا..

وكنا اذ نفترق لاتفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة ، وكل ما هنالك ان أحدنا كان يجد الفرصة للعمل ، فيعمل ... يعمل مستقلا بارادته فى ظاهر الامر ، ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا بارادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة .. وعهدها المقدس .

وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الاوقات كما اختفى اسم جمال عبد الناصر عامين كاملين ، بين ديسمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤١ . اذ كان فى هذه الفترة قد نقل الى السودان

ولكن الذى كان يبقى فى ميدان العمل .. كان يعمل .. يعمل بارادته ولكن باسم هذه الجماعة وفكرتها الاصيلة ويعمل بارادته ولكنه يرجع الى من يستطيع الرجوع اليه من جماعتنا .. فى كل فرصة تواتيه لذلك ...

ولم تعد الايام تمر هينة ولا رفيقة فقد بدأت أحداث كثيرة تقع ... بدأت بالحادث الاول عام ١٩٤٠ .. وكان ميدانه ميدان القتال فى مرسى مطروح

كنا قد نقلنا جميعا من منقباد . وتفرقت جماعتنا بين وحدات الجيش فى مختلف أنحاء البلاد .. وبين السودان العزيز ...

وقد كان السودان من نصيب جمال عبد الناصر فقد نقل من منقباد الى امبابة .. وبعد شهر واحد نقل الى العلمين ، وقضى هناك أربعة شهور ، ثم نقل مرة أخرى الى أبى زعبل ، ومنها الى السودان ...

وفى فترة تنقلات جمال جمع على الفكرة عددا آخر من الضباط ...

وكنا نحن أيضا نصنع مثل هذا ...

ولم نكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نعمل . لقد كان هدفنا أن نقوم بدورنا فى تخليص البلاد من جنود الانجليز ولم تكن الفرصة لذلك تسنح اثناء الحرب ، وقد سيطر الانجليز على كل مرفق من مرافقنا .. واحتلوا جميع قواعدنا وطرق مواصلاتنا ... بل لقد كنا نحارب الى جانبهم أيضا ...

وسنحت اول فرصة لنا فى مرسى مطروح .. ولكنها كانت فرصة مفاجئة لم نستطع أن نحقق منها هدفا كبيرا ... واستطاعت هى أن تكشف للانجليز عن وجود اتجاه عملى ضدهم فى جيش مصر ...

كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة .. فقد بدأت جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ..

وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات :

قطاعين بريين ، يحتلهما الجيش المصرى . وقطاع بحرى يدافع عنه الانجليز .. كنا نحارب .. رغم أن مصر لم تكن قد أعلنت الحرب .

وكانت سياط العذاب التى تلفعنا نحن الجنود والضباط ، تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الاحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد .

كان موقف مصر من هـذه الحـرب موقفـا مائعا ... ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة .

وكان من المؤكد أن هذا الموقف ان تحدد ، فلن تكون مصر هى التى تحدده على التأكيد ...

كانت سياسة مصر التي أعلنها رئيس حكومتها عنـد اعـلان الحرب هى سياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب »

ولم تكن مصر تستطيع ان ترسم لنفسها سياسة اوضح من هذه او اكثر جسما وتحديدا .. فقدكانت هناك المعاهدة .. وكانت جنودالاحتلال تملأ بلادنا ، وطائراتهم تجثم علي صدور مطاراتنا وتنطلق منها الى الميادين القريبة الحافلة بالموت ... ودباباتهم تختال في شوارعنا ومن فوقهـا جنود حمـر الوجوه ... ومخازن ذخيرتهم ترصـع ارجاء الوادى بالبـارود والقنابل وأسلحة الدمار ... وكانت أرضنا فوق ذلك حقـلا كبيرا يشرب حبـات العرق من جباه آبائنا واخوتنا ليخرجها قمحا للغاصبين ..

وكان موقفنا نحن ضـباط الجيش وجنوده ، هو الموقف الضـنك .. فسياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » لم يكن معناها اننا لن نحارب فعلا .. وكان الذى يشقينا هو ان نسأل أنفسنا : نحارب من اجل من ؟ !



فهل كانت سياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » تحمل هـذا المعنى واضحاوترسم خطته كاملةالى نهايتها !

لقدكانت تشير الى شيء ، أو ترنو الى امل .. وهذا الشيء وهذا الامل هو الذى فهمته مصر منها ..وفهمه الانجليز أيضا

فهمته مصر ، فحاولت ان تستبشر به وفهمه الانجليز فأبرق رئيس وزرائهم « تشمبرلين » الى سفير انجلترا « كيلرن » برقية قصيرة حاسمة :

اى : يجب ان تستقيل حكومة على ماهر ..

وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذى لايرد .. فاستقالت فعلا حكومة على ماهر ، لانها أشارت بسياستها الى شىء ورنت الى امل ، وفهم الانجليز الشىء والامل !

لم يكن امر مصر اذن فى يدها ، بل كان فى أيدى الانجليز ... وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه ، فلا يلبث ان يرتد الى الماضى .. الى الحرب العالمية الاولى التى سيقت فيها مواكب آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى أحشائها ، ويحملون الزوث ليدفنوا تحت اكوامه ، ويلعقون العرق ليوفروا كؤوس الشراب للانجليز !

ويجلب الماضى صور بعضه بعضا ، فلا يشير الى بارقة امل فى مستقبل البلاد تحت هذه الأوضاع ...



يجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشعب عام ١٩١٩ فأطفأها زعماؤه يوم وصلوا الى الحكم واصبحوا احزابا ... مطايا للانجليز ...

ويجلب صورة الثورة المجيدة التى اشعلها الشباب عام ١٩٣٥ ليجمع الاحزاب فى حزب واحد لمصر ، فاجتمعت الاحزاب فى حزب واحد ليوقع معاهدة الصداقة والتحالف مع الانجليز !

ويجلب صور شقاء كثير ! فقر ، وعرى ، وانقسامات وتضحيات ودماء .. يتحالف فوق انقاضها الزعماء والانجليز !

وما تغير الزعماء

ولا خرج الانجليز ...

ولكن قامت الحرب .. وبدأت بوادر شقاء جديد .

ماض كله حسرات ، ومستقبل كله مخاوف ، وحرب قائمة لا بد أن نصلاها ، حتى فى ظل « سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب »

وفجاة علمنا ان أوامر من قيادتناستصدر لنا .. وعلمنا هذهالاوامرأيضا

وكانت هذه الاوامر ، تقضى بأن تنسحب الفرقتان المصريتان اللتانتقومان بالدفاع فى القطاعين البريين لتحتلهما قوات بريطانية حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن المنطقة كلها .

والى هنا كانت الاوامر بسيطة يمكن قبولها ، ولكن الشق الاخير فيهاكان يقضى بأن نترك سلاحنا ، ونسلمه للقوات البريطانية التى ستحتل القطاعين

وهاج الضباط وماجوا ...

وتحرج الامر جدا ...

وصممنا على الا نترك سلاحنا . ولو اقتضى ذلك أن نموت عن آخرنا ..

وكنت أجد فى هذا الاجراء فرصة مناسبة ، لتجعل من « فكرة الحياة » حقيقة مجسمة ، يشارك فى حمل أعبائها الجيش كله ، والشعب كله أيضا

وكنت اعتقد أن أى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحياة مائة عام الى الامام ..

وبدأنا نضع خطة كان من زملائنا فيها البكباشى احمد حسن الملحق العسكرى الآن فى روما ، وجميع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشى بلا استثناء .

كانت قوتنا هناك قوة مختلطة ، تسمى « القوة الحقيقية » ... وكانت

تتكون من خلاصة الجيش المصرى ، تضم زهرة سلاح المدفعية وبقية الاسلحة الاخرى ..

فوضعنا خطتنا على اساس ان تعود هذه القوات ، فتحتل وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ، ثم تفرض حكومة على ماهر مرة أخرى ، بعد استقالته المعروفة المدوية ..



كنا اذ ذاك فى شهر سبتمبر ، وكان على ماهر قد استقال فى شهر يوليو . وكان الشعور القومى ضد الانجليز قد بلغ أقصى مداه فى البلاد ...

وصدرت الاوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك أسلحتنا .. فرفضنا ترك السلاح وتقدمنا الى القاهرة ...

ولاكثر من سبب تبين لنا ان تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينا .. فقد ادركنا على أساس تقدير الموقف ، اننا لن نستطيع ان ننجح فيها الى نهايتها ...

فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة .. واعتبرنا هذا نصرا كافيا لنا فى مرحلة جهادنا الاولى .

وعلى الرغم من كل الاحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة والتمهيدات التى كنا قد بدانا نقوم فعلا بها ، فان الانجليز لم يكتشفوا منها اى شىء .. ولكنهم فى الوقت نفسه ادركوا سيطرة روح العداء لهم على ضباط الجيش الصغار .. وايقنوا أن هذه الروح قد تلعب دورا اخطر من ذلك الدور فى يوم قريب

وبذانا نحن نكون هدفا لعيون الانجليز حيثما كنا .. فى القاهرة أو فى اى سلاح من أسلحة الجيش ننقل اليه ...

والكسب الاكبر الذى كسبناه من هذه الحادثة ، هوعودتنا الى القاهرة فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع أصـدقاء منقباد ... ماعدا جمال الذى كان لا يزال فى السودان ...

وفى القاهرة بدات اجتماعاتنا تتوالى وتتركز .. واخذنا نفكر فى شىء نقوم به على اساس من الدراسـة الكاملة ، وبحيث يكون توقيته الـكامل فى أيدينا نحن لا فى ايدى الظروف وحدها

وكان فى خيالنا رجلان .. نريد ان نتصل بهما ، وان نشركهما معنـا فىعملنا الـكبير ...

على ماهر .. صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية .



وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وهو الرجل الذى وقع اختيارنا عليه عندئذ ، لكى يقود ثورتنا .

وحاولنا أن نتصل بعلى ماهر ، فلم نستطع ...

وحاولنا أن نتصل بعزيز المصرى ، فاستطعنا ... ولكننا اتصلنا فى طريقنا اليه ... بالاخوان المسلمين أيضا .. !

صدفة ورجلان ..

- الرجل ذو العباءة الحمراء ...
- أجازة اجبارية لعزيز المصري .
- لواءات يخونون جيش مصر .
- اذهب الى هناك واقطع تذكرة ..
- اتهام عزيز المصري بمحاولة قتل نازلي ..
- فاروق ينام مع لندن بملابس السهرة !

الزمن : ليلة مولد الرسول من عام ١٩٤٠
والمكان : سلاح الاشارة فى المعادى

وكنت اذ ذاك ضابطا برتبة ملازم فى هذا السلاح ..

ومولد الرسول فى مصر ، موسم من مواسمها ، يعرف الاطفال فيه عرائس الحلوى ، والاحصنة الصغيرة الملونة يركبها فرسان العرب .. وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس النيابية ودوائر السياسة وقصور الاغنياء ، الحلوى الحمصية والسمسمية .. ثم .. لا شيء بعد ذلك .. !

وعلى هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة ، كما مرت بها دائما ... ولكنها لم تمر بى كذلك ، فقد كانت ، من حيث لا ادرى ، ليلة البدء لاحداث كثيرة متتابعة سمع المصريون اطرافا منها ، بعضها خافتا كالهمس ، وبعضها مدويا .. كالقنابل والمتفجرات !

كنا جلوسا فى احدى غرف السلاح ، نتناول العشاء ونتكلم ...

وكان جنود هذا السلاح ، وأغلبهم بطبيعة عملهم فى سلاح الاشارة فنيون متطوعون قد اعتادوا منى كثيرا ان احاضرهم واعتادوا منى دائما ان أتناول طعامى معهم ، وأن أحدثهم بصراحة وأن يحدثونى بمثلها .

كنا فى اثناء استراحتنا وطعامنا ، اخوانا مصريين لا ضابطا وجنودا ..

ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء فى ليلة مولد النبى جندى من جنود السلاح الفنيين ، لم يكن موجودا بيننا منذ بدء هذه الجلسة ، وقدم الينا صديقا له يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر منه شيئا كثيرا ..

لم أكن أعرف هذا الرجل الى ذلك اليوم ، ولم يثر دخوله ولا ملبسه اهتمامى ، ولم يلفت نظرى .. وكل ما هنالك أنى صافحته ورحبت به ، ودعوته الى تناول العشاء معنا ، فجلس وتناول العشاء ...

وفرغنا من الطعام ، ولم أعرف عن الضيف شيئا الا بشاشة فى وجهه ورقة فى حديثه وتواضعا فى مظهره .

ولكنى عرفت بعد ذلك عنه شيئا كثيرا ...

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثا طويلا عن ذكرى مولد الرسول .. كان هو اللقاء الحقيقى الاول بينى وبين هذه الذكرى ...

كان فى سمات هذا الرجل ، كثير مما يتسم به رجال الدين : عباءته ، ولحيته ، وتناوله شيئا من الدين بالحديث ...

فليس حديثه هو وعظ المتدينين .

ليس الكلام المرتب ، ولا العبارات المنمقة ، ولا الحشو الكثير ولا الاستشهاد المطروق ، ولا التزمت فى الفكرة ، ولا ادعاء العمق ، ولا ضحالة الهدف ، ولا احالة الى التواريخ والسير والاخبار . !



المرحوم حسن البنا

كان حديثه شيئا جديدا ...

كان حديث رجل يدخل الى موضوعه من زوايا بسيطة ويتجه الى هدفه من طريق واضح . . ويصل اليه بسهولة اخاذة . .

وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين ...

وانتحى الرجل بى ناحية، وتجاذب معى حديثا قصيرا انهاه بدعوتى الى زيارته فى دار جمعية الاخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء ...

كانت الجمعية اذ ذاك لا تزال فى دارها القديمة التى تشغلها الآن شعبة الجوالة التابعة لها ...

وذهبت يوم الثلاثاء .

لم أكد اضع قدمى فى مدخل الدار ، حتى شعرت بكثير من الرهبة ، وكثير من الغموض ...

دخلت من حجرة كبيرة جدا ، من هذه الحجرات التى عرفت بها الابنية المصرية القديمة ...

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لانفذ من باب صغير ..

ونفذت من هذا الباب ، لألقى أمامى شيئا كالحجرة ، أو شيئا كالممر الطويل بين حجرات ..

وانما كان مكتبة ..

كان صفوفا طويلة من الارفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط . وقد صفت عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة الورق المخزون ...

وعلى بعد كبير فى آخر هذا الممر .. كانت هناك عينان فقط ترسلان بريقا قويا ، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه .. مرشد الاخـــوان .

وتحدثت مع الرجل طويلا فى ذلك اليوم ...

ولكنه لم يفتح لى كل نفسه . . .

تحدث معى كثيرا .. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين أبدا .

وحصر نفسه فى هذه الدائرة ، ولكنه جعل يتسع بمحيطها شيئافشيئا حتى أصبحت افقا كبيرا مليئا بالمعانى ...

ورغم كل المحاولات التى بذلتها فقد فشلت ..

ورغم كل ماتطرق اليه الحديث من شئون الجيش ، فقد ظل الرجل ملتزما ناحيـة الدين ، واهمـال الناس له ورسالة الايمان التى يجب ان يرتكز عليها جهادنا ، ووجوب نشر هذه الرسالة فى صفوف الجيش .

وتكررت زياراتى بعد ذلك للرجل

وبدأنا نتحدث فى كثير من الشئون العامة .. وبدات اوقن ان الرجل يطوى صدره فعلا على مشاريع كبيرة وخطيرة . . . لايريد أن يفصحعنها .. كما ايقن الرجل ايضا انى لا انتوى الانضمام الى جمعيته ، ولعله شعر أو ادرك انى اعمل شيئا ، وانى لست اعمله وحدى ...

ولم يرد الرجل ان يعرض على الانضمام الى جمعيتـه ، كما انه لم يحاول أن يسألنى عن اى صـــلة لى بآخرين . . ولكنى فهمت أنه كان يدرك اشياء كثيرة من الحقيقة فى مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام ...

وفى يوم تقابلت معه ، وكنت ثائرا مكتئبا تملأنى المرارة والالم ...

فقد صدرت الاوامر فى ذلك اليوم باعطاء الفريق عزيز المصرى اجازة اجبارية من رياسة اركان حرب الجيش .

وكان معلوما لنا أن وراء هذه الفعلة ايدى الانجليز ... وكان مجرد العلم بهذا كافيا لاثارة نفوسنا ، ودفعنا الى أى عمل قد يراه الكثيرون ــ فى مثل ظروفنا ــ من أعمال الجنون !

فقد كنا نعرف ما أراد عزيز المصرى لجيش مصر من قوة ومنعة ...

وكنا قد بدانا ننتعش بالنهضة الفعلية التى بعثها الرجل فى الجيش.

وكنا نسمع كثيرا من القصص التى تروى عن محاولات عزيز المصرى الاصلاحية ، والمشاكل والعقبات التى توضع أمامه ، والاحابيل والشراك التى تنصب له ، والتى عرفت بعد ذلك للاسف الشديد أن الذى كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصرى نفسه !!

وكنا قد تحققنا من الشرك الاخير ، شرك الخيانة الحقيقية تنبع من ضباط كبار ...

فقد جمع الفريق عزيز المصرى لواءات الجيش ليسألهم عن مدى حاجتهم فى أسلحتهم الى جهود البعثة الانجليزية ، ومدى ما حققته هذه البعثة فعلا من الاصلاح ...

وكان الجيش كله ، ما عدا هذه الفئة يتمنى اليوم الذى تزول فيه وصمة البعثة الانجليزية من وحداته وأسلحته

وتكلم عزيز المصرى مع الضباط الكبار كلام مصرى لمصريين وكلام قائد لضباطه ...

ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا .. ولكن لكى يذهبوا الى السادة الانجليز ويقصوا عليهم حديث قائدهم ...

وعادوا اليه فرادى ...

عاد كل منهم ، وطلب مقابلته لكى ينهش فى لحم الآخرين

ولعل كلا منهم كان يرمى من وراء ذلك الى الظهور أمام الرجل بمظهر الوطنى ، نفيا للشبهة عن نفسه ، والصاقا بها فى الآخرين ، واذا حدث ان وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث الخيانة ...

ولكن عزيز المصرى ، فهم كل شىء ، وأدرك أنه بين جماعة من اللواءات لا يفضل واحد منهم اخاه الا فى خسة النفس وبطلان الضمير ...

ولم تكن خيانة اللواءات هى كل ما أحاط بعزيز المصرى من الشراك ..

فقد كان الانجليز أحرص من الا يرصدوا عليـــه كل حركة من حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضباط الشبان الحاصلين على شهادات دراسية عليا ، والحاصلين عـلى شـهادة انجليزية فذة فى نوعهـا هى شـهادة التخصص فى أعمـال التجسس للانجليز . (١)

كل هذا كنا قد بدانا نسمع عنه .

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك .

وجاءت الاجازة الاجبارية لعزيز المصرى كناقوس كبير يدوى فى آذاننا لكى نبدأ العمل ...

***

وطال الحديث عن عزيز المصرى ، ولاح منى شدة اهتمامى بهذا الموضوع ، وابديت رغبة شديدة فى ضرورة لقاء هذا الرجل الذى كان موقفه محـور تفكيرنا ..

وهنا شعرت بأن المقابلة قد آذنت على الانتهاء ، حين قدم لى المرحوم حسن البنا وريقة ...

واخذت الوريقة اقرؤها بشغف شديد .. بينما قال لى حسن البنا ، والابتسامة على شفتيه :

ـ واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون . !

وخرجت من دار الاخوان المسـلمين .. أخطو خطـواتى الاولى الى مستقبل ... مجهول ...

---

(١) نؤكد أن سليمان محمود الذى شغل فى وقت من الاوقات منصب مدير مكتب عزيز المصرى ، لم يكن مطلقا من بين من شملتهم هذه الاشارة

اتهام عزيز المصري بدس السم للنازي

- عزيز المصري يمنح اجازة اجبارية ..
- فاروق ينام في لندن بملابس السهرة !
- ماذا تنتظرون من الشيوخ .. ؟
- كان نابليون في السابعة والعشرين ..
- احمد حسنين وعمر فتحي تآمرا على فاروق .
- لابد من انقلاب على أيدي العسكريين .

قال لى المرحوم حسن البنا أنى سألتقى فى اليوم التالى بالفريق عزيز المصرى ..

وحدد لى موعد اللقاء ومكانه . . .

وكنت أعلم أن مقابلتى له فى ذلك الوقت قد تثير كثيرا من الشكوك والشبهات ..

فعلى الرغم من الطمأنينة التى كانت تبدو على وجه المرحوم البنا وهو يحدد ذلك الموعد ، فقد كنت انا على يقين من أن مخابرات انجلترا لن تكون نائمة فى ذلك الموعد المضروب ...

وكان على أن أرجع الى تشكيل الأحرار قبل المقابلة وكان على أن أعود اليهم بعد المقابلة ...

فلا بد اذن من الحذر .. ان أى شك يحوم حوالى قد يذهب بتشكيل الأحرار كله .. !

كنت اشعر فى كل خطوة أخطوهـا الى حى السيـدة زينب بأنى اخطو خطواتى الى بدء مستقبل حافل مجهول ، لابد أن تقع فيه أحداث جسام .
كنت أعرف انى ذاهب لاضع قدمى عـلى اول الطريق ، ولـكنى لم أك استطيع ان اتخيل الى أين سوف تقودنى قدماى ، أو الى أى مكان سوف يمضى بى الطريق ..

ولم اكن كذلك قد فكرت فى اشىء من كل هذا . فلم يزد الامـر عنـدى عن انى ذاهب الى لقاء عزيز المصرى ، وأن هذا اللقاء لابد محدث اثـرا . .

واتجهت الى العنوان الذى كتبه لى المرحوم حسن البنا قبل ذلك بيوم .. ونظرت الى فوق فقرات اللافتة الموضوعة على عيادة الطبيب « الدكتور ابراهيم حسن »

وصعدت الدرج بخطى ثابتة ، ثم تذكرت انى « مريض» او لابد ان اكون « مريضا » فربما كان البيت مراقبا ، بل من المؤكد انه مراقب ، اذا كانت المخابرات البريطانية قد علمت بوجود عزيز المصرى فى داخله ..

ولاول مرة قمت بدور تمثيلى صغير .. فصعـدت الدرج فى تثـاقل ، ولهثت بأنفاسى مرتين !

وطرقت الباب وطلبت مقـابلة الطبيب ، وأعطيت خادم العيـادة أجر الزيارة ، وأخذت منه تذكرة !

وبعد قليل دعانى الخادم الى غرفة الطبيب .. ورايت لاول مرة وكيل جمعية الاخوان المسلمين ..

ولم يكن غريبا أن الدكتور ابراهيم حسن ينتظرنى .. فقد اخذنى من فورى الى مكتب ملحق بحجرة الكشف وادخلنى اليه ..

وفى هذه الغرفة ، كان عزيز المصرى فى انتظارى .

ماذا تنتظرون ؟!

كنت بحاجة أن اقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته .. وكنت أريد أن اقول له كلاما كثيرا ، وان اكسب ثقته .

لكن رغم كل شىء .. رغم الطريقة التى تم بها اللقاء بينى وبينه ، كنت

أشعر ان فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيانة الاصدقاء، الكبار والشبان على السواء . .

ولكن النفس الصافية ، ابت ان تحملنى هذه المشقة . .

وفى الدقائق الاولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد . .

كان يائسا من الحكومات ، يائسا من الاحزاب ، يائسا من الملك ، يائسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب . .

وقال لي :

ـ عيب هذا البلد انه ضعيف ، وانه لايجد العناصر التى تغذيه بالقوة . .

وسألته :

ـ وكيف ناتي بهذه القوة . .

فنظر الى وقال :

ـ انتم شباب الجيش . . ماذا تنتظرون ، ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدأون فى الاضطلاع بها ؟

وعدت أسأله :

ـ وهل تظن اننا فى داخل الاوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا .

فأجاب وقد انتفض :

ـ تستطيعون كل شيء . . وغيركم لايستطيع شيئا . . ماذا تنتظرون .؟ تنتظرون توجيها منى ، من لواءاتكم من حكام البلاد ؟ .

وسكت وهو يتمتم : **كلام فارغ !**

ثم نظر الى فى عزيمة شابة ، وقال :

ـ لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط . . كان مثلك هكذا شابا صغيرا . . ولكنه استطاع ان يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد . واستطاع ان يقود بلاده وجيشه ، ولم يكن يتلقى توجيها من احد .

وبعد لحظات قال فى عمق :

ـ التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته ، هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه . . فابحثوا عن الايمان ولا تعتمدوا ابدا على احد . . الا على انفسكم . .

الايمان .. والشباب

وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين خاص عميق .. فقد كنت انا أيضا أبحث عن الايمان ، وأومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها .. فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا .. تيئسهم الحسرات ، وترعبهم المخاوف ..

ورغم هذا ، فقد قلت له :

ـ لقد عشت انت مؤمنا بهدفك وعشت لاتعتمد على احد .. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد أن نعمل ..

فقاطعنى بقوله :

ـ اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم .. والذى يستطيع ان يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع ان يقصيه عن توجيه الجيش ، لايستطيع ان يقصى شباب الجيش عنه ..

متى بدأ الفساد ؟

وكان كلاما منطقيا حكيما .. وكان مع ذلك اشارة الى سلسلة الدسائس التى تعرض لها عزيز المصرى قبل هذه المرة .. فسألته :

ـ اذن فقد بدات الدسائس من زمن ..

فقال :

ـ نعم ، منذ كنت فى انجلترا اشرف على تربية فاروق ..

وتنهد بمرارة وهو يقول :

ـ كنت أحب ان تحسن تربيته ، لانه شاب ، سواء كنت انا الذى أربيه أم غيرى .. ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت اليه .. وكانت أقرب الى قلبه من يدى ..

وسألته :

ـ أتقصد احمد حسنين ؟

فقال :

ـ احمد حسنين ، وعمر فتحى . . هذان الاثنان تآمرا على فاروق .

فتآمرا بذلك على شعب مصر فى شخص ملكه ..

وبعد قليل عاد ليتكلم :

ـ هل تتصور أنى كنت أدخل غرفته صباحا ، فاجده نائما بملابس السهرة .. والخمر تفوح من فمه ؟!

هذا الشاب الذى كنت اريد له الصلاح والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفساد والتهتك والاستهتار .. كانا يقودانه الى دور الفساد ، فلا يعود الا فى الرابعة صباحا ، ويعود مخمورا .. فينام .. و يلقى بنفسه القاء على اقرب مقعد .. أو وسادة ..

وكنت أحاول ان انهاه عن ذلك فيخجل .. ولكنهما ينفردان به من بعدى ، فيزيلا كل أثر لنصائحى ..

وتمهل قليلا .. ثم اردف :

فاروق يكره أباه !

ـ هل تريد ان تعرف سرا خطيرا ..

ولم ينتظر منى اجابة فقال :

ـ لقد القى هذان الاثنان فى وهم فاروق انى مدسوس عليه من ابيه ..



نازلى



فـؤاد

قلت :

ـ أبيه ؟ ..

قال :

ـ نعم ... فان فاروق كان يبغض أباه أشد البغض ... يبغضه من كل

نبه ... وكان يقدس امه تقديسا شديدا .. .فأتفق هؤلاء فى وهمه انى انا عزيز المصرى أشيع الاقاويل عن أمه ، وانى أريد ازيلها من الوجود لكى بنفرد ابوه بحبه .. وانى اعمل الآن على دس السم لها ..

وسألته :

ـ وعرفت أنت كل ذلك ؟ ..

فأجاب :

ـ نعم عرفته . . عرفته يوم أرسل فاروق الى ابيه خطابا باكيا يهدده فيه ان لم يسحبنى فورا من مهمتى ..

وبعد هنيهة قال :

ـ وقد سحبنى أبوه فعلا .. وتركه لهذين المفسدين .. يفسدانه على نفسه ، ويفسدانه ايضا على وطنه ..

ثم تلاحقت الدسائس ، والمؤامرات لتقصينى عن كل مكان استطيع فيه ان أوجه الشباب ، لأن فاروق يعرف كيف أوجه انا الشباب ..

لابد من انقلاب

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء .. ولكنه عاد الى طبيعته الواثقة .. وقال لى :

ـ ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فانى على استعداد اليوم أن احمل طبنجتى ، واتقدمكم لاى عمل لانقاذ البلد ..

وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا :

ـ لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب على أيدى العسكريين ..

ونظر فى عينى طويلا ، وأنا أصافحه . . ولم يقل بعد ذلك شيئا . . **ولكنى عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ، كهدف بعيد نستطيع أن نراه بأعيننا ، وان كنا لا نتبين الطريق اليه ..**

من هم زملاءك ؟ !

وفى اليوم التالى التقيت بالمرحوم حسن البنـا وسألنى عن أثر زيارتى لعزيز المصرى فى نفسى .. وكأنه كان يعلم ما جرى فيها .. ولاحظت انه يريد أن يزداد علما بالمجموعة التى شعر أنى واحد من افرادها .

فقد سألنى عندئذ :

ـ هل لديك زملاء فى الجيش يشتركون معك فى هدف معين ؟!

وكان السؤال فى ظاهره بريئا ولكنه كان يريد أن يعرف من ورائه ان كان هناك تشكيل معين يضمنى ويضم غيرى ..

ولم أخف الحقيقة عنه .. ولكنى لم أبح له باسماء اخوانى



الفريق عزيز المصرى

قلت :

ـ انى لست اعمل وحدى .. وان هناك تشكيلا معينا موجودا ، واننا جميعا نؤمن بالكلام الذى قاله لى عزيز المصرى .. ونعرف أن البلد لن تخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش ..

أسباب حادث ٤ فبراير

- حسن البنا يختزن السلاح..!
- الانجليز يحاولون عزل الجيش عن الشعب..
- كوكتيل مولوتوف للدبابة الإنجليزية.!
- خطتنا وخطة القدر.
- جاسوسان ألمانيان يطلبان المساعدة..
- البنك الأهلي والأوراق المالية المزيفة!

ـ فهم المرحوم حسن البنا منى اننى لست أعمل وحدى ... وفهم اننا نريد ان نقيم حكومة عسكرية فى البلاد تحارب الانجليز الى جوار المحور .

وفهم أن الذى ينقصنا فعلا هو جماعة اخرى من الشباب ، تستطيع خوض المعركة باسم الشعب عندما يضرب تشكيلنا ضربته ، كعمل عسكرى ...

وبدأ المرحوم حسن البنــا يتحدث الى حديثنا طويلا عن تشــكيلات الاخوان المسلمين ، واهدافه منها ، وكان واضحا فى حديثه ، انه يريد ان يعــرض على الانضمام الى جماعة الاخوان المســلمين ، أنا ، واخوانى فى تشكيلنا ، حتى تتوحد جهودنا ، العسكرية والشعبية ، فى هذه المعركة .

وكنت أنا مستعدا للاجابة على هذا الطلب اذا وجهه الى ، فلمــا رأيته يكتفى بالتلميح ، أوضحت له من جانبى ايضا ، انه ليس من وسائلنا ابدا ان ندخل كجماعة ولا كأفراد فى أى تشكيل خارج نطاق الجيش .

واطرق المرحوم قليلا ثم قال ، وعلى وجهه ابتسامة تغطى تفكيرا عميقا :

ـ من الخير لنا اذن لنجاحنا ونجاحكم أن نتشاور وان نتكلم معا فى كل شىء .. كما أننا على استعداد لكى نعاونكم عندما تطلبون ذلك الينا .

تعــاون ... وأسرار !

وبدأ بيننا تعاون كنت أنا الصــلة فيه .. تعاون بدأ فى تحفظ واستمر فى تحفظ ..

وفى خلال هذا التعاون تكشفت لى أشياء كثيرة من الأسرار الداخليــة لجماعة الاخوان رغم انه رحمه الله لم يحاول أن يكشف لى شيئا منهــا ، ولا أن يطلعنى على أى سر من أسرارهم الداخلية ..

المرشـــد وحده يعــلم !

وكان اهم هذه الاسرار ، ان حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الاخوان ، ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها فى نفسه .. وان أقرب المقربين اليه لم يكن يعرف من خططه شــيئا ، ولا من أهدافه شيئا ..

حتى لقد كان حسن البنا فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح ، ويشتريه ويخزنه ، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس اليه من كبار الاخوان انفسهم على اى شىء من كل هذا ...

وكان على العكس من ذلك يستعين فى هذه العمليات باخوان من الشبان الصغار .. وكان منهم الجندى المتطوع الذى جاءنى به فى ســلاح الاشارة اول مرة ...

وكان اعوانه الصغار هؤلاء يعرفون ان ما بينهم وبينه سر على الناس جميعا بما فيهم الاخوان الكبار ...

فقد أدركت هذا فى يوم من الايام ، كنت جالسا معه ، عندما دخل علينا هذا الجندى المتطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين .

ورآنى الجندى جالسا ، فأجفل ، ولكن حسن البنا ، قال له افتح الصناديق ، ولا تخف ...

ونظر الجندى الى بابتسامة الاخ فى الجهاد ، ثم فتح صندوقيه ، وكان ما فيهما عينات من أنواع المسدسات .

وتأكدت فى ذلك اليوم من أن الرجل يشترى سلاحا ويخزنه ، ويخفيه حتى عن الاخوان ..

وفرحت فى نفسى بذلك ...

فسيأتى اليوم الذى نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين ...

وسيكون من أهم ما نستعين به ان نجد قوة شعبية تقف فى الصف الثانى ، مسلحة مدربة ...

ولكن ، متى يكون هذا اليوم ؟ ..

ان الامر بحاجة الى اعداد كامل طويل ..

ونحن نستعد ، ونستعد ، ونستعد

ودعوتنا تجد انصارها ببطء ، ولكن فى وثوق

وكل شيء يجرى على وجه نطمئن اليه ..

وفجاة ...

كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فقلب خطتنا رأسا على عقب ، وبدأنا السير فى طريق خطير ...

٤ فبراير ...

وأحب ان اعرض هنا لبعض الحقائق والملابسات التى اكتنفت حادث ٤ فبراير ..

فعلى كثرة ماكتب عن هذا الحادث فان هناك حقيقة لم تنشر أبدا ، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا ، ولا الذين سمعوا ..



وطاش صواب ضباط الجيش لانهم كعسكريين شعروا بأن حادث ٤ فبراير هو
في الواقع ضربة عسكرية لا يردها سواهم

فقد اخذ الناس هذا الحادث بالأخذ السطحى ، فقالوا ان مظاهرات سارت فى البــلاد تهتف : « الى الامام يارومـيــل » فتحركت دبابات الانجليز تفرض النحاس على الملك ، رئيسا لمجلس وزراء البلاد . .

ولو قلت اليوم ان هذه المظاهرات قد رسمت رسما ودبرت تدبيرا ، لمـا جاوزت الصواب . .

ولو قلت انها رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة التى ارتكبها الانجليز . لما جاوزت الصواب ايضا . .

وبقى ان تعرف بعد ذلك اليد التى حركت هذه المظاهرات بليل . .
يد المدبر ، والمحرك ، وناصب الشرك . .

اين التحقيق ؟ . .

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفى ، والذين يقودون مظاهرات كهذه ـ ان كانوا من الوطنيين فعلا ـ لابد أن يقدروا خطورة تظاهرهم ، ودعائهم لروميل فى بلاد يحتلها جيش الانجليز . .

ومع ذلك فقد سارت المظاهرات بليل . . . ولم نعرف أشخاص قادتها ، ولا قبض رجال البوليس عليهم ، ولا تحرش بهــم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة ، والذى لم يجد حرجا فى مهاجمة قصر الملك !

فاذا بحثنا عن الدافع الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات ، لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية وأعوانها فى مصر ، ان تلعب فى فترات الحــرج ، بعقول العامة من اهل هذه البلاد . فاذا بالاكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر اثنى عشر عاما كاملا . . ثم تترددها قاعات المجالس النيابية ، وقاعات المحاكم أيضا فى قضايا السياسة الكبرى ! !

أحقا ، هذه المظاهرات قد سارت فى شوارع القــــاهرة ، لتلعب دورا فى هزيمة الانجليز ؟ !

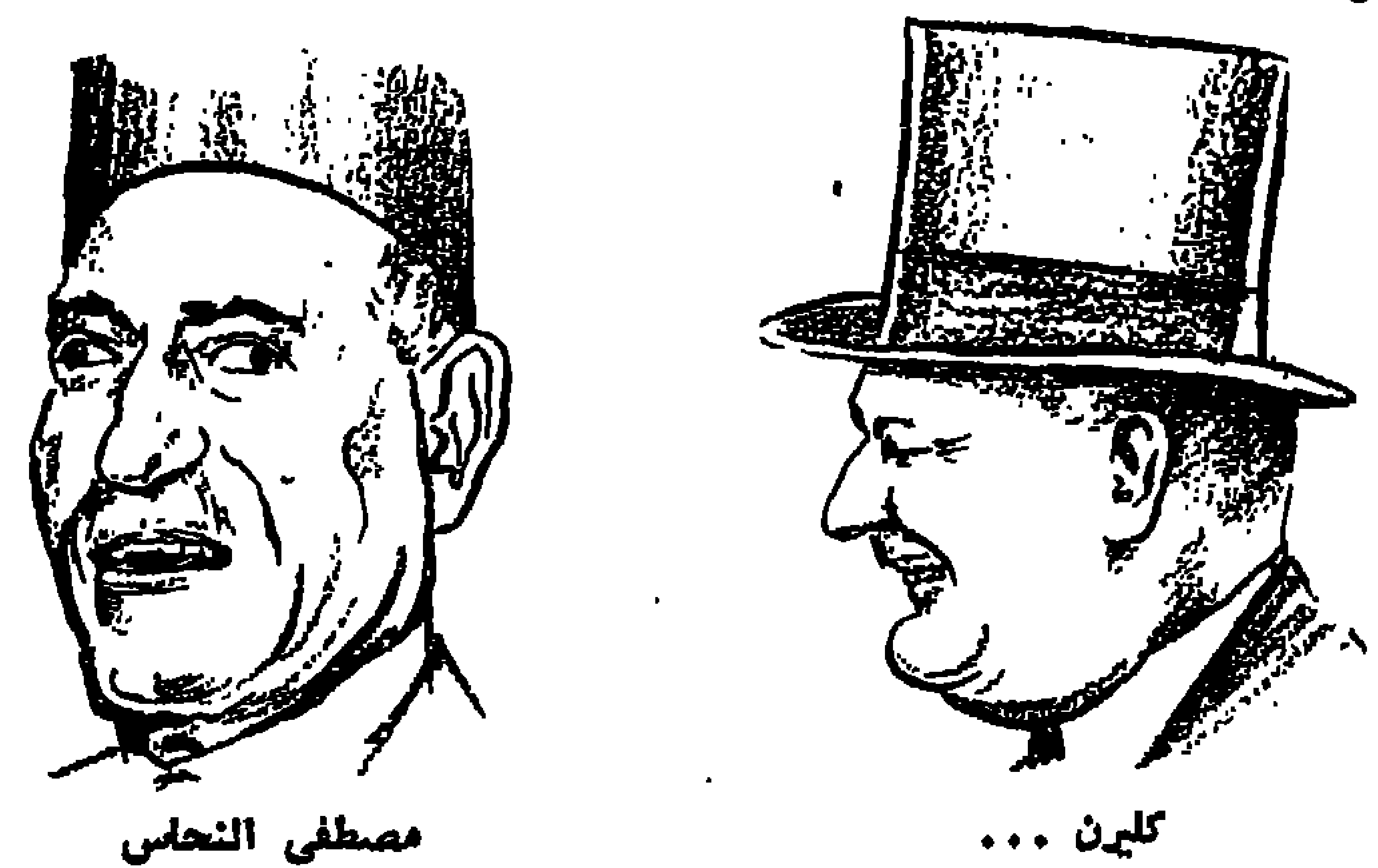
انها اذن مظاهرات خطرة ، من ورائها تدبير وطنى فاهم لما يعمل . .

فأين المدبرون والمحركون ، وأين قصاص الانجليز منهم ، أو قصاص الذين حكموا مصر بأمر الانجليز ؟ !

فان لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيــان الانجليز فى ايام محنتهم ، ففيم اذن هذا الاجراء العنيف ، وقد كان أيسر اجراء فى تلك الايام كفيلا بقمع مظاهرات ، لاهى بالخطيرة ، ولا وراءها تدبير ؟ !

ولكن هناك هدفا .. وقد تحقق هذا الهدف ..

والهدف هو ايجاد مبرر تستند اليه الدعاية البريطانية ، عندما يتخذ الانجليز هذا الاجراء الاجرامى الشاذ فى نوعه ..



كلين ...   مصطفى النحاس

وقد تحقق هذا الهدف ، واستطاعت انجلترا ان تفرض على الملك حكومة النحاس ..

الهدف الكبير

ويبقى السؤال الذى لايزال ينتظر الجواب ..

لماذا اراد الانجليز هذا ، وما الذى كلفهم كل هذا التدبير ، وكل هذه الجريمة ، وكل هذه الدعاية التى اضطروا اليها اضطرارا لتبرير فعلتهم ؟!

لم تكن المسألة مسألة السخط الذى كان يعم مصر وقتئذ .. ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبى المضاد للانجليز فى وقت يقف فيه الانجليز فى احرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية ..

فما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع ازالة السخط ، ولا وقف الشعور الشعبى المضاد للانجليز ، وانما هوجدير بزيادةالسخط والكراهية ، وكشف العداء سافرا بين شعب مصر ، وبين حليفه المفروض عليه فرضا .. جند الاحتلال ..

فصحيح كان هناك سخط ، وكان فى البلاد توثب لانتهاز الفرصة وضرب الانجليز من الخلف ، بينما تشتد عليهم نيران روميل من امام ..

ولكن هذا ، لم يكن كل شيء .. ولم يكن يستحق الموضع الذى وضعت انجلترا نفسها فيه، يوم ٤ فبراير المشئوم ...

الجيش ... والشعب

كانت انجلترا ترى أن هناك تقاربا بين الملك وبين الشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الاخرى .. فقد كان الملك فى نظر الشعب وفى نظر الجيش ايضا . شابا وطنيا ، وكان محبوبا .. ورات انجلترا ان هذا التقارب سيوجد جبهة متحدة من الجيش والشعب ، فأرادت ان تحطم هذه الجبهة ، وان تعزل الجيش عن الشعب ، وكان يوم ٤ فبراير هو الوسيلة لذلك .. فقد صممت انجلترا فيه على تكليف النحاس – زعيم الشعب – بتشكيل الوزارة ، فأصبح الشعب بذلك فى ناحية ، والملك والجيش فى الناحية الاخرى .. وبدات انجلترا بعد هذا تقيم سياستها على أساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبغيضه اليه ، واشعار الشعب بان جيشه هو السوط الذى سيلهب ظهره باسم الملك .

فى نادى الضباط

وكان يوم ٤ فبراير .. الذى تحدثت مصر عنه عشرة أعوام كاملة .. ولا تزال تتحدث ! ..

وكحقيقة نذكرها ، لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث ، بل وأكثر من هذا ، لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع ..

ولكننا احسسنا به بعد ذلك ، وفهمناه من تحليلنا ومن تحرياتنا ، وبينما كانت البلاد فى ذهول من الحادث ، طاش صواب ضباط الجيش وبدانا نحن فى تشكيلنا .. نفكر ..

اما البلاد فقد ذهلت لان الاحداث كانت أغرب من كل ماتصوره خيال هذا الشعب .. وأذهلها بعد ذلك عنه أو شغلها عنه ، ماتقاذف به السياسيون من سباب واتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى قصر الملك ، والمواقف المثيرة التى راتها قاعاته من الزعماء ..

وطاش صواب ضباط الجيش ، لانهم كعسكريين شعروا بانها ضربة عسكرية لايردها سواهم .. وفى فورة الحماسة وعنف الشباب . بدأت

الاجتماعات تعقد علنا فى نادى الضباط لمناقشة الموقف ، وتقرير الخطـــة بصورة مفتوحة ، لايمكن أن تؤدى الى خير .

اما نحن فقد انتهينا حينئذ الى قرار أولى ..

استعـــداد وتأجيل

فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز ، قررنا تاجيل هـــذا الرد ، لان ذلك الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المسائل بنادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شيء فى خلاله ..

كنا قد درسنا الامر من كل وجوهه على طريقة العسكريين عندمايقومون بما يسمونه « تقدير الموقف » ..

ولم نضع فى حسابنا عندئذ ان نحدد موعد ضربتنا ، فقد اتفقنا على عدم الاهتمام بالتفكير فى الموعد ، بعدما حدث ، وما فوجئنا به على غير استعداد أو ترقب ..

ولكننا وضعنا فى حسابنا ان ندرس كيف تكون ضربتنـــا لامتى تكون ، وصممنا على ان نضع خطتنا لكى تأتى ضربتنا للانجليز محكمة ، ودامية فى الوقت نفسه ..

وقررنا كذلك ان تنأى خطتنا فى هذه المرة عن أى صلة بالاخوان المسلمين .. وان تقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى الجيش ، وتكتيل قوتنا فى كل الاسلحة ، واعداد أنفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية ..

وقت العمـــل

ومرت الايام من ٤ فبراير حتى وقع حادث العلمين ، أو مأزق العلمين .

وكانت هذه المدة كفيلة بان تضاعف قوتنـــا داخل الجيش اكثر من مائة ضعف .

فقد كنا ، عندما وقع مأزق العلمين قد وصلنا فى استعداداتنا الى تجهيز مائة الف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل مولوتوف ..

وكنا قد استطعنا انشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات وبدات تخـــرج السلاح فعلا ..

وكنا أيضا قد استوردنا من ريف مصر ، كميات كبيرة من البـــارود الذى

يصنعه الفلاحون من زمن بعيد ، واستطعنا ان نحضره تحضيرا علميا ، بحيث يمكن الاعتماد عليه ..

وكان هذا هو الشق الاول من خطتنا بعد ٤ فبراير .. أن نعد انفسنا بما يلزم لعمل كبير

اما الشق الثاني الذي يحدد نوع العمل ، فقد كان مقررا تركه للخطة التى يتقرر فيها العمل نفسه ..

كنا مرة أخرى ننتظر الوقت المناسب .. وجاء هذا الوقت .. يوم وصل الالمان الى العلمين ...

وبدأنا نرقب الاحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذى نستطيع ان نقوم به .

وقالت الاحداث كلماتها سريعة متلاحقة ..

قالت أن روميل يضرب ضرباته القاضية ..

وقالت ان الانجليز ايقنوا بالهزيمة ..

وقالت انهم فى هلع افقدهم صوابهم ..



وقالت انهم قرروا الانسحاب فورا ، وبأسرع مايمكن الى الجنوب ..

هذا إكان صوت الاحداث الواقعة التى رأيناها بأعيننا ورآها العالم بأسره معنا ..

وكان يجب علينا أن نضع الخطة التى تناسب منطق الاحداث ..

فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظاميا ، ولا انقلابا عسكريا ، ولكنه كان يوجب اتجاها اخر ..يوجب خطة سريعة واحدة توضع لابادة الانجليز افرادا وجماعات عند انسحابهم

خطتنا .. وخطة القدر !

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين ..

وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى ...

والجانب الاخر يرسم خطة الاتصال بالالمان ..

ولكن خطة اخرى كان القدر يضعهافى الوقت نفسه .. وقد لانستطيع أن نحكم على فعال القدر عندما تحدث ولكن بعد مرور وقت طويل ، تستطيع دائما أن تنظر الى الماضى ، فتجد أن الايمان حق .. هو دائما .. اقوى من القدر !

وبدات قصة القدر ..

بدات بطرقات خفيفة على باب بيت صديقى الصاغ حسن عزت .. دخل فى أثرها رجلان من الالمان ، يصحبهما صديق له ، هو الاستاذ عبد المغنى سعيد الذى يعمل اليوم مفتشا فى مصلحة العمل .. ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن اتى بثلاثتهم الى ..

هكذا بدات قصة القدر بالنسبة الينا ..

ولكنها بالنسبة الى هذين الالمانيين فقد بدأت قبل ذلك ..

بدات على رمال الصحراء الغربية الصفراء..عندما دعا قلم المخابرات الالمانية رجلين من رجاله .. احدهما يدعى هانز ابلر .. والثانى يدعى ساندى ..

وكان ابلر يعرف مصر من قبل ، كما يعرفها كل ابنائها ..

فقد كانت أمه الالمانية ، قد تزوجت فى المانيا من المرحوم صالح بك جعفر المستشار ، ثم حضرت معه الى مصر ، وفى يدها ولدها من زوجها الاول ..

وكان ولدها هذا ، هو « هانز ابلر » .

وأراد الزوج المصرى ، أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فى مصر ، فيسر له كل سبل التعليم والنجـاح ، وأعطاه اسما مصريا ، وأعطاه فوق ذلك لقب اسرته ، فأصبح هانز ابلر يعرف فى مصر ، باسم حسين جعفر .

وعاش « حسين » فى مصر ، ولكنه لم يكن الولد الصالح الذى ارتجـاه زوج أمه ، فقد انحرف عن الطريق الذى رسمه له الرجل .. واصبح بعد فترة وجيزة شوكة فى قلبه ، ووصمة فى سمعته ..

وفشل المستشـار المصرى ، فى اقناع ربيبـه بالعدول عن مخادنة الاوغاد وحياة الليل بين المراقص والحانات ، ونساء الطريق ..

وفشل فى اقناعه بأن يجد لنفسه عملا يعيش منه ، أو يشغل به بعض وقتـــــه .

ولما ايقن بالا سبيل الى اصلاحه ، ولا اتقاء شره فى مصر ، طرده من حياته قبيل الحرب .. فما كاد يعود الى وطنه حتى جندوه هناك .. ثم أصبح من رجال روميـل .. ومـن رجال مخـابراته فى شئـون مصر بالذات . .

تجسس

واصدر روميل لرجليه ابلر وساندى أمرا بالتسلل الى مصر ، وكلفهما بعمل معين ، وسلمهما جهازا لاسلكيا دقيقا .. وزودهما بعشرات كثيرة من الآلاف من الجنيهات الانجليزية المزيفة المطبوعة فى اليونان وبسيارة من سيارات الجيش الانجليزى التى استولى عليها روميل أثناء معركة العلمين وفرار الانجليز تاركين خلفهم كل شىء ..

وتحركت السيارة بالرجلين ، وقد ارتديا ملابس ضباط فى الجيش الانجليزى ، وحملا معهما جهاز اللاسلكى ، والثروة الطائلة ..

واخترقا الصحراء الغربيـة من طريق غير مطروقة تقع الى جنـوب سيوه ، ثم انحرفا من سيوه الى الواحات الخارجة .. واسـتراحا فيهـا من رمال الطريق ، وتزودا بما يحتاجان اليه ، ثم اتجها صـوب اسيـوط فى الطريق المرصوفة الفاخرة المؤدية اليها ..

وكانت هذه المرحلة هى أخطر مراحل الرحلة بالنسبة اليهما اذ الطريق

طريق عسكرى ، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية ، ونقط التفتيش والحراسة ، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد ..

واخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت فى كل لحظة ، ونفد منها الوقود فى منتصف الطريق .. اذا بقائدها آبلر ينثنى بكل جراة الى احد المعسكرات البريطانية ، فتفتح له الابواب ، ويدخل الى محطة البنزين بالمعسكر ، ويقدم اوراقه ، ويعبىء سيارته بالبنزين ، ثم يخرج مودعا بتحية الجنود ..

ووصلا الى اسيوط .. ثم انحرفا فى الطريق الى القاهرة .. ودخلاها ضابطين انجليزين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد فى ذلك الزمان .

طلبات

وقال لنا الاستاذ عبد المغنى سعيد انه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من المانية تعرف عائلة ابلر .

واخرج الرجلان اوراقهما ، واثبتا بما يقطع كل شك ، حقيقة جنسيتهما الالمانية وحقيقة مهمتيهما .

وطلب الالمانيان منا ان نقدمهما الى الفريق عزيز المصرى ، وكانا يطلقان عليه كلمة « الزعيم » .

وقال ابلر أن جهاز اللاسلكى الذى جاءا به قد تعطل ، وانه يرجو ان يعتمد فى اصلاحه علينا ..

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصي بروميل فى مكانه بالعلمين ..

وقابلهما عزيز المصرى ، وتفاهم معهما على أشياء كثيرة ، ثم اصدر امره الينا بتسهيل طلبيهما الاخرين .

وقمت أنا بالناحية التى تتصل بعملى فى سلاح الاشارة ، فحددت معهما موعدا لزيارتهما وفحص الجهاز اللاسلكى المعطل ..

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما ، أنهما يقطنان فى عوامة خاصة للراقصة المشهورة حكمت فهمى .. ويبدو أن المفاجأة قد ظهرت على آثارها ، فقد ضحك ابلر ، وقال :

ـ أتريدنا ان نقيم فى معسكرات الانجليز ؟ !

ومضى يروى لى ما يعرفه من اخلاص حكمت فهمى له منذ كان فى مصر قبـل الحرب ، ثم روى لى طرفا من حياته التى يحيـــاها ، منذ عاد الى القاهرة ، وكان قد مضى عليه أكثر من شهر يقيم فيها . .

البنـك الاهـلى

وفهمت انهما منـــذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة قد خلعا ثيابهمـا الرسـمية « الانجليزية » وارتديا ثيابا مدنية عادية ، ثم راحا يعيشـــان كانجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما .

كانا ينفقان عن سعة . . ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن ان تكون له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية .

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد السهر ليلا فى الكيت كات ، والعودة مخمورين قرب الصباح الى العوامة التى اتخذا منها محطة للاذاعة يتصلان عن طريقها بقيادة مخابراتهم

وقالا لى وهما يضحكان أن البنك الاهلى قد بدل لهما ما يزيد عن أربعين الفا من الجنيهات الانجليزية المزيفة بجنيهات مصرية .

ثم قالا :

وكان الوسيط يهوديا ، قبل أن يتحمل المسئولية مقابل ٣٠٪ من قيمة ما يبدله من النقود .

ولم ادهش أنا لليهودى الذى يعرف أنه يؤدى خدمة لجواسيس النازى ، فلا يتردد ما دام كل شىء بثمنه ولكنى مع ذلك اشفقت عليهما من قيـام صلة بينهما وبين اليهود .

وسألنى ابلر :

ـ متى تجىء ؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة . .

وفى يوم الجمعة ، كنت واقفا على شاطىء النيل ، من خلفى مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية . . ومن أمامى عوامة الراقصة حكمت فهمى !

محطة اذاعة تحت أقدام الراقصات!

- خمر ونساء وغناء !
- عندما تظهر الحقيقة عارية ..
- دبلوماسي أجنبي يسرق من مفوضية سويسرا
- أين ذهبت اموال البنك الاهلي ..؟
- متاعب في الطريق ...
- خرافة المخابرات ..!

كنت على موعد مع الجاسوسين الالمانيين ابلر ، وساندى فى عوامة حكمت فهمى ..

وكان هذا الموعد لاصلاح جهاز ارسال لاسلكى ، يملكه الجاسوسان ، ويذيعـان منه ، من داخل العوامة ..

ووقفت أمام العوامة افكر قليلا قبل أن ألمس زر الجرس .. فقد كنت أشعر ، انى أمام مغامرة .

ونظرت الى أعلا العوامة ، فوجدت أربع ساريات من ساريات السلك الهوائى الذى يستعمل للارسال اللاسلكى والاستقبال .. فاعترتنى رجفة مفاجئة .. فان وجود سلكين هوائيين فوق سطح عوامة ، قد يثير بعضا من الشكوك .

ثم تتابعت على الافكار فى سرعة متلاحقة ، وأصبحت بعد ذلك أسئلة لا أجد جوابا عليها :

هل يعرف اليهودى الذى يبذل لهما الاموال حقيقتهما فعلا .. واذا كان يعرفها ، فهل تكفيه العمولة الكبيرة التى يتقاضاها ، لكى يسكت .. ولا يخون ؟

وما حقيقة موقف حكمت فهمى من هذه المغامرة ؟.

وما مدى استعدادها للسير فيها الى آخر الطريق ؟

وهل هى تستطيع أن تقدر حقيقة هذا الطريق ، والنتائج الخطيرة التى قد ينتهى بها اليها ..

وكان لا بد أن أجد جوابا لهذا .. ولذلك ، كان لا بد أن ادخل..!

ووضعت يدى على زر الجرس ...

... وفتحت لى الباب ، حكمت فهمى .. وبعد لحظات كان أمامى الالمانيان ابلر ، وساندى .. يرحبان بمقدمى بينما تدور عيناى فى أرجاء العوامة ، أحاول أن استشف نوع الحياة التى تجرى بداخلها ..

ولم يكن عسيرا على أن أحدد هذه الحياة فى دقائق قليلة ...

فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد تركت للالمانيين حرية التصرف فى عوامتها كما يشاءان وأنهما تصرفا فى عوامتها فعلا ، فاتخذا منها وكرا للترف والنعومة وحياة الليل والتهتك ..

وكان واضحا أنهما ألقيا عن ظهريهما كل مسئوليات العمل الخطير الذى جاءا لكى يقوما به ، وانغمسا الى آذانهما فى الحياة التى تتناسب مع عوامة تملكها راقصة ، ويعيش فيها رجلان فى عمر الورد ، فى جيوبهما عشرات كثيرة من آلاف الجنيهات

أين الجهاز

وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل .. فضحك ابلر ، وهو يقول :

ـ أتستطيع أن تجده لو بحثت عنه ؟ ..

وخيل الى أنى أستطيع ، فقمت أطوف غرف العوامة ، وأهبط درجاتها ، وأصعد الى أعلاها .. فاذا بها لا تحتوى الا على وسائل الحياة الناعمة ، وأدوات الترف والزينة .. وكؤوس الشراب ، وصناديق الويسكى ..

وفجأة عاد بى ابلر الى حيث كنا فى بهو العوامة .. ومد يده الى جهاز الراديو الكبير الموضوع فى صدر المكان .. وكنت قد فحصته ، فى دورتى ، فلم أجد فيه أكثر من جهاز راديو ((موبيليا)) أنيق فى أعلاه بيك أب مغطى بغطاء خشبى دقيق الصنع ، وفى جوانبه دواليب صغيرة مقسمة لحفظ الاسطوانات .

وأمسك ابلر بالجزء الخاص بالبيك أب ، ثم حركه حركة بسيطة ، فانفتح الى أعلى .. وقال لى : أنظر .. فنظرت لاجد أمامى تجويفا كبيرا ساقطا فى جوف الجهاز العجيب ، يكفى لكى يهبط فيه رجل ، فيجد كرسيا صغيرا يجلس اليه ، ويجد أمامه جهاز اللاسلكى الذى يعملان عليه ..

وقال ابلر وهو يشير بيده داخل التجويف :

ـ تستطيع أن تجلس هنا على هذا الكرسى وأن تضىء النور الداخلى ، ثم أغلق عليك الجهاز من فوق ، وأدير أنا اسطوانة للرقص ..

وقال زميله ساندى :

ـ اننا دائما نصنع هذا ، نرقص على الموسيقى مع الضيوف ، بينما يباشر أحدنا عمله داخل الجهاز فى هدوء ..

ووجدتها فكرة جميلة .. فلن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصور أن تحت هذا البيك اب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجل يذيع !

ونزلت الى الفجوة ، لافحص الجهاز .

شكوك

وكان شعورى ساعة جلست أمامه ، وأخذت أدير فى مفاتيحه ، أن هذا الجهاز لا يمكن أن يتعطل هكذا من تلقاء نفسه ، فهو كما بدا لى جهاز دقيق متين الصنع ، كما أنه بوضعه الذى كان فيه لم يكن معرضا لاى مؤثرات خارجية يمكن أن تؤدى الى تعطله ..

وفتحته من الداخل ، فوجدت جميع صماماته سليمة ، وحاولت أن اكتشف مكان العطب فيه ، فلم أستطع ، فقد كان الجهاز جديدا على فى كل

شيء .. وكان من التعقيد بحيث لا يسهل اكتشاف سبب تعطله ، ان لم يكن فاحصه خبيرا به وبالنظرية التى أسس عليها .

وخرجت يائسا .. أو بادى اليأس ، وفى رأسى دوامة من الافكار ، وشكوك كثيرة ...

وصدر منى سؤال مفاجيء لم أكن أحمله أكثر من معناه الظاهرى :

ـ هل هذا الجهاز معطل حقا ؟!

واضطرب ابلر لهذا السؤال بينما أجاب ساندى بسرعة فائقة ، والكلمات تتزاحم على شفتيه :

ـ انه معطل .. معطل فعلا .. هل تستطيع اصلاحه ؟

وقبل أن أجيبه بالنفى ، كان هو يسألنى سؤالا آخر :

ـ انك بلا شك تسمع عن الهر هوارد ..

جهـــاز جديد

وكنت أعرف أن هوارد هذا ، ديبلوماسي فى مفوضية السويد فى مصر ، وانه كان يقوم برعاية شئون الرعايا الالمان فى مصر ، بعد اغلاق المفوضية الالمانية عند اعلان الحرب ..

قلت : أعرفه ..

فقال : اننا على اتصال به أيضا ، وهو يعلم ان هذا الجهاز معطل ، وهو الذى قال لنا أن نحاول الاتصال بك .

وقاطعته قائلا :

ـ ولكنى آسف جدا ، لانى لا أستطيع اصلاح هذا الجهاز ، فلم يسبق لى أنّ استعملت أجهزة ارسال المانية أبدا ..

وبدأ ابلر الكلام فقال :

ـ ان الهر هوارد طلب منا أن نتصل بك ..

وسكت قليلا ثم عاد يقول :

ـ انه يعرف كل شيء عنا ، ونحن نستعين به دائما عندما نحتاج لاى شيء .. وهو أيضا ، يساعدنا ...

واكمل ساندى قائلا :

ـ وقد قلنا له ان هذا الجهاز قد تعطل ، فجاءنا بجهاز آخر .. ولكننا لا نعرف كيف يعمل ..

وبسألنهما أنا :

ـ وهل الجهاز الآخر هنا الآن ..

فأجاب ساندى :

ـ نعم ، انه في الطابق الاسفل لقد سرقه لنا هوارد من المفوضية السويسرية ، وأعطاه لنا لنواصل به عملنا ، ولكننا حتى اليوم لم نستطع تشغيله ...

وأمسك بى من يدى وقال : هيا معى .. ساريك الجهاز الآخر .. وقد قال لنا هوارد أنك أنت وجميع ضباط سلاح الاشارة فى مصر ، تستعملون مثـله ..

ونزلت معه الى الطابق الاسفل وقد أخذت منى الظنون كثيرا ...

لم تعـد شكوكا

وفى الطابق الاسفل ، وجدت جهاز ارسال من النوع المعروف بالهاليكزافتر .. وفحصت الجهاز فوجدته جديدا لم يستعمل قط ، ودهشت لقولهما انهما لا يستطيعان استعماله ، لسهولة استعمال هذا النوع من أجهزة الارسال!

وقلت لهما :

إن هذا الجهاز من أبسط الاجهزة استعمالا ، وانى أستطيع أن أدلهما على كيفية استعماله فى لحظات قصيرة

وفجأة خطرت لى فكرة .. وانطلق بها لسانى فى التو واللحظة ..

فقد كانت شكوكى فى الرجلين قد بدأت تعلو الى مرتبة اليقين .. كنت قـد اقتنعت فى نفسى تماما ، ان جهازهم الالمانى اما ان يكون سليما ، واما أن يكون همـا قد عطلاه بنفسيهما .. وخطر لى أنى لو تركت لهما الجهـاز الآخر فسوف يتلفـانه أيضا .. ولم أكن أعرف السبب فى هـذه الشكوك ، ولكنها كانت قد سيطرت على ..

وقلت لابلر ، وانا آخذ بذراعه على سلم العوامة :

ـ أريد أن آخذ هذا الجهازالامريكى معى يوما ، لاختبره اختبارا دقيقا ، ثم أعيده اليك ..

وانتظرت من ابلر أن يمانع فى هذا ، ولكنه أسرع يقول :

ـ بكل سرور .. يوم أو أكثر كما تشاء .. !



لن يستطيع أحد مهما اوتى من قوة الملاحظة أن يتصـــور ان تحت هذا البيك آب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجل يذيع بينما الضيوف يرقصون على الموسيقى .

نساء .. وخمر

وكنا قد وصلنا الى البهو الذى كنا فيه من قبل .. وهناك كانت فتاتان صغيرتان تجلسان وقد وضعت امام كل منهما كاس من الويسكى .

ولاحظت أن الفتاتين قد اتيتا لزيارة الالمانيين ..

ولاحظت ايضا أنهما لا يعرفان الالمانيين من قبل ، فقد قامت حكمت فهمى بتقديمهما اليهما ..

ورأيت الالمانيين وقد استخفتهما النشوة ، والمرح ، وعلمت أنهما سوف يقصدان الى جروبى لتناول الغداء ، وأنهما سيعودان بعد ذلك الى العوامة بصحبة الفتاتين ..

وكان لا بد أن أنسحب .. فاعتذرت عن قبول دعوتهما للغداء .. لآخذ معى الجهاز !..

وبدأت شكوكى تجد أسبابا ترتكز اليها ، ثم تحققت بعد ذلك من أن شكوكى لم تكن عبثا ..

يسرق من سويسرا

فقد علمت أن الالمانيين قد استطابا الحياة الناعمة ، التى وفرتها لهما آلاف الجنيهات التى بدلوها عن طريق اليهودى من البنك الاهلى ، وتعرفا على عدد من الراقصات ، ومن بائعات الهوى .. وأرادا أن يطيلا مكثهما فى القاهرة ، وأن يلقيا عن كاهليهما عبء المسئولية والمخاطرة .. فادعيا أن الجهاز الذى معهما قد تعطل ، واخبرا بذلك ((هوارد)) وكان من ناحيته متصلا بقيادتهم ، واستطاع ((هوارد)) أن يزودهما بهذا الجهاز الامريكى ، فادعيا أنهما لا يستطيعان تشغيله .. واتصلا بنا ..

وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا أنفسهما فى قضاء الايام والليالى بين سهر فى المراقص ليلا ، ولهو مع الغوانى نهارا ... فقد كانت حجتهما أن الجهاز معطل ، وانهما لا يستطيعان العمل بالجهاز الجديد !!

وبدأت المتاعب !

عرفت هذا .. ولكنى عرفته بعد فوات الاوان ..

وفى يوم الاحد ، ذهبت الى العوامة ، واوقفت التاكسى خارجا ..
واخذت الجهاز ، وخرجت تاركا خلفى ابلر وساندى ، ومعهما فتاتان .. جديدتان !!

ومر الاحد ، والاثنين ...

وفى يوم الثلاثاء ، قبض عليهما ..

وفى اليوم نفسه عرفت انا بنبأ القبض على هـــذين الرجلين ، فبدأت مخاوفى ، فقد كنت حتى ذلك الوقت ، اعتقد فى وجود الخرافة الكبرى التى عرفت فى مصر ، باسم ((قلم المخابرات البريطانية)) ..

وكنت على يقين حتى ذلك اليوم من ان هذه المخابرات هى التى امسكت بخيوط المغامرة التى جاءا ليقوما بها ، وأنها هى التى قبضت عليهمـــا ، وانه ليس من المســـتبعد ابدا أن تكون عيون المخابرات قد وقعت على فى الزيارتين اللتين قمت بهما للعوامة ، وانى بهذا بت فى خطر انا ومن معى فى تشكيل الضباط .

وبدأت أعد نفسى لكل احتمـــال وانبأت أصدقائى بالقبض على هــذين الرجلين ، وابلغت الفريق عزيز المصرى أيضا ..

ولم أقف عند هذا ، فقد كان على أن أعرف كيف قبض عليهما ، وهــل اكتشفت المخابرات ما كان بينى وبينهما من صلة ، وهل هناك مراقبـــة موضوعة علينا ...

وبدأت سلسلة من التحريات على نطاق ضـــيق ، مأمون .. فعلمت أن المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منـــذ شهر ، وان الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال ذلك الشهر ليلا ونهارا ، وان هم المراقبة كان معرفة اعوانهما فى القاهرة والعمل الذى يقومان به فعلا ..

خرافات المخابرات

وعرفت بعد ذلك أن هذه المراقبة لم تكتشف صلتى بهما ، ولم تقع اعينها على داخلا الى العوامة ولا خارجا منها .. وانها حتى بعد القبض عليهما ، لم تكن تعرف عنى شيئا ..

وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتها خرافة كبيرة ، ملآنة الجيوب بالذهب .. فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما ، ويوم عرفت ذلك .. عرفت قصة من القصص التى تلعب فيها المرأة ، ويلعب فيها الذهب ، وتنام فيها عيون المخابرات ..

وعرفت فى ذلك اليوم شيئا آخر أيضا .. عرفت حياة جديدة لم تكن لى بها خبرة من قبل ...

دخلت السجن بسبب شهرزاد!

- عذارى مشهورات ...
- في عوامة الراقصة ..!
- النحاس وصدقي سيف النصر يسلطان علينا الإنجليز
- حسن البنا يهرب معي من وكيل الإخوان المسلمين
- حتى لو كان مصطفى النحاس!
- هل كان حسن البنا .. معنا ؟

قبض البوليس على ابلر وساندى يوم الاحد ، ومر بى يوم الاثنين وانا احاول أن اعرف ان كانت صلتى بهما قد اكتشفت أم لا ..

فعلى الاجابة عن هذا السؤال يتوقف مصيرى، كضابط فى الجيش .

وكمصرى حر يعيش حياته طليقا كما يعيش المصريون ..

وقد يذهب الامر الى أكثر من هذا ، فتتوقف على الاجابة على هذا السؤال : حياتى وموتى .

وأكثر من هذا .. ان نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين ، كان يمكن أن تكون المفتاح الكبير الذى يفتح أمامها الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش ، هذا الذى ترامت أنباؤه الى انجلترا منذ شهور كثيرة ، قادت بها الى افتعال حادث ٤ فبراير ، ومجابهة هذا التشكيل بقوة الوفد الشعبية فى ذلك الوقت .

ولم اكن اتوقع ان يقبض على سريعا ، فقد كنت ارجح ان المخـابرات البريطانية، وان كانت قد اكتشفت صلتى بالجاسوسين الالمانيين ، فهى لا بد ان تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت ، لتتمكن بهذا من وضـع يدها على سر تشكيل الضباط كله ..

كان هذا مااعتقدته ، والمنى فوجئت فى يوم الثلاثاء التالى ، اى بعـد يومين اثنين من القبض على الجاسوسـين ، بالقبض على وعلى زميـلى حسن عـزت .

ودهشت لهذه السرعة ، وخيل الى ان المخابرات البريطانية الساهرة ، لم تكن غافلة عنا ، وانها قد وضعت يدها فعلا على كل اسرارنا والا لتركتنى طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشرك ..

ولكنى بعد ذلك ، قابلت ابلر ، وساندى ، اثناء التحقيق ، واخـذ ابلر يشرح لى تفاصيل مثيرة ، سمعتها بشغف ، وتنفست بعدها الصعداء ..

بـــلاد شـــــهر زاد !

كان ساندى شأن أكثر الالمان ولوعا بالموسيقى الكلاسيكيةالاوربية ... ولم يكن ابلر كذلك ، فقد كان على النقيض منه لايحب الا موسيقى الجاز .. تمتزج طرقاتها العنيفة بالخمر التى تدور براســه ، فتحيـله كائنا عجيبا ، نصفه انسان ، ونصفه حيوان .. !

وفى احدى الامسيات ، جلس ساندى فى عوامة الراقصة حكمت فهمى ، يستمع الى موسيقى «شهر زاد» للموسيقار الروسى ديمسكى كورساكوف .. وكان ابلر مغيظا محنقا ، يحاول اغراء صديقه للقيام معه الى موعـد حافل ضربه مع بعض الغوانى فى ملهى الكيت كات .. واصر سندى على سماع الموسيقى الخالدة حتى نهايتها ، فوضـع امامه كاسا من الخمـر ، واخذ يسمع ويحلم ، ويتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذه الباليه على مسرح من مسارح برلين ..

ورويدا رويدا اندمج ابلر معه فى الاستماع الى الموسيقى .

ولكنه لم يسلم نفسه لانغام الموسيقى بقدر ما اسلم نفســه لهمسات شيطان اخذ يراوده ..

وفجاة صاح بصديقه صيحة مخمورة :

ـ ماكان اسعده هذا الملك .. شهريار ..

وضحك ساندى ، وهو مسترسل فى أحلامه وقال :

ـ كان ياتى كل ليلة بعـذراء طاهـرة .. يبيت معهـا ليلته .. ثم يذبحها فى الصباح

وصاح ابلر ، والخمر فى رأسه :

ـ هكذا الحياة . ماذا ينقصنـا نحن ، لنـكون مثـله ..؟! انا شهريار الثانى ، وانت شهريار الثالث ...

السنا فى بلاد الف ليلة وليلة !! ؟

ـ اكنت تقرأ مثلى قصص الف ليلة وليلة ايام الشباب ..

فأجـاب ابلر :

ـ لقد كنت اطرد من المدرسة وانا اقرؤها يوما فقد كانت معى الترجمة الحقيقية لها ، بكل مافيها من كلام الذيذ !!

وسأله ساندى بخبث :

ـ وهل تحب ان تذبح النساء ..

فأجاب ابلر ..

ـ ولماذا أذبحهن .. اعطيهن مالا .. مالا من البنك الاهلى .. كم يكون لذيذا ان تعيش كل ليلة فى احضان عذراء !

وانتهت الموسيقى وخرج العربيدان الى الكيت كات يقضيان سهرتهما ..

ولكن خيال الف ليلة وليلة لم يبرح ذهن ابلر وساندى فى تلك الليلة .. فكانا كلما سكتت الموسيقى رفعا عقيرتهما بالحان شهر زاد ، فتضج القاعة بالضـحك على هـذين « الانجليزيين » ـ كما كانت تظن الراقصة ! ـ اللذين ذهب بعقلهما الشراب ..

عذارى شـهريار

ولم تمـر الليلة على خـير ..

فقد أسر ابلر باحلامه الحيوانية الى احدى صديقاته .. فضحكت الصديقة بخبث ، ودخلت معهما فى مفاوضات ، أصبح ابلر بعدها شهريار الثانى ، واصبح ساندى شهريار الثالث ايضا ...

وبدأت العوامة تستقبل كل صباح فتاتين جديدتين من بائعات الهوى ، فى ثياب كثياب الطالبات .. يدخلان على استحياء ..

ويخرجان وقد امتلأت حقيبة كل منهما بمائتى جنيه !!

أخذتاهما من الرجلين باعتبارهما من العذارى !!

واشتهر امر ابلر وساندى بين مجموعة من فتيات اليهود ، اللواتى كن يقمن بهذه التمثيلية العاطفية الفذة ...

حتى كان يوم السبت السابق للقبض عليهما ..

وكانت فى العوامة يهوديتان جاءتا لتمثل كل منهما دور عروس من عذارى شهريار ...

وانتهى التمثيل .. والرجلان فى نشوة بالغة ، من السكر الشديد ، والخيال المنطلق ..

وتهيأت الفتاتان للخروج .. ثم وقفتا فى انتظار الاربعمائة جنيه ..

ودخل ابلر الى غرفته ، ليأتى بالنقود ، ولكنه لم يجد سوى سبعين جنيها فقط ، هى كل ما كان لديه من أوراق مالية مصرية ..

ومد ابلر يده بالنقود الى احداهما فأخذتها ،وعدتها، ثم قذفت بها فى وجهه وهى تصيح :

ـ اتسلبنى اعز ما املك ، بثلاثين جنيها ؟ . اين باقى المبلغ ؟.

وصاح فيها ابلر ، وقد اغاظه منها تطاولها عليه .. وقال :

ـ ليس معى غير هذا .. هيا اخرجى قبل ان اذبحك كما كان يفعل شهريار ....

وارتجفت الفتاتان ، وقد سمعتا كلمة ((اذبحك)) وخيل اليهما ان هذين ((الانجليزين)) قد يصنعان اى شىء دون ان يخشيا عاقبة اوحسابا .

ورأى الالمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين ، فاستبدت بهما نشوة الخمر والانتصار ..

وانطلق احدهما يغنى نشيد ((المانيا فوق الجميع)) ثم شاركه الآخر ، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه ، ينشد نشيد هتلر ..!

ولم يكن هذا النشيد مجهولا ... خصوصا فى اوساط اليهود ..

فهزت احدى الفتاتين راسها ، وجذبت الاخرى ، ومضيتا ، من العوامة الى قلم المخابرات البريطانى .

وبعد ساعات قليلة .. كان ابلر وساندى فى طريقهما الى السجن ..!

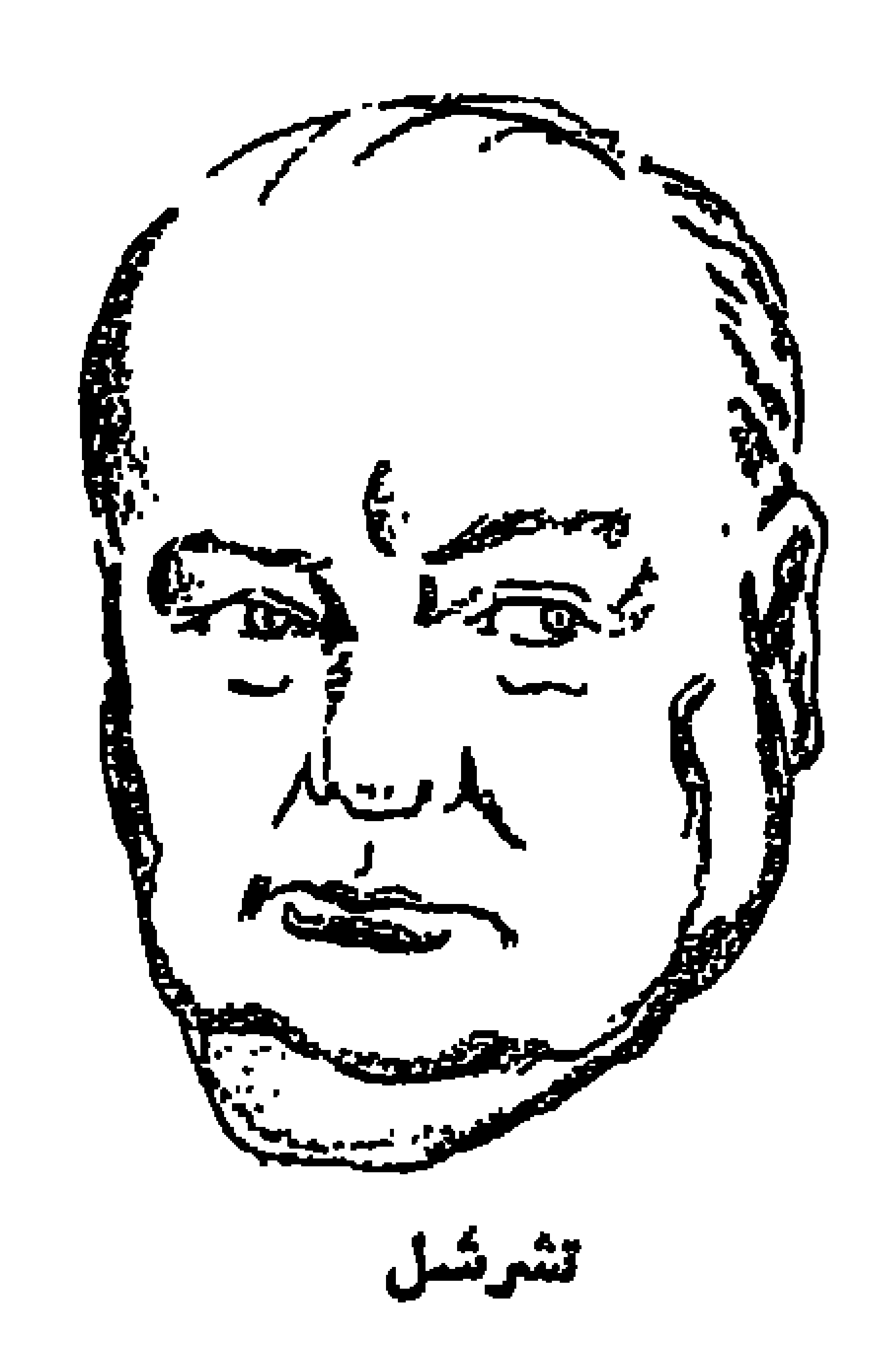
أمـــام تشرشـــل • !

قص على ابلر هذه القصة التى تكشف عن خرافة المخابرات البريطانية فتظهرها على حقيقتها : ذهب كثير واعتماد على اغراء هذا الذهب للنفوس الضعيفة التى تخون وطنها فى سبيله .. فليست المخابرات اذن هى التى اكتشفت سر الجاسوسين .. ولكن الفتاة اليهودية التى اشرت على ان تأخذ ثمن جسدها مائتى جنيه ، وسيان عندها ان تأخذ المبلغ من ابلر .. او من مخابرات الانجليز .. !

وسألت ابلر بعد ذلك ، على السبب فى القبض على ــ انا وعزت ــ

وكنت قد بدأت اشك فى ان الفتى المجنون قد اعترف بالصلة التى قامت بينى وبينه .. فأطرق الالمانى الى الارض ، ولم يجب ، وكدت انا انفجر غيظا ، واهوى عليه بقبضة يدى ...

ولكنى كظمت غيظى .. وانتظرت .



تشرشل

وظهرت لى الحقيقة كاملة عند ما علمت بعد ذلك ، ان الجاسوسين قد امسكا عن الكلام يوما كاملا .. ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا الى مستر تشرشل وكان يزور مصر فى ذلك الوقت ، فلما مثلا امامه ، وعدهما بحياتهما ان اعترفا بكل شىء ..

واختار الجاسوسان بين الموت والحياة .. فاعترفا اعترافا كاملا .. وجاءا بى وبحسن عزت الى السجن !!

حتى لو كان مصطفى النحاس

وبدانا نرقب النهاية المحتومة لضابطين فى الجيش المصرى ، يقبض عليهما بتهمة الاتصال بجواسيس الاعداء .. وقد كان الالمان فى ذلك الوقت هم أعداء مصر .. !

ثم جاء اليوم الذى يتقرر فيه المصير .. فقد صدر أمر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا ، ودعينا للمثول امامه .

ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما افقدنا الصواب ..

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ، وانجليزيين .

احدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكنز .

والثانى برتبة كابتن واسمه سمبسون ..

وضابط من البوليس المصرى كان اسمه كمال رياض ..

وكان يبدو من تصرفاته وحركاته واسئلته ، انجليزيا صميما لايمت الى المصرية بشىء ..

وقد لا تهم القارىء تفاصيل المحاكمة .

فقد كان أهم مافيها اعتراضنا على ان نحاكم كضباط مصريين ، امام ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ، ومن رئيس الحكومة نفسه ، مصطفى النحاس ..!

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ، ومن رئيس الحكومة المصرية ، هو الخنجر الاول الذى طعنا به فى ذلك اليوم ..

ولم يستطع المجلس العسكرى ان يحصل منا على شىء .. لا اعترافات ولا اجابات ..

لا شىء غير الاحتجاج العنيف .. ونظرات الاحتقار ..

وتقرر وضعنا تحت الايقاف .. ثم طردنا من الجيش فى ٨ اكتوبر ١٩٤٢ أى بعد حادث ٤ فبراير بثمانية اشهر فقط ..

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش ، حتى تسلمتنا السلطات المدنية ، فحملتنا الى سجن الاجانب ثم رحلتنا الى معتقل المنيا .

حلقة الاتصال بالاخوان

كان هذا الحادث ، الذى انتهى بطردنا من الجيش واعتقالنا ، نذيرا آخر بتأجيل العمل الحاسم الذى كنا نفكر فيه ..

وكان كذلك بدءا لتطورات اخرى فى تشكيل الضباط الذى لم يتأثر موقفه بخروجنا من الجيش ، ولم يتأثر بذلك موقفنا منه نحن ايضا .

وكان نهاية صلات مع الاخوان المسلمين ، وبدء صلات جديدة معهم

فقد كنت انا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيدة بين تشكيل الضباط وبين الاخوان المسلمين

فلما انتهى الامر باعتقالى ، بدأت حلقة اخرى عملها ..

وكنت حين قبض على ، قد اجريت فعلا آخر اتصالاتى فى تلك الفترة معهم ..

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى بالجاسوسين الالمانيين ..

فقد كانت خطتنا اذ ذاك لابادة الجنود الانجليز العائدين من العلمين ، قد تمت من الناحية العسكرية ، وكانت استعداداتنا كافية فعلا ..

وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى .. فكان لابد لنا من ان نحاول الاتصال بالاخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير ..

واذا قلت ((الاتصال بالاخوان المسلمين)) فانما اعنى الاتصال بالمرحوم حسن البنا ، فلم تكن لى صلة عملية بغيره .. او هكذا اراد حسن البنا نفسه .. فقد كان كما قلت من قبل ، احرص ما يكون على ان يظل ما بيننا وبينه سرا خافيا على الجميع ، حتى على كبار الاخوان انفسهم ..

وعندما بدأت الاتصال به للقيام بالعمل الفعلى الذى كان يعرف أننا ننتويه . تكتم الامر أيضا بينه وبين نفسه ..

فقد ذهبت اليه حينئذ فى دار الاخوان وطلبت مقابلته لامر هام ، وكان الاستاذ السكرى وكيل الاخوان المسلمين موجودا معه ، فاذا به يشير

بأن ادخل الى غرفة فى مدخل الدار ، كانت مخصصة لشركة المعاملات الاسلامية .

وبذل رحمه الله جهداً كبيراً لكى لا يشعر الاستاذ السكرى بأى حركة غير عادية ، ثم تسلل الى فى الغرفة من باب آخر لها ، واخذنى من يدى فخرجنا متلصصين ، الى عربة نقلتنا الى بيته بالقرب من دار الجماعة . .

وأغلق البنا باب غرفته ، واوصد الشبابيك ، ثم مال على براسه لكى يسمع ما أردت أن انهيه اليه . .

دور الاخـوان

وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم البنا كل التفاصيل ، وتوسعت معه فى شرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة ، وأفهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الاخوان به ، وحدود هذا الدور . .

واطرق البنا طويلا وهو يستمع لى ثم سكت فترة طويلة إخرى قبل ان يتكلم . . وعند ما تكلم اجهش فى البكاء . !!

ومرت فترة وهـو يتكلم . .

كنت انا خلالها ذاهلا كالمسحور .

قال كلاما كثيراً . . كلاما مثيراً امتزج بالايمان الشديد . . وكان واضحا جدا من كلامه انه يؤثر مصلحة البلاد . .

ولكننى عند ما خرجت من عنده ، سألت نفسى :

هل وعد الرجل بشىء . ؟

هل احتضن خطتنا . ؟

هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الاخوان منها . ؟

وحرت فى الاجابة على كل سؤال من هـذه الاسـئلة . . فالواقع أن الرجل تكلم كثيرا واثر فى نفسى كثـيرا ، وبكى من اجـل مصر كثيرا . . ولكنه لم يعد بشىء ولا احتضن خطتنا

ولا افهمنى انه مقبل على تنفيذ نصيب الاخوان من الخطة . . !!

هل كان معنا ! ؟

ولكنك لو سألتنى حينئذ سؤالا من هذه الاسئلة، لما استطعت ان اجيب عليه اجابة قاطعة كما استطيع ان افعل اليوم .. فقد كان تأثيره الشديد على قد ابعد عن ذهنى كل شك .

انه رغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا .. بقلبه ووجدانه وتفكيره ... وروحه ايضا .

وكان أخطر ما اردت معرفته منه فى تلك الجلسة ، هو ان اعرف شيئا عن استعداداته من حيث الاسلحة .. فقد كنت على يقين ان الرجل يملك سلاحا ، وانه يختزنه ويعرف كيف يخفيه ..

وكانت مباراة بيني وبينه .. انا اريد أن أعلم واطمئن ، وهو يباعد بينى وبين ما أريد مباعدة لبقة لا تكاد تشعر بها ابدا ..

وفى جو الغموض والاسرار الذى كان يحوط نفسه به ، ويحوط كل اعماله وكل جماعته ، كان سهلا عليه أن يقنعك بأنه يملك سلاحا ، وان يقنعك بالا تسال عنه ابدا ..

وان يقنعك بانه اعد فعلا جماعته للكفاح ، وان يقنعك بان تحفظ هذا سرا بينك وبين نفسك ..

وان يقنعك بانه معتمد على قوة كبيرة مخيفة مجهولة ، وان يقنعك ايضا بان تؤمن بهذه القوة ، دون ان تعرف عنها اى شيء ..

وكان هذا هو اخر اتصال لى بحسن البنا قبل اعتقالى .

ولكن اتصالات جديدة بدات عقب ذلك ..

اتصالات بينه وبين ضابط آخر من ضباط تشكيلنا . واتصالات بينه وبينى اثناء هربى من المعتقل ..

وكانت هذه الاتصالات الجديدة ، صورة اخرى من صور الفصل الكبير الذى اشترك الاخوان معنا فى صفحاته

عزيز المصري يتوقع هزيمة رشيد عالي الكيلاني

- تاريخ الخيانة في سياسة البلاد العربية ..
- اخترنا مطار « الخطاطبة » ولكن ..
- خبرة البارون الثابتة في الصحراء .!
- كيف اصبحت الحي مريض بقلبي .؟
- الحظ الملعون يترصد عند الهرم ..
- سقوط طائرة عزيز المصري .!

كان اعتقالى خاتمة لفترة من فترات الكفاح الذى بداناه يوم استقر عزمنا عليه فوق تباب الشريف .. الى جوار منقباد..

ولم يكن هذا الكفاح يستطيع أن يتصل طول الوقت ، فقد قلت أن جمال عبد الناصر كان قد نقل الى السودان ، وان تشكيلنا الاول كان قد تشتت هنا وهناك ..

وكانت الاحداث قد دفعت بعضنا لكى يعمل ، فعمل بروح التشكيل ، وفكرته .. واتصل فى ذلك بمن استطاع الاتصال بهم ، وتصرف وحده حين أعوزته المشورة ...

وقد تلا هذا الاعتقال أحداث .. وسبقته أيضا ــ غير ما ذكرت ــ احداث ..

وكانت كل هذه الاحداث ، وثيقة الصلة بالتمهيد للثورة الذى كنا نقوم به ، وبالعمل الفعلى الذى كانت الاحداث تدفعها الى القيام به ...

ولكى يتم اليوم ما نستطيع سرده من تفاصيل هذه الثورة وتمهيداتها سأروى قصة الدور الفعلى الذى قام به عزيز المصرى ، الذى ادى الى اعتقاله ومحاكمته ...

كنا قد عدنا من الصحراء الغربية ، عقب رفضنا اوامر تسليم السلاح الى القوات البريطانية .

وكنا كما اسلفت ، قد عقدنا العزم على الاتصال ، بعزيز المصرى ، وعلى ماهر ..

ولم يتم اتصالى بعلى ماهر ، ولكنى اتصلت بعزيز المصرى ، على النحو الذى ذكرته ..

ورغم التحفظ والحذر الشديد اللذين كنت التزمهما كلما ذهبت اليه الا اننى فوجئت ذات يوم بالقائمقام موسى لطفى ، مدير المخابرات المصرية وقتذاك ، وهو يقول لى اننى التقى بعزيز المصرى هنا وهناك .

وان المخابرات البريطانية التى تراقبه ، قد وضعتنى انا ايضا تحت المراقبة !!

وسألت القائمقام موسى لطفى عما يريده منى ..

فسكت ثم قال :

ـ انى فقط احذرك ..

وفهمت إن تحركاتى كانت مكشوفة وذكرت لهذا الرجل احسانه الى بكشف هذا السر لى ..

اللحظة الحاسمة

وبدات ازيد من حذرى ، ولكنى لم أقف اتصالى ، لابعزيز المصرى ، ولا بالجماعة التى كنت القاها من تشكيلنا ...

وكان شغلنا الشاغل فى تلك الفترة ، هو مراقبة تطورات هجوم المحور فى الصحراء الغربية .. كنا نتتبعه ساعة بساعة ، ونحن نستعد ونتكتل انتظارا للحظة الحاسمة ..

وكان يوم من ايام الصيف فى عام ١٩٤١ ..

كنت عائدا الى منزلى ، عقب نزهة قصيرة أعفيت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوتر الاعصاب . ولم اكد ادخل البيت ، حتى أخبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى ، فلما لم يجدنى طلب أن اتوجه اليه فور حضورى..

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى ، وهذا الطلب أيضا ، يحملان فى طياتهما بالنسبة الى ، شيئا خطيرا

فلا بد أن شيئا قد وقع ، واننا على وشك ان نخوض احدى المعارك . !!

وغادرت منزلى فورا .. واسرعت الى عزيز المصرى .

وجلس عزيز يروى لى تفاصيل مثيرة ، الهبت حواسى ، وجعلتنى اعتقد أن ساعة البدء ، قد تحددت . .

واننا فى الطريق اليها . .

قال لى عزيز المصرى ان الالمان قد اتصلوا به عن طريق بعض اعوانهم .. وانهم يرحبون بخبرته فى شئون الشرق الاوسط والعرب ، وانهم على اتم استعداد لاختطافه ، ونقله الى قيادتهم ، حيث تستطيع خبرته ان تلعب دورا عمليا كبيرا ..

اذن فقد بدأت نذر المخاطرة .. ولن يكون العمل داخليا فقط ، وانما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة اخرى مع الالمان ..

وكان يجب ان نقرر هل نقوم بهذه المخاطر ، أم نرفض القيام بها .. وكان علينا ان ندرس كل ذلك على اساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا .. فى القاهرة ..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الانجليز تشك فى نوايا عزيز المصرى ، وتتوقع منه أن يهرب الى الخارج ومن اجل هذا سحبت منه جواز سفره ، ووضعت عليه رقابة شديدة ..

ولم يقابل عزيز المصرى هذا الاجراء بالرضى ، بل توجه الى المسئولين ، وطلب منهم ان يسمحوا له بالسفر الى الخارج فعلا . فرفضوا هذا الطلب ...

ومعنى هذا ، ان كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل وتحسب عليه ..

واكثر من هذا ان حكومة مصر ، ومخابرات الانجليز كانتا تتوقعان سفره هذا من ناحية ..

اما من الناحية الاخرى التى جعلت عزيز المصرى يشعر كأنه سبع قد حبس فى قفص من حديد .. فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق .. !!

الساسة العرب !

كانت هذه الثورة ، هى المتنفس الحقيقى الوحيد لنا ، هنا فى مصر .. وكنا نتابع انباء هذه الثورة ، فى حماسة بالغة ، ونعلق عليها آمالا واسعة ..

ولكن نظرتنا الى هذه الثورة ، كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز المصرى ..

كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل ..

وكانت نظرتنا مليئة بالضيق والتشاؤم ..

فقد كنا فى شبابنا وحماستنا ، نريد أن نصنع ما صنعه رشيد عالى الكيلانى ..

ننقض على الانجليز ونعلنها عليهم فى ازمتهم ثورة مسلحة ..

وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رأيناه يفتح لنا الطريق ، ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها ..

ولكن عزيز المصرى ، كان يسمع انباء هذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية ، ويملأه التشاؤم ..

وكنا نسأله فى ذلك .. فيقول :

ـ انتم لاتعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما اعرفهم ..

وكان يسترسل فى حديثه فيروى لى قصصا من خيانات الساسة العرب او اكثر الساسة العرب على الاصح ، منذ اتصل بالاحداث فى عهد الدولة العثمانية ، وكان اذ ذاك يرعى الحركة العربية .

وكان يسمع انباء هذه الثورة ، ثورة رشيد عالى ، فيتوقع الخيانة ، وتتجسم له الخناجر التى لابد ان يطعن بها رشيد فى ظهره ...

وكان يتصور هذا المصير ، لتلك الثورة المخلصة ، فيكاد ينفجر غيظا ، وكمدا ..

هروب عزيز المصرى

ولم نكن نحن .. حتى آخر لحظة ، نشاركه هذا الشعور ، أو نقبل منه هذا الكمد ..

هذان الظرفان : المراقبة الشديدة المفروضة عليه من الحكومة والانجليز .. وثورة رشيد عالى التى كا نيتوقع لها أن تطفئها الخيانة .. كانا هما العاملين الرئيسيين فى تكييف الموقف عندما عرض الالمان عرضهم عليه ، ان يختطفوه ليستفيدوا من خبرته فى وضع خططهم ..

وفكر عزيز المصرى طويلا .. وفكرت معه .. ثم استقر رأينا على وجوب سفره .. وعدم افلات هذه الفرصة ..

وفى اليوم التالى ، عاد عملاء الالمان الى عـزيز المصرى ، فأبلغهـم قراره بالقبول ..

ووضع الالمان خطة الاختطاف ..

طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات .. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان ، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الانجليزية لتهبط فيه .. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة .

وعلى الفور تناولنا الخرائط ، واخذنا نحن الاثنين ، ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف ندرس جميع الاماكن ، وندرس ايضا كل الاحتمالات .

اخترنا مطار الخطاطبة .. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم ، وانمـا كان مجرد ارض صالحة لهبوط طائرة . !

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى ، ثم حددنا مكانه عـلى الخريطة بالطريقة الطوبوغرافية العسكرية .. وارسلناه الى الالمان . !

وبدانا نحن ننتظر الموعـد الذى سـيحدده الالمـان لهبـوط طائرتهم ((الانجليزية)) فى أرض الخطاطبة ..

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الالمان ، يرفضون فيـه فكرة ((الخطاطبة)) ويعينون منطقـة ((جبل رزة)) عـلى طـريق الواحات البحرية ، مكانا للقاء ..

البارون التـائه

واخذنا ندرس اسباب هذا التغيير .. فوجدنا ان الالمان كانوا على حق وانهم على دراية تامة بصحرائنا ، ومعرفة حقيقية بوسائل الهروب من مصر .. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التى قام بهـا كشافوهم ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى احداها احـد باروناتهم فى صحرائنا ..

لهذا قبلنا هذا التغيير ، وحددنا يوم السفر ..

كنا اذ ذاك فى يوم اربعاء ، وكان سفر عزيز المصرى قد تحـدد له يوم السبت التالى على الفور ..

ولا ادرى كيف توقعت مخابرات الانجليز ، اننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة ..

فقد صدرت الى فى نفس اليوم ـ يوم الاربعاء ـ أوامر بالنقل الى الصحراء الغربية فورا ، وانبانى مديرالسلاح ، وهو يصدر الى أمره ،وجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة .. يوم الخميس .. ! !

ولم يكن لهذا النقل أسباب .. وانما كان أمرا واجب التنفيذ فحسب ..

ووقفت حائرا امام مدير السلاح اللواء احمد الصاوى ، وهو يصدر الى امره .. وكان على أن أختار ، اما ان أسافر فى الموعد المحدد واما ان ارفض السفر ، ومعنى هذا اعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف حرب ..

وهى اخطر تهمة يمكن ان توجه الى ضابط فى الجيش ..

وخرجت من عند مدير السلاح ، وتوجهت الى عزيز المصرى ، لأعرض أمرى عليه ..

ولكنه رفض ان يشير بشىء على وفوض لى الامر كله .. والشىءالوحيد الذى اتفقنا عليه هو وجوب سفر عزيز المصرى فى الموعد الذى تحدد فعلا .. وأن يكون عبد المنعم عبد الرؤوف فى صحبته .. حتى تطير به طائرة الالمان ..

وقد تركت الامر لهما ، وتوجهت انا الى المستشفى العسكرى صباح الخميس .. وادعيت انى اشعر بآلام مترتبة على مرض فى القلب اصبت به اثر حادث تصادم كان قدوقع لى ..

ولم يكن صعبا ان أحصل على اجازة مرضية من المستشفى العسكرى وان أبطل بذلك ، ـ ولو مؤقتا ـ امر النقل الى الصحراء ..

وقضيت يومين فى المستشفى اترقب يوم السبت ، وأتعجله ،

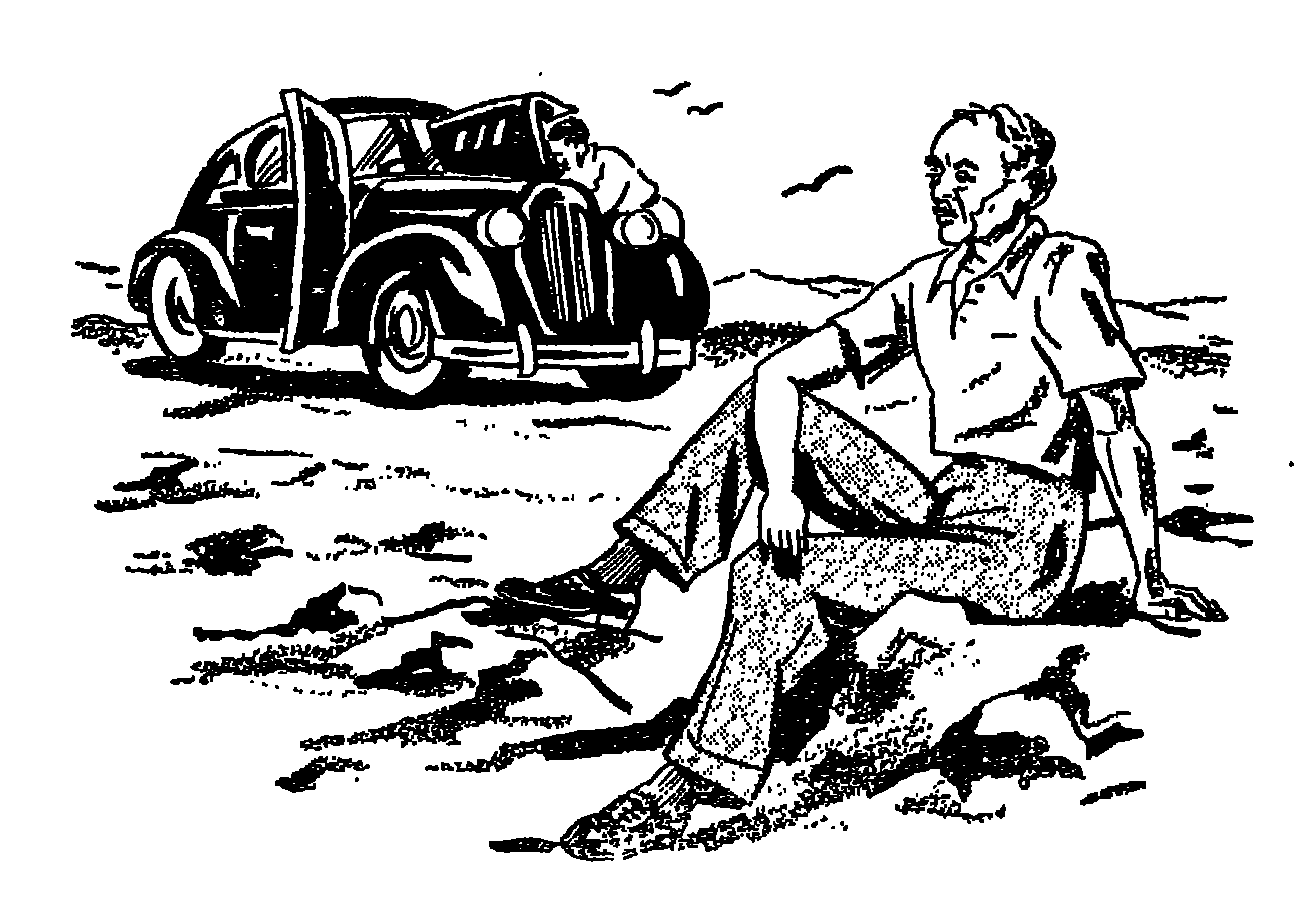
سوء الحظ

وجاء يوم السبت .. وزارنى فى نهايته عبد المنعم وكان حزينا مبتئسا . ! !

ان الرحلة لم تتم ، ولم يستطع عزيز المصرى ان يصل الى « جبل رزة » ولم يكن السبب انكشاف أمر هذه الرحلة ، ولا رقابة البوليس ، ولاأىشىء من كل الاسباب التى تطوف بالذهن لاول وهلة ..

ولكنه كان القدر ..

فقد خرج عزيز وعبد المنعم بسيارة جديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض .. وسارت بهما السيارة شوطا ، واذا بها تتوقف عن السير فجاة على مقربة من الهرم ، وقبل أن يدخلا بها طريق الواحة البحرية ، الذى كانت الطائرة الالمانية ستهبط فيه .



وكان الاتفاق أن تهبط الطائرة عند الغروب ، وان يصعد اليها عزيز بمفرده ، ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكى فور وصوله الى خطوط الالمان .

وقال لى عبد المنعم ، انهما لم يتمكنا من اصلاح العطب الذى اصاب السيارة ، فتركاها فى مكانها بعد أن فات الوقت المحدد لهبوط الطائرة .. وعادا ..!

وقال لى أيضا : ان عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة بسبب هذا الحادث .

ومضى بعد ذلك يومان ، ثم اتصل أحد رجال الالمان بعزيز المصرى ،

إبلغه ان الطائرة قد أتت فى موعدها ، وانها حومت حول المكان ، ولم جد الاشارة المتفق عليها ، فعادت ..

ثم مرت أيام كثيرة ، دون أن يجدد الالمان اتصالهم بعزيز المصرى ..

وكان لابد لاجازتى المرضية أن تنتهى ..

وكان لابد ان أرحل الى الصحراء الغربية ..

ورحلت فعلا ، تاركا كل شىء لعزيز المصرى وعبد المنعم عبد الرؤوف

المحاولة الثانية

واكاد أتصور الان الايام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك ، على ضوء ما أعرفه عنه ، وما لمسته من أنه اذا صمم على شىء لم تستطع قوة أن توقفه عن المضى فيه ..

فقد كان عزيز قد صمم على الذهاب الى خطوط الالمان ، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى رأسه ، وأصبحت مسيطرة على تفكيره وآماله .. وكان من الصعب بعد ذلك انتزاع هذه الفكرة من راس الرجل ..

ومرت أيام قليلة ، واذا به يكلف عبد المنعم بأن يبحث له موضوع سفره ، على متن طائرة مصرية ..

وبدأ عبد المنعم دراسته ، ثم اتصل بقائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار ، واتفق معه على أن يعد خطة السفر .. وأن يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى الى الالمان .

وتحدد موعد السفر ، فى ليلة كان فيها ذو الفقار هو الضابط العظيم بالمطار .

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى فى احدى الطائرات .. وطارت الطائرة بهما ..

ولكن القدر كان بالمرصاد أيضا .. فقد سقطت الطائرة .. وقبض على الرجلين ووضعا فى السجن ..

وبعد أن قضى عزيز المصرى عاما ونصـــفا فى الســـجن ، نقل الى ((ميس)) الضباط تخفيفا عنه .. ثم أفرج عنه بعد ذلك فى مارس١٩٤٢

فى نفس الفترة التى بدأ فيها الالمانيان آبلر وساندى اتصالاتهما بى .. وبعزيز المصرى ..

كان القدر دائما ضدنا فى هذه الفترة .. ولكننا كنا نستفيد من القدر وجاءت الفترة التى اعقبت اعتقالى .. وتغير كل شىء ..

كيف أقيلت وزارة النحاس

- محمد ماهر ينفذ رغبات الانجليز ..
- فاروق يقول ليوسف رشاد .. "حسن البنا ضحك عليك!"
- ضممنا "الملك" الى صفوف الاعداء ..!
- اخلاص حسن البنا ..!
- العملاق الذي لا يقهر ..!
- الملك يخشى وكيل الوزارة!

في الساعة الخامسة تماما من مساء ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، انقطع صوت الاذاعـــة المصرية فجأة ، وكانت تذيع احدى الاغاني .. ثم عادت تصدر صـــوتا كان مألوفا لدى المصريين طـوال فترة الحرب هو صوت الاستاذ محمد سـعيد لطفى ، الذى كان مستشارا للاذاعة فى ذلك الوقت ...

كان يحمل أمر الاقالة التى وجهها فاروق الى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الانجليز ..

وكان واضحا فى صوت مستشارالاذاعة ، وفى القائه لهذه الاقالة : انه طروب بها مستبشر .. شمتان !

وكان سهلا على المدركين لحقائق الامور ان يعرفوا الاسباب التى تدعو مستشار الاذاعة الى الفرح الشديد بهذه الاقالة ، فقد كانت هذه الاقالة بشرى — من السماء ! — هبطت على ذلك الرجل ، لتنقذه من عـــذاب طويل ، وضـــيق وحرج لا مثيـــل لهما ، عاش فيهما أكثر من عامين ونصف عام ..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تتحدى القصر وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لاقالتها ...

ولو كان الخـلاف قائمـــا على أساس دســـتورى ، لـكان خلافا فى سبيل مصر .

رأس الملـــك !

ولـكن النحاس كان يتحدى الملك ، باسم الانجليز ، لا باسم الشعب ، ولا باسم الدستور .

والملك كان يحنى رأســـه ، لانه كان يعلم أنه لايســـتطيع شيئا غير الانحناء ، حتى تحين الفرصة ، ليبطش بهـذه الحكومة التى جاءت رغم انفه ، لتذل كبرياءه ، وتهدر كرامته !



مصطفى النحاس

وكان الملك قد جرب حظه مرة خلال حكم الوفد .. فأرسل حسنين يفاوض كيلرن ليسمح الانجليز بتغيير وزارة النحاس ، فكان الرد الذى تلقاه على ذلك ، هو برقية من تشرشل يقول فيها :

— لاتغيير ..

وسكت الملك ، وسكت حسنين ، وعلم الوفدبالامر ، فازدادت حكومته صلفا ، وبطشا ....

والمهم أن هذا الخلاف والتحـــدى بين الحكومة وبين ((الملك)) كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الاذاعة المسئول ....

كان الملك مثلا يأمر باذاعة القرآن الـكريم من القصر ، فترسل الاذاعة رجالها وآلاتها لاعداد مايلزم للملك .. وتسمع الحكومة بالأمر فترســل رجالها لسحب آلات الاذاعة

ويبدأ الحرج ، وتبدأ المتاعب ، للاذاعة ورجال الاذاعة ..

وكان الوفد يقرر القيام برحلات فى الاقاليم ، فيامر الاذاعة باذاعتها ، ويسمع الملك الهتافات والدعايات ، فيغضب ، ويبلغ غضــبه بطريقتـــه المعروفة ، لرجل الاذاعة المسكين ..

وهكذا ، كان على الاذاعــة ان ترضى الانجليز ، وان ترضى الحكومة ، وان ترضى الملك ، وكان هذا أمرا ، لاسبيل اليه !

فاذا أقال الملك حكومة النحاس ، فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الاذاعة ويستبشر .

وسمعنا هذه الاقالة من الاستاذ محمد سعيد لطفى ، وسمعنا بعدها مباشرة الامر الملكى الصادر بتكليف احمد ماهر بتشكيل الوزارة .. وكنا فى المعتقل ، قد استطعنا ان نحصل على جهاز راديو يسمح لنا باستعماله كلما رضيت عنا ادارة المعتقل .

ولا أخفى على القارىء انى أنا أيضا طربت لهذه الاقالة .. فقد كانت ــ عندى ــ الرد الاول على انذار ٤ فبراير المشئوم ..

وفى غمرة هذا الطرب ، غفلت عن تحليلها ، والتعمق فى مدلولها .

فان الامر لم يكن بعد قد ترك للملك يتصرف فيه كيف يشاء ... ولابد من مصدر لهذه القوة التى لبسته ، حتى اقال وزارة النحاس ... ولابد من اتفاق سابق ، وان التغيير آت من الانجليز ، لا من الارادة الحرة للملك !

تجاربنـــــا

غفلت عن هذا التحليل ، فى غمارالنشوة التى بعثتها فينا هذه الاقالة . .

وغفلت عنه فى غمار النشوة التى تلتها . اذ اصدر الرئيس الجديد أمره بالافراج عن جميع المعتقلين ... وبدات اعد نفسى للحرية . . .

وكل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الامل فى الحرية ، وكيف تتزاحم مشروعاتها على الراس ، وتتواثب صورها امام الخيال ...

ولكنى افقت بعد ذلك بقليل . . افقت من الامال ، وافقت من الخيالات وافقت من هذا الطرب الذى غمرنى عندما سمعت اقالة النحاس

فقد راى احمد ماهر ان يفرج عن جميع المعتقلين ... ولكنه راى ان فينا خطرا داهما يهدد النظام العام !

وبدانا التحليل ، وتعمقنا فى سر الاقالة ، وتكفلت الايام بعد ذلك بافشاء الاسرار !

وبدات اضيق ذرعا بالمعتقل واصبح وجودى فيه بعد ذلك ضربا من المستحيل ... فوضعت خطة هربى وهربت فعلا ، هربت فى الشهر التالى لاقالة النحاس ، اى فى شهر نوفمبر ١٩٤٤ ...

وبدات أتصل سرا باخوانى فى تشكيل الجيش ، واتصل سرا بالمرحوم حسن البنا ، واعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة ...

انها فترة طويلة على قصرها ، لانها كانت مغامرة كاملة ... ولعل القراء قد قرأوا طرفا منها بقلم غير هذا القلم ... وأعلى أعود الى ذكرها يوما من الايام بالتفصيل .

ولكنى لا افعل اليوم ، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة ، خطا تسير عليه ، يستهدف الكشف عن الاسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد لهذه الثورة ، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك التمهيد ...

خرجت من المعتقل لاكتشف عددا من الحقائق الجديدة ، ولا عرف عددا من الاسرار ...

خرجت لاسمع حديث الملك ، عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية ...

وكان حديثا عجيبا ... فالرجل الذى ضربه الانجليز ، او ضربوا مصر كلها فى شخصه ، لم يكن يخلق به ، ولا بكرامة عرشه ، ولا بكرامة البلد التى ((يملكها)) ان يذهب بنفسه لزيارة رئيس اعداء الانجليز ، الذى اصدر امره بتحرك الدبابات الى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية ..

ولكن ... متى كانت لفاروق كرامة ، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده ...

القوة التى فى الميدان

لقد ظننا هذا يوما ... وكنا فى ظنوننا مخطئين ... فالضربة التى اصابت كبرياء مصر من اجل الملك ، لم تصب ابدا كبرياء الملك من اجل مصر ... لانه لم تكن له كبرياء .

وخرجت لارى قصر رأس التين ، القصر الرسمى الثانى فى البلاد ، وقد امر الملك بتحويله الى مستشفى عسكرى ، لا لجنود مصر وضباطها ، الذين حاولوا الموت فى سبيل عرشه يوم هوجم عرشه ، ولكن لجنود الانجليز وضباطهم الذين تحركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الاول ، فى قلب العاصمة !

وخرجت لارى فاروق قد ترك كل ما كنا نرجوه فيه من معانى الشباب والوطنية ، وارتمى بين أحضان جنود أمريكا ، وضباط أمريكا ... يلعب معهم ، ويسهر معهم ، ويقوم برحلاته معهم ، ويلهو فى لياليه معهم ... وكانه رأى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الاستناد اليه ، ان تخلى عنه الانجليز !

وخرجت لأعرف السر فى كل هذا ... فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع . . ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر !

أصبح الملك يخاف ... يخاف على حياته ، ويخـاف ضياع العرش منه ، حتى لقد كان يتتبع أنباء التحركات الداخليـة لجنود الانجليز ، فلا يكاد يسمع عن اى تحرك من تحركاتهم ، حتى يؤوله بأنهم يقصـدونه به ، وانهـم يعتزمون ازاحتـه عن العـرش مثلمـا ازاحـوا من قبـل بعض أسلافه .. !

وكان تصرفه الواحد فى كل مرة من هذه المرات ، هو أن يترك قصره ، ويهرب الى انشاص ... وكأن انشاص كانت بعيدة عن دبابات الانجليز !!

واذن فقد اصبح الملك ألعوبة فى ايدى الانجليز ، ولم يعد فى استطاعتنا ان نعول عليه فى شىء من خططنا ... بل لعل الأسلم كان أن نعتبره .. من الأعـداء . . .

وهكذا ، ذهبت مع الأعداء ، صفوف الوفد وصـفوف السـعديين ، وقـوة الملك

ولم يبق فى الميدان الا قوة الاخوان .

هل نستعين بهم ... وهل نعول عليهم ؟

عاودت اتصالى بالمرحوم حسن البنـا ، وانا هارب من المعتقل ...

وتبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل ... فرغم كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت أشعر دائمـا انه يقول شـيئا ، ويخفى فى نفسه اشياء ..

ولكنه فى تلك المرة ، تبسط كثيرا وشرح كثـيرا ، وافاض كثيرا ... ثم ... ثم كلفنى بامر !

شرح لى حسن البنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين :

ناحيـة الملك ... وناحية الأجانب ...

وقال لى أن الملك قد بدأ يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الاخوان ، لما كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على ان يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة.

وقال لى ان الملك يدبر امره ليبطش بهـذه الحركة ، وانه يخشى ان يضرب الملك ضربته ، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها ...

العملاق الذى لايقهـر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن البنا عن شعوره بعدم وصول دعوته الى ذروة القوة والمناعة ... فقد كان دائما يعطى سامعه صورة للجماعة ، أشبه بصورة العملاق الذى لايقهر ولا يخشى عليه ...

واستطرد بعد ذلك الى ذكر طرف آخر من متاعبـه ، وكان هـذا الطرف ، هو موقف الأجانب من الدعوة ...

فقد بدأ يشعر بأن الأجانب ايضا يرهبون دعوته ، ويعتقدون انها اذ تقوم على وجوب الأخذ بشريعة الاسلام ستتعرض حتما لاعمالهم وأموالهم ، وحرياتهم الممنوحة لهم بمقتضى القانون السائد ، والدستور..

وقال لى ان هذه النظرة الموجدة الى دعوته ، من جانب الملك ، ومن جانب الأجانب ، تجعل الدعوة فى خطر جسيم ، فما ايسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة الى تحالف عملى للقضاء على الدعوة ، وعلى الجماعة التى تدعو اليها ... ويومئذ لايعرف من اين تصوب اليه الضربات !

واستمعت اليه ، منصتا ، ومناقشا ... ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة ، يريد أن يبدأ بها حديثا جديدا ...

وبدأ حديثه الجديد ...

قال لى انه يريد ان يضع حدا لهذه المتاعب ، وانه يعتقد أن الأجانب يمكن أن يطمئنوا الى الدعوة ، او اطمأن اليها الملك ...

ونظر فى عينى طويلا وهو يقول :

أنا استطيع أن اكسب طمأنينة الملك ، او تقابلت معه ...

وكان وجهه ينبيء فعلا عن الثقة الكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك .

وظهرت هذه الثقة أكثر وأكثر ، وهو يصف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفسه جميع الأوهام والشكوك لو تيسرت له مقابلته ... مرة واحدة !

ثم أوضح لى انه لايريد أن يبدأ مع الملك سياسة وفاق ، او تعاون ... ولكنه يريد أن يشيع جوا من الطمأنينة فى نفس الملك ، يجنب به سفينة الاخوان أية عقبات تعترض الطريق .

وقصد ـ رحمه الله الى هدفه بعد ذلك مباشرة ، فقال لى : أنت تعرف يوسف رشاد ...

قلت له : نعم ... أعرفه ، وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة .

فقال : ويوسف اليوم ذو حظوة ، فلو استطعت أن تشرح له هدفى .. وان تفهمه انى لست خطرا على الملك ، ولا اريد ان اكون خطرا ، لامكنه اقناع الملك بمقابلتى ...

واجبته انا : احاول ... !

ومضيت فى تلك الليلة ، ابحث الأمر بينى وبين نفسى ... هل اقوم بهذه الوساطة ، وكيف اقوم بها .. وما مدى مايمكن ان يترتب عليها . وكنت اذ ذاك لا ازال هاربا اعيش متنكرا ، واتحاشى الظهور فى أى مكان

ولكنني مع ذلك .. ذهبت الى يوسف رشاد ... وابلغته رسالة حسن البنا ، فناقشني فيها ، ثم وافق على أن يلعب هذا الدور .

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى : لقد فاتحت الملك فى هذا الامر ، فى محادثة تليفونية بيني وبينه واذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه وجهة اخرى ... وقابلته بعد ذلك فقال لى :

ـ كيف تكلمنى تليفونيا فى أمر كهذا ، ألا تعلم أن حسن رفعت يراقب التليفونات ؟ !

ودهشت انا عند سماع هذه الكلمة .. فقد فهمت منها انه يخشى المراقبة ، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية !

وعاودت الالحاح على يوسف رشاد بعد ذلك وفى هذه المرة ، استطاع يوسف ان يحصل على اذن من الملك ، بان يقابل هو اولا حسن البنا ، ويستمع اليه ... وينقل حديثه الى الملك ليرى ان كان يقابله ...

وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد ... وفى احد الايام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم ... واستمع يوسف لحظات قصيرة ... ثم قال حاضر ... وانتهت المكالمة .. ونظر الى يوسف وقال لى : ان الملك يقول :

ـ الغ كل ماقلته لك بشأن حسن البنا ..

ويئست انا من المحاولة ، وخصوصا انى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى ... وأبلغت حسن البنا بيأسى ...

ومرت ايام ... وسقطت الاحكام العرفية ، وبدات اظهر من جديد .

اتحاد الكلمة

وكنت فى بيتى بعزبة النخل فى إحدى الليالى ، عندما أقبل حسن البنا ، ومعه المرحوم محمود لبيب ، فتناولا معى طعام العشاء ..

واخذ حسن البنا يتحدث عما يمكن ان تجنيه البلاد اذا ما اتحدت الكلمة ، وهدات شكوك الملك فى الاخوان ... ولكنه كان فى هذه المرة شديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح ، لوجود المرحوم محمود لبيب ...

وفهمت انا انه يريد منى ان اعاود الكرة ، والح فى تدبير مقابلة له مع الملك ... فلمحت له بدورى ، بانى سافعل ...

وفى اليوم التالى ، قصدت الى الاسكندرية ، فقد كان الملك هناك

فى تلك الايام ، وكان يوسف رشاد الى جانبه ، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الامر واقنعته بمعاودة المحاولة

وبذل يوسف رشاد جهدا كبيرا مع الملك ...

وضحى فى سبيل ذلك تضحية . . كانت كبيرة في ذلك الوقت !

فقد غضب منه الملك ، واقصاه عن صحبته عشرة ايام طوال .. وعندما عاد يقربه ، قال له : اياك ان تفاتحنى مرة اخرى فى هذا الموضوع !

اخلاص حسن البنا !

وللتاريخ بعد ذلك اذكر ، ان الملك فى يوم من الأيام ، قد دعا اليه يوسف رشاد ، وطلب منه ان يتصل بحسن البنا ، وان يستمع الى ماكان حسن البنا يريد أن يقوله له ..

والتقى يوسف رشاد بحسن البنا وتحدث معه ثلاث ساعات ..

وقال لى يوسف رشاد ، انه خرج من هذه المقابلة ، مقتنعا تماما بخلوص نية حسن البنا نحو الملك .. وانه ذهب الى الملك فنقل اليه كل شىء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له : حسن البنا ضحك عليك !!

وحاول يوسف رشاد ان يدافع عن نفسه ، وان يقنع الملك بانه ليس الساذج الذى يضحك عليه الناس ... ولكن الملك ضحك ضحكته المشهورة . واعاد جملته : **حسن البنا ضحك عليك ..**

هذا ماقاله لى يوسف رشاد ...

وقال لى أيضا بعد ذلك بأعوام ، أن الملك فى أواخر عهد ابراهيم عبد الهادى قال له :

ـ احنا غلطنا فى ضربة الاخوان . وحقنا نرجع لسياستنا القديمة ..

الله أعلم !

وسالت يوسف رشاد ، وما هى السياسة القديمة ؟ .. فقال :

صدقنى ... أنا لا أدرى ... ولكن يبدو ان صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى . . وان الملك قد اتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ موقفا معينا من الاخوان .. ثم عدل عنه بعد حرب فلسطين ...

قال لى ذلك ... ثم قال : **والله اعلم ...**

هذه هى العناصر التى كانت فى الاجواء خلال الفترة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وفى هذه الفترة ، كان جمال عبد الناصر قد بدا خطته الجديدة .

حاولنا الهرب إلى استنبول

- صداقة .. وصديق ...
- عشرة جنيهات فقط ...
- لماذا لم ننسف السفارة البريطانية
- فدائيون في الجيش .. وفدائيون في الشعب!
- متى نضعف ..؟
- جمال يعود ...

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة ، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان ، الا انه وجد من الخير للتشكيل وللثورة ، الا يعاود العمل المنظم الفعلى الا بعد أن تستكمل لهذا العمل أسباب النجاح ، وكل وسائله ..

وقد جاءت هذه الاسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات .. وعندما بدأت أعمال وخطط منظمة وصلت الى غايتها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

ومع ذلك ، فقد كانت هناك اتصالات ، وكانت هناك ألوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت اعتقالى ، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال ..

مدة كانت فترة ركود ، ولكنها لم تخل من عمل .. ومن تفكير فى عمل ..

عندما اتذكر اليوم تلك السنوات التى اتصلت فيها بحسن البنا ، قبل اعتقالى ، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان ـ رحمه الله ـ يلتقتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال .

لقد كان الرجل بعيد النظر ، وكان يتوقع كل شيء ..

وانا أتذكر اليوم ، كم الح على حسن البنا ان أذكر له اسما واحدا من اسماء زملائى ، ليتصل به ان حدث ان عاقنى شيء عن الاتصال به .

وكنت انزعج لهذا السؤال ، وكنت اتهرب من الاجابة عليه ، فقد كان متفقا بينى وبين اخوانى ان اظل انا وحدى ، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الاخوان .

ولكنه ألح .. وألح كثيرا ...

وفى مرة احرجنى ، فأطلت التفكير .. ثم اخترت أن أذكر له اسم عبد المنعم عبد الرؤوف ..

ولا اذكر على التحديد لماذا اخترت عبد المنعم .. وكل ما استطيع اليوم ان اذكره من افكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات ، هو انى اخترت هذا الزميل ، ربما لانه كان أول من انضم الى تشكيلنا عقب عودتنا الى القاهرة فى عام ١٩٤٩ .

ولم يعلق حسن البنا بشيء عندما ذكرت له اسم عبد المنعم . وانما لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا ، بحادث اغتياله المشهور ..

ولكنى عندما قابلته اول مرة بعد ذلك ، ذكر لى اسم عبد المنعم واثنى عليه طويلا .. ثم اخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة عن تاريخ عائلة عبد المنعم وحياته وبيته ..

وفهمت أن صلة ما قد وجدت بين اسرة عبد المنعم ، وبين مرشد الاخوان ، وانها صلة قديمة ، وانها صلة معرفة وصداقة وبيئة ، فقد كان جد عبد المنعم شيخا للازهر . كما ان عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقوى ..

وامسك حسن البنا عن ذكر عبدالمنعم بعد ذلك ، حتى ظننته نسيه .!

ثم كان القبض على عزيز المصرى وكان الافراج عنه ، ولم يشر حسن البنا اليه ابدا ..

صداقة .. وصديق

وعندما افرج عن عبد المنعم وكنت أنا اذ ذاك طليقا لم يقبض على فقد افرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام ١٩٤٢ ، ولم يقبض على أنا الا فى اغسطس من ذلك العام .. عندما افرج عنه ، لم اشأ أنا أن اتصل به فى شيء ، كنت أخشى عليه أن تثور حوله شكوك جديدة .. وكنت اريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال ..

ولكن يبدو أن عبد المنعم اساء فهمى حينذاك ، فقد غضب فى نفسه وتضايق .. وعرفت ذلك فيما بعد

وجاء اليوم الذى قبض فيه على وقبض فيه على عزيز المصرى مرة اخرى .. ولم أكن اذ ذاك على صلة بعبد المنعم ، ولا على شبه صلة به .
وكان آخر شيء افكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد اعتقالى ليقوم بما قمت به ، لفكرتنا ، وليقوم بواجبات اخرى يكلف بها نفسه .. لشخصى ...

انها الصداقة التى آمنت بها دائما ... هى التى دفعته أن ينهض فورا بعبء كنت انهض به .. ثم ان يفاجئنى مفاجأة اخرى ..

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت الى معتقل المنيا .. وكنت اذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى ، بالقراءة الكثيرة اقطع بها وقتى ..

وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا ، مثيرا للنفس باعثا للكآبة ... والجنون .

فمثلى فقير لا يملك غير عمله .. وذو زوج واولاد .. يعيش فى المعتقل لا يعرف لاهله معينا ، غير الذى خلقه وخلقهم .

وفى طريقى اليومى الى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشى محمد وجيه خليل ، الذى استشهد فى حرب فلسطين ، وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرؤوف .

وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى اذنى ان التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر ، وانه جاء لكى يطمئننى بعد ان عزل عن الجميع زيارتى ..

متى نضعف ؟

وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى اسمى ما يمكن ان يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال .

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من اجل فكرة انهم لا يضعفون امام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب ، وقد يخيل اليهم فى لحظات الحماس والانفعال انهم لن يضعفوا امام شىء فى الوجود .. ولكنهم فى هذا واهمون . فهناك الشىء الذى يضعفون امامه ، والذى لا يملكون حياله شيئا الا الفرار .. الفرار من الواقع ، والفرار من التفكير فيه .. الفرار من هذه المطارق التى تطرق الراس والقلب والضمير ... وتحيل الجبار وهما ضعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح ، ويقظة الفكرة المتاصلة فى نفسه ومثالية الهدف ..

ولعلك عرفت الان ، ما هو هذا الشىء الذى يضعف امامه المجاهدون ... وانه الولد ، الطفل .. العيال !

هؤلاء الصغار الودعاء ، الذين تدفعهم دفعا الى مرارة الكفاح ، وتاخذهم اخذا على الصبر والحرمان والتقشف ، ولما يبرحوا بعد مهاد الطفولة ، ولما يعرفوا بعد مراح الصبا ...

هؤلاء هم نقطة الضعف فينا ... وهى نقطة ضعف اعترف بها ، ولا تخجلنى ... لاننى انسان !

وقد كنت احتمل ان يحرم اطفالنا من رعاية ابيهم ... ولكنى ما كنت اصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة

وكانت هذه الجنيهات العشرة ، هى العون الوحيد الذى اقبله لاطفالى لانها لم تصدر عن عطف ولا اشفاق . وانما صدرت عن فكرة مشتركة ، وتكافل بين مكافحين ...

وبدات انسى هم الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل ... وبدات افكر فى خطوط المستقبل ، وخطوات الجهاد .

وكان مجرد تفكير نظرى ، تنقصه حكمة الواقع ، ودراسة الطبيعة .

وكان اهم ما يشغلنى هو ان اخرج من هذا المعتقل ، ولكنى لم اكن قد حددت بعد ، لماذا اخرج ، او ماذا استطيع ان اصنع وانا مطارد شريد !

الى تركيا ...

ويبدو انى لم اكن وحدى الذى فكر فى هذا الامر .. فقد فكر فيه عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت انا افكر فيه ...

وفى جلسات متعاقبة مع بعض أعضاء التشكيل من سلاح الطيران ، وكانوا من أكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا ... أخذ عبد المنعم يضع خطة لتهريبنا .. عزيز المصرى وأنا ...

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات ، ولم تكن خطة عملية على أى حال ...

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى واختطافه اختطافا مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى انتظاره تحمله الى المنيا .

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الاول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لاهرب فاجد عبدالمنعم فى انتظارى .

اما الشق الثالث .. فكان قائما على ان تقوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى اليها ، واخرج انا من المعتقل .

وكان الاتفاق أن تحملنا الطائرة فورا الى سوريا .. او الى اسطنبول

وكانت كفة الاراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة ، للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب .

ولـكنها ـ كما قلت ـ لم تـكن خطة عملية .. فلو قـدر لهذين الهجومين المسلحين ان ينجحا ، لمـا كان من السهل ضـبط التوقيت فى العمليتين معا ، بحيث لاتزيد مدة بقائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنا الطائرة بعدها الى خارج الحدود .

لم يكن هذا سهلا .. ولعل اسهل ماكان فى هـذه الخطة هو الدور الخاص بسلاح الطيران .. فقد كان زملاؤنا الطيـارون ، اكثرنا اندفاعا وحماسا فى كل شيء .. وكنا نرجع ذلك دائما الى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة والى قوة اعصابهم التى تعتبر شرطا اساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح .

كان الجزء الخاص بالطائرة .. هو الجزء العملى الوحيد فى هـذه الخطة ، اما اقسمان الاخران منها فـكانا يحتويان على كثير من الثغرات الـكافية لخلق متاعب جديدة لنا ، كنا فى غنى عنها .

وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده .. فقد كان التشكيل ـ كما قلت ـ فى فترة من فترات الركود

تطورات .. باجمـلة !

ولـكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحيـاة المصرية ، وفى موقف العناصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد .

فقد أصبح للملك ـ مثـلا ـ موقف جـديد وتطورت نظرته الى عرشه ، والى شعبه والى مستقبله والى الانجليز تطورا كبيرا ..

هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى اعتبرناه فعلا رمزا لمصر .. واعتبرنا الاعتـداء على قصره اعتداء على مصر .. واردنا ان نثـار له بابادة الانجليز .. قد تطور أو تغير .. ووضح لنا هذا التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصف الاول من صفوف الاعداء ...

واحمد ماهر .. الذى مـلأ قلوبنا يوم ان وقف وقفته امام الانذار البريطانى فى عام ١٩٤٢ والذى علقنـا عليه أملا كبيرا يوم عاد الى الحكم فى عام ١٩٤٤

لم يكد يستقر فى مقعد رئيس الوزراء حتى اصدر امره بالافراج عن جميع المعتقلين فورا .. الا نحن .. فقد اصدر امره بابقائنا فى الاعتقال وكان هذا الامر بناء على ((أمر)) من الانجليز ، ولا أقول بناء على طلب او رغبة او تفاهم !

وحسن البنا ، الذى كان قد اصبح قوة رهيبةيخشاها الملك ، ويعلن من مخاوفه منها ، بدأ يضع لنفسه سياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الاخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر او غدره .. وكان رحمه الله قديرا على اقناعنا بخطته ، وعلى الامساك بطرفى حبلين فى قبضته .

جمال يعود ...

وفى هذا الوقت هربت أنا من المعتقل .. هربت فى نوفمبر ١٩٤٤ اى بعد تأليف وزارة احمد ماهر بشهر ..

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة ..

ففى الوقت الذى انصرف فيه عبد المنعم عبد الرؤوف الى الاخوان المسلمين انصرافا كليا . وفى الوقت الذى هربت أنا فيه من المعتقل ، وبدأت أكافح لأعيش هاربا شريدا أقتات من عدد من الاعمال الغريبة هنا وهناك متنكرا مستترا حتى ألغيت الاحكام العرفية عام ١٩٤٥ فبدأت أظهر بوجهى

فى هذا الوقت.. كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتولى بنفسه أمر التشغيل داخل الجيش ، لينظمه تنظيما جديدا وليضع له خطة بعيدة المدى طويلة الأمد قائمة على فلسفة مدروسة واقعية .

وبدات حركتنا تتخذ صورتين ..

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال عبدالناصر

وصورة خارج الجيش توليت انا امرها ..

وكان الغالب على الصورتين ، روح فدائية ، وكانت بين الصورتين صلات ...

كنا قد بدانا نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد اثر احداث واحداث .

وكنا قد رسمنا خطتنا القريبةعلى أن ننشىء تشكيلاشعبيا وتشكيلا عسكريا ، يعملان جنبا الى جنب ، كل بوسائله وكل بخططه ، ولايرتبط احدهما بالآخر أى ارتباط ظاهر حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك .

ومر بنا تاريخ طويل .. ووقعت أما مأعيننا هزات عنيفة

نسف السفارة ...

وكنت اتعجل الخطى .. وكان جمال يتريث ..

حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشىعقب مصرع المرحوم احمد ماهر .. وذهب النقراشى الى السفارة البريطانية فقابله كيلرن .. على سلم السفارة ..

وكانت هذه القصة حديث مصر ..

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة .. ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها ، دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من اعمال الجنون .. فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكد يشير الى مطالب مصر ، حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية ، وقال للنقراشى ، دعك من هذا الكلام .. فان حديث الجلاء والوحدة ليس الا حديث خرافة .

وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها

وذهبت الى جمال .. وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى ، لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها .

واستمع لى جمال طويلا . وناقش خطتى مناقشة كاملة . واقر كل اطرافها وعناصرها ..

ولكنه فى آخر الامر .. هز رأسه وقال : لا ..

كان يستعرض فى ذهنه الاجراءات التى يستطيع الانجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم وكان يستحضر فى ذهنه مصرع « لى ستاك » سردار السودان ..

وقال : لا .. نحن لانريد ان نعيد ماساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاما ..

وكان على حق .. فعشرون عاما فى عمر أمة مكافحة ، ينبغى لها ان تغير من اساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس ..

ولم تتم هذه الخطة .. ولكن بدا صراع من نوع آخر جديد ..

هذا اجمال لفترة طويلة .. ولكن هل يكتفى القارىء منى باجمال ؟! ..

ان للقارىء ان يسأل عن موقف الملك وكيف تطور ..

وله ان يسأل عن موقف الاحزاب وكيف تطورت ..

وله أن يسأل عن موقف حسن البنا وكيف تطور وكيف تعاونا معه وكيف تعاون معنا .

وله أن يسأل عن جمال عبد الناصر كيف بدأ خطوطه الجديدة

وله أن يسأل عن سر التشكيلين الفدائيين .. تشكيل الجيش وتشكيل الشعب وله ان يسأل عن دور الاحرار فى معركة القتال ....

وله ان يسأل عن ثورة الاحرار فى نادى الضباط ...

وله ان يسأل عن خطة الاحرار التى اتبعوها بين صفوف الشعب ...

وله ان يسأل عن الترتيبات والظروف التى اخرت موعد قيام الحركة .!؟

له ان يسأل عن كل هذا ؟

جمال عبد الناصر يرسم خطوط الثورة

- يوم السلام وسلطان الظلام..
- الجيش والشعب مظلومان !
- الملك والأحزاب في خزنة الاستعمار.
- من الذي تقدم لحماية الملك..؟
- الفساد والرجعية والحزبية البغيضة.!
- لابد من قوة تقضي على الإقطاع..

يستطيع قارىء هـذه الصفحات ان يبـدا من هنا فصلا جديدا كاملا من تاريخ هذه الثورة .

وهو فصل يختلف فى كثير عمـا تضمنتـه الصفحات السابقة ... فحيث قام التمهيـد الاول ، للثـورة ، على اسـاس اكثره عاطفى ، وحيث استطاعت الظروف والاحـداث والتقلبات السياسية ان تكون عاملا اساسـيا فى دفـع خطواتنـا الاولى وتوجيهها .. واملاء اعمـال واتصالات معينة علينا .. فان الشـطر الثـانى من هـذا التمهيد الطويل للثورة ، او الفصـل الثانى الذى نبدأ تاريخه اليوم يتميزاول مايتميز بسيطرة العقل على كل خطواته ، التى بدات تقوم على اسـاس معـين مدروس ، ولهدف محـدد مدروس .. وفى تتـابع منطقى ، لا صلة للاحداث الوقتيـة به ، اللهـم الا صـلة العوامل المساعدة على زيادة الوعى بين عناصر الشعب والجيش ، وبعث اليقظـة الحقيقية ، واشـعار الافراد بان القضية قضية كل منهم .. واشـعارهم .. بضرورة الثورة ..

وان كانت الصفحـات السابقة ، قد حوت اعمالا ، واتصـالات ، اسـاسها انفعالات فردية اوشبه فردية بالاحـداث .. فلن تضم الصفحات التاليـة سوى اعمـال ، تنظيمية ، تنتفى منهـا الروح الفردية ، ويسيطر عليهـا عقل التشكيـل المنظم ، ونتـائج المناقشات والابحاث بين العناصر التى اجتمعت وتالفت ، وحددت اهدافها .

لقـد آن وقت العمـل الجماعى المنظم ... وبدا جمال عبد الناصر يخرج من صمت المراقب ، الى حركة القائد الذى يعد العدة لاكبر معـركة تنتظرها مصر منذ غلبت على امرها تحت اقدام الطغـاة ...

يوم الســلام

لو قدر لهذا الفصل ان يوضع تاريخ لبدئه .. لامكن ان يقال
ه بدا فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، نحدد هذا التاريخ ، ولا نقصد به
ن اعمالا معينة بدات فى هذا اليوم بالذات .. وانما نعنى فقط ان
ـذا اليوم ، قد وضع حدا لفترة من تاريخ العالم ، تبدا بعدها فترة
خرى .. ومصر ، كجزء من العالم ، تتأثر حتى باحداثه الكبرى كما
ن ظروفها الداخلية ، كانت لابد ان تتأثر ، بهذا اليوم ايضا

انه يوم انتهاء الحرب فى اوربا ..

اليوم الذى انتظره العالم طويلا ، وخدع به العالم كثيرا .

فقد سمي يوم السلام !

وقد سمى يوم النصر !

واعتقد الناس ، او هكذا ضللهم سادة الغرب ، ان العالم قد بدا حقبة حقيقية من السلام .. وان قوى الخير قد انتصرت فعلا على سلطان الظلام ، وان هذا الخير سيعم جميع الامصار والشعوب ، وان المواثيق والعهود التى كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحرب ، ستصبح منذ اليوم حقائق بارزة فى تاريخ الانسانية .

ولم يقل احد لهم ابدا ، ان سلطان الظلام قائم فى نفس القوى التى كانت تحاربه ، وان المواثيق والعهود ، قد اعدت لاحاديث الدعاية فى اذاعاتها ونشراتها وافلامها وصحفها ، وانها ستصبح تاريخا بمجرد انتهاء الحرب . الم نكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطى والم نكن قد قرانا عنه فى مئات من الصور المختلفة ، والم تكن نشرات الدعاية واذاعاتها تقول حينئذ ان هذا الميثاق يجب ان تتضمنه محفوظات تلاميذ المدارس ، لانه دستور الحياة والكرامة والعدالة التى تمخضت عنها الانسانية بعد ابشع مجزرة شهدتها الحياة .

الفرصة المناسبة

كنا نسمع هذا ، كما كان العالم يسمعه ، وكنا ننتظر اليوم الذى تضع فيه الحرب اوزارها ، لا ايمانا منا بصدق هذه الشايات ، ولكن لنبدا خطى جديدة على ارض واضحة المعالم .

فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى اشياء كثيرة ...

يعنى تبلور الاوضاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخادعات ولا الاحتمالات .. وانما تسمح بشيئين اثنين .. لا وجود لثالثهما العمل لمصر ... والعمل ضد مصر .

ولكل من العملين طريق واضح ، ومظاهر لا تخفى على احد ... وليس بين الطرفين طريق وسط ..

هذا هو اول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة الينا .

وكان يعنى شيئا اخر ..

كان يعنى قرب انتهاء الاحكام العرفية . . الكابوس اللعين الذى وضع مصائر الاحرار تحت رحمة مخابرات الانجليز وجواسيسهم والذى كان يتهدد كل من يحاول ان يخطو خطوة وطنية واحدة خلال اعلانها ..

وان لم تكن هذه هى الفرصة المناسبة لبدء العمل المنظم ، فليست هناك فرصة اخرى ..

تجارب السنين

ولمح جمال عبد الناصر هذه الفرصة التى كان قد فكر فيها طويلا خلال الحرب .

ثم بدا ينظم خطوطه ، ويحدد اعوانه ، ويرسم خطواته لهدف كبير

وكان جمال الذى يعمل ، هو جمال الناضج الذى مرت به تجارب

السنوات الست الكثيرة ، سنوات الحرب ، وما تخللها من احداث داخلية وخارجية ، وما رآه فيها من هزات عنيفة ، ومن محاولات وطنية واخرى خائنة ... ومن بطولات زائفة ، واساليب خادعة ومن اوضاع غريبة حلت بالجيش ، او فرضت عليه ، ومن دعايات مثيرة ، غرق فيها الشعب وتهدف كلها الى تضليله لكى يكسب الاستعمار واذنابه من الخونة واصحاب المصالح والحكام الفاسدين .

وكان جمال يرى ان هذه الظروف والاحداث والصور قد مرت بغيره مثلما مرت به .. وان هذا الغير قد تاثر بها وانفعل ، واكتسب وعيا جديدا ، نشأ فى فترة الحرب وآن له أن يتجمع .. وان يعمل.

وعيا فى كثير من عناصر الشعب . ووعيا فى كثير من عناصر الجيش . . وعيا لابد ان يحرك اصحابه الى عمل معين او اتجاه معين .. ولا بد لكى تنجح خطى اصحابه ، ان تتجمع وان تتوحد وان تتحدد اهدافها .

الجيش والشعب

وكان ايضا يرى عقبات فى الطريق .

فعلى الرغم من ثقته بأن العناصر الواعية فى الجيش ، تسيطر عليها نفس الافكار والمبادىء التى تسيطر على العناصر الواعية فى الشعب ... وعلى الرغم من شعوره بأن مايسخط منه أفراد الشعب وجماعاتهم هو عين ما يسخط منه ضباط الجيش وجنوده .. وعلى الرغم من ثقته بأن المعركة التى يجب أن تبدأ هى معركة الجيش والشعب معا .. الا انه كان يشعر بانعدام ثقة الشعب فى الجيش وانعزال الجيش انعزالا ظاهرا عن قضايا الشعب ..

فقد كانت صورة الجيش فى ذلك الوقت هى صورة « الكرباج » الذى يلهب به الطغاة ظهور ابناء الشعب ، هو سيف التهديد الذى يملكه الحاكم ويملكان يسخره ضد هذا الشعب كلما ثار او سخط

انها الصورة التى رسمها الانجليز وشاركهم فى اظهارها ، ووضع الاطار حولها ، حلفاؤهم : القصر ، والاحزاب

وأصبح الشعب لايخشى الملك ، لا لانه مقدس ، أو لان القانون يحميه ، ولكن لانه القائد الاعلى للجيش ، والمسيطر على تحركاته ، والآمر فيه والناهى . . .

والجيش مظلوم ...

والشعب مظلوم ...

فلم يكن جيش مصر اجنبيا عن ابنائها ، لم يكن جيشا من المماليك او المرتزقة .. ولكنه كان جيشا من الشعب .. مشاكله هى نفس مشاكل الشعب ..

ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها باساليب كثيرة وفى مناسبات متعددة ، تجعله يخشى جيشه ، وكانه جيش احتلال .

كانت هذه هى الحقيقة الاولى فى الموقف .. ان الشعب يعتقد ان هذا الجيش هو جيش فاروق لا جيشه .. وانه يائس من امكان القيام بالثورة الكبرى ، لان الجيش عندئذ لن يثور فى صفوفه ، ولن يقاتل عن مطالبه . وانما سيقف فى وجه ابنائه يضربهم بالحديد والنار ، ويحطم معنوياتهم ، وينصر عليهم الظالم والطاغية والمحتل

وكان حاجزا ليس من اليسير تحطيمه ، فليس من اليسير أن تخلق ثقة وايمانا ، حيث لاثقة ولا ايمان .

الحلف الكبير

وكان هناك الى جانب هذا العامل حلف آخر كبير .. جمعت عناصره مصالح مشتركة كثيرة .

وكان هذا الحلف ، يجمع بين الملك والاحزاب ، والرجعية ، ويعمل بوحي الاستعمار ، او يعمل لصالحه .

وقد لا نذهب وراء الاستنتاجات كثيرا ..فنتهم عناصر هذا الحلف بالخيانة العامدة .. ولكن شيئا فى الوجود لا يستطيع ان ينفي عن هذه العناصر جميعا ، انها كانت تخدم الاستعمار ، ضالة .. او عامدة

فاما الملك .. فقد كان عامـدا متعمـدا فاهمـا لما يعمل حق الفهم كان الملك قد عرف تماما ان الهوة سحيقة بينه وبين هـذا الشعب .. وكان الذين حوله ، من الحاشية الفاسدة والرواد الخائنين ... قد أقنعوه تماما ، بأن كل تقرب من ناحيته الى الشعب ، سيزيد من نهم هذا الشعب فى مطالبه .. وان هذا الشعب ان لم يضرب بالسياط سيتغول ، ويتحول الى خطر داهم عليه وعلى اسرته وعلى عرشه ايضا .

من يحمى الملك ؟

وكان حسنين يقول بلسان الملك ، « لقد عرض الملك عرشه فى الطريق ، فلم يتقدم لانقاذ هذا العرش احد من ابناء شعب مصر ..

وهو يعنى يوم ٤ فبراير ، حينما تحـدى الانجليز .. فلمـا انتصر الانجليز عليه وعين النحاس رئيسا للوزراء ، هتف الشعب للنحاس ولم يلتقط عرشه الذى القى الانجليز به ... فى الطريق . !

وكان حسنين يبرر بهـذا مسلك الملك ، الذى بدأ يبدو من تقـربه للانجليز ، وخضوعه لاوامرهم وبيعه نفسه لهم .. فالملك بحاجة الى من يحميه .. وقد اثبت الشعب ، فى ٤ فبراير انه غير مستعد لحماية الملك.

أحزاب الاقلية

وكان فى هذا الحلف مع الملك .. احزاب الاقلية ، التى لم تحلم يومـا بالوصول الى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة من التزوير ، وكانت هذه الاحزاب منذ نشأت تعرف ان طريقها الى الحكم هو الايقاع بين حزب الاغلبية وبين الملك ، والاعتماد على قوى السلطة المحتلة والسلطة الداخلية فى حكم البلاد .

وكانت للملك تاتى الى الحـكم بغيضة كريهة ، وتذهب عنـه مشيعة بلعنات شعب مصر ..

ولـكن الطريق قد دخلت عليـه عوامل جـديدة بعد ٤ فبراير .. وجـدت هـذه الاحـزاب فرصتها لتضـليل الشعب بمـا تزعمه من

وطنية الملك ، ومن انها تاتى الى الحكم ، لتنتقم للوطنية المصرية من قبول حزب الاغلبية الحكم على حراب الانجليز .

وبهذا بدا الشعب يتعرض لحملة تضليل كبير مثيرة تشنها عليه احزاب الاقلية ، متحالفة مع القصر ... مع الملك واعوانه ورواده وحاشيته .

الفساد ...

اما حزب الاغلبية .. فقد اغرق فى الفساد ، وداخلته شياطين الشهوة فضم اليه الاقطاعيين والسماسرة .. وربط بمصالحهم مصيره ، وبدا هو الاخر ينعزل عن تمثيل الشعب . تمثيلا صحيحا يقوده به الى اهدافه الحقيقية .

لقد تمثلت ديكتاتورية الاغلبية فى ابشع صورها واصبح من العبث التفكير فى اصلاح هذا الحزب بعد ان قوض بنفسه الاساس الشعبى الذى يقوم عليه ..

... والرجعية

ولم يكن هذا وحده هو كل شىء فى الجانب الآخر ، كانت حملة الرجعية المتجرة بالقيم الروحية لشعب مصر .

وشعب مصر شعب مؤمن متدين ولكن الايمان والتدين شىء ، ومحاولة استغلال هذه الحقيقة العميقة فى الشعب ، استغلالا يحولها عن الغاية السامية منها تحويلا كاملا .. شىء اخر .

فالايمان والتدين خيران اصيلان فى طبيعة شعب مصر .

والاتجار بالدين شر مستطير يخلق الدين اهدافا غير اهدافه ، ويجعل منه عاملا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر ، ويفسد الجماعات

أمراض الشعب

ولكن هذا هو الموج المتلاطم الذى كان يحوط سفينة الشعب .

استعمار قائم .. احلاف من القصر والاحزاب والرجعية .. ودعايات

تنصب انصبابا فوق رؤوس هـذا الشعب المسكين ، وكلهـا تحاول ان تنحرف به عن دوره الحقيقى فى المعركة الى ادوار كثيرة اخرى تخـدم اهداف الاستعمار وحلفائه المستترين والظاهرين .

وفوق هـذا كله .. فهناك جبهة الشعب ايضا ، وما تعانيه من امراض امراض وراثية بعيدة الغور متاصلة الجذور .

امراض اورثه اياها ذله الطويل تحت سياط الاقطاع والملوك والطغـاة وجيوش الاحتلال .

امراض منها التردد ، ومنها النفاق ومنها الاستسلام للواقع ، ومنهـا الخوف .. ومنها ، ومنها .. ومنها !

امراض لا سبيل الى بعث هـذا الشعب ، الا باستئصالها ، ولا سبيل الى استئصالها الا بازاحة اسبابها من الطريق

لابد من قـوة

فلابد اذن من قوة تعمل لازاحة هذه الاسباب ...

لابد من قوة تزيل من البلاد الملكية الطاغية لتزيل بعد ذلك آثارها .

ولابد من قوة تقضى على الاقطاع قضاء مبرما لتستطيع بعد ذلك ان ترفع مستوى الشعب ، ومعنوياته ، وتزيل منها اثار الخضوع والخنـوع والاستسلام والخوف ...

ولا من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقوقه وحريته المقدسة التى سلبها منه الاستعمار قرونا وقرونا حتى فقد الشعب الامل فى الخـلاص منه .. او كاد يفقد هذا الامل .

ولابد من قوة تستطيع ان تقف فى وجه الاحزاب التى تستغل الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الانجليز ، وتقف فى وجه الرجعية التى تضلـل الشعب ، وتنحرف به عن طريقه الذى رسمته له فطرته السليمـة طوال القرون الماضيـة ، وتثبت اقدامه فى طريق التطور والنهوض .

لابد من قوة تصنع كل هذا ... لنصـل بالشـعب الى الامـل الذى

يراوده : ان يحكم نفسه بايدى أبنائه ، وان تكون له بنفسه الكلمة العليا فى مصيره .

ولم تكن هناك قوة تستطيع ان تقوم بهـذا العمل .. غير الجيش .

الجيش الذى لا يثق به الشعب ، والـذى يعتبره سوطا يلهب ظهره بامر الطغاة ، والـذى استطاع الاستعمار واعوانه ان يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذى ينبت منه .

هذا الجيش الذى كان يطمع الشعب فى معونتـه ، ولكنه طالمـا وجـد نفسه بمنأى ومعزل عنه .

وبدأ جمـال يرقب هذه الجبهـات ، الاعـداء ، والملك ، والاحـزاب ، والرجعية ، والانحلال الذى بدأ ينخر فى عظام الامة ...

ووضع جمال عبد الناصر هذه العوامل والقـوى جميعا امام ناظريه ... ثم بدأ ...

بدأ يرسم الوسيلة ... ويضع الخطوط ، ويعد التنظيم الذى يستطيع ان يقود الجيش الى معركته الـكبرى باسم الشعب .

بدأ يصنع ذلك ، فى الفترة التى تلت يوم ٨ مايو ١٩٤٥ ... يوم النصر كمـا اسماه الانجليز .

اللجان الخمس التي أوصى بها جمال عبد الناصر

- الإدارة الاقتصادية.
- إدارة التشكيلات.
- إدارة الدعاية.
- كان سلاحنا زجاجات مولوتوف.
- الذين "وصموا" بالكفاح الوطني.
- كانت الصداقة هي أساس التشكيلات.

بعد الدراسة المستفيضة التى قام بهـا جمال عام عام ١٩٤٥ للموقف ، وما يحيط به من ظروف وملابسات قرر ان يبدا العمل الداخلى فى الجيش

والذين يعرفون ((جمال)) يعرفون انه رجل لا يبدا عملا حتى ينتهى تماما من بحث جميـــع تفاصيله ، ولا يخطو خطوة حتى يدرس الارض التى سيخطو عليها ، ويتبين جيدا معالم طريقـه ويدرس قبل كل هذا ، ما سبقتها من خطى ...

ويوم قــرر جمــال أن يبــدأ عمــله التنظيمى الجديد . . كان كمن يقف فى منتصف طـريق متصل .. وراءه خطوات تتلاشى مع الليل ، وامامه خطوات تبدو مع النهار ..

وكان لا بد له أن يســلط اضواءه القوية على الليل الطويل من خلفه ، ليدرس كل خطـوة من الخطى السابقة فقد تعود ان يستفيد من هــذه الدراسات وان يكسب كثيرا من التامل فى افكاره السابقة ، وفى افكار الاخرين .

وقد كان هناك شبه تنظيم حركى لنا ، قبل عام ١٩٤٥ وكان هــذا التنظيم المبدئى ، هـــو اول شىء اكب جمال على دراسته ، يوم اراد ان يبدا العمل الجــديد .

كنا قبل عام ١٩٤٢ قد انتهينا فى تنظيم انفسنا ، الى تشكيل خمس ادارات رئيسية ، تنفرد كل منها بدور خاص فى خدمة التشكيل ..

وكانت هذه الادارات على التوالى هى :

١ ـ الادارة الاقتصادية

٢ ـ ادارة التشكيلات

٣ ـ ادارة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية

٤ ـ ادارة الارهاب

٥ ـ ادارة الامن

وكانت ظروف كثيرة قد اقتضتنا ان ننشىء هذه الادارات الخمس ، لنحقق عن طريق كل منها هدفا معينا ..

وقد نجحنا فى بعض ما أملناه منها وفشلنا فى بعضه الاخر ..

ولكنها جميعا قد اقامت بواجبها فى ظروف الحرب القاسية ، واستطعنا عن طريقها ان نحقق كثيرا من الاعمال التى كنا نقررها .

وقد تبدو أسماء هذه الادارات اسماء ضخمة ، فيخيل لسامع كلمة « أدارة الاقتصاد » او « الادارة الاقتصادية » مثلا ، انها كانت ادارةمنوطة ببحث المسائل الاقتصادية او المالية للبلاد او تصميم السياسةالاقتصادية المستقبلة عند نجاح فكرتنا .

قد يبدو شىء من ذلك .. وعندئذ تبدو مهمة هذه الادارة عندما نفصح عنها ضئيلة هزيلة ..

فقد وجدت هذه الادارات لتكون فى خدمة التشكيل وحده ، من حيث هو تشكيل عسكرى داخل الجيش .

وكانت لكل منها اهمية قصوى ، عند انشائها ، والى كل منها يرجع جانب من نجاح هذا التشكيل فى الاحتفاظ بكيانه خلال سنوات الحرب ، وما يحيط بالكفاح فيها من خطر .

وسأضع امام القارىء هنا صورة لكل من هذه اللجان ، او الادارات ، ووظائفها واهدافها .

الادارة الاقتصـادية

نشأت فكرة هذه الادارة نتيجة للواقع الذى درسناه فى ماضى المكافحين والذى توقعناه لانفسنا .

فالذى يدرس تاريخ الكفاح الوطنى فى مصر ، والذى يدرسه فى بقاع الارض جميعا ، يعرف دون مشقة كبيرة ، ان من اهم العوامل التى تعوق المكافحين عن مواصلة الكفاح ، والتى تثبط همم المقبلين عليه لقمة العيش .. لقمة العيش التى لا يغرى الحصول عليها ، ولكن يرهب الحرمان منها

ولنحصر انفسنا فى تاريخ مصر لنرى صور المكافحين الذين سبقونا ، وكيف جعل الاستعمار وحكوماته منهم عبرا ، ورموزا للشقاء ، ترهب كل من تحدثه نفسه بالكفاح .

فقد كان من « يوصم » بالكفاح الوطنى ، ينظر حوله فلا يجـد يدا تمتد اليه ..

لا يجد عملا فى حكومة ، ولا فى شركة من الشركات .. ولا رعاية من اصحاب الوطنية والمتجرين بالكفاح .

وانظر الى الذين حكم عليهم بالسجن سنوات كثيرة وصلت الى حد الاشغال الشاقة المؤبدة فى عام ١٩١٩ وما تلاه من أعوام الثورة المصرية المجيـدة ..

منهم من عفى عنه قبل ان تنقضى مدة عقوبته .. ومنهم من قضاها كاملة فى الشقاء ..

فانظر الى الفريق الاول ، تجده قد انقسم طائفتين : طائفة غنمت الغنم كله فاصبح منها الزعماء والحكام والثراة واعضاء مجالس الشركات الكبرى والمساهمون فيها وحملة الالقاب والرتب والنياشين ..

هذه طائفة ...

وطائفة غرمت الغرم كله .. خرجت من السجون لتجد تعاسة الحياة .. لتجد عقوق الوطن والاصدقاء وزملاء الكفاح .. لتعيش مشردة تسعى الى لقمة العيش ، فان لم تجدها ــ وما وجدتها ــ فى رعاية الوطن ، ذهبت تقتاتها فى معسكرات الانجليز !

وأما أولئك الذين خرجوا من ظلام السجون بعد انقضاء مدة عقوبتهم.. فياويلهم..! خرجوا للنسيان والتشرد ... خرجوا أشبه بفاقدى الرشد.. تزوغ أعينهم فى جنبات الوطن ... لترى الشباب يهتف للزعماء ، ويهتف للحرية ... ولو نظر أمام عينيه لرأى كيف يكون عقوق الزعماء ، وإلى أى مصير ينتهى رواد الحرية والمكافحون عنها ...

وكانت هذه الامثلة كلهـا أمام اعيننا فى تلك الفترة التى أقدمنـا على اجتيازها بجرأة الشباب ، وحماسة الذين وهبوا للجهاد انفسهم ..

وقلنا أننا بشر ...

واننا لا نريد ان يتعرض احدنا لمثل ما تعرض له هؤلاء المساكين .

وان علينا أن نتدبر أمر تمويل هذا التشكيل بحيث يصبح قادرا على اعالة أى فرد منه يتعرض لنكبة من هذه النكبات .

ونشـأت هذه اللجنة ... لجنة كل مهمتها جمع المـال ، واختزانه، واستثماره ــ ان أمكن ــ بوسائل مأمونة لاتكشف عن حقيقتها ، لكى لانسير فى طريقنا ، وظهرنا من هذه الناحية مكشوف .

وبدأت هذه اللجنة تكون لها رأس مال ..

وبدأته فى حقيقة الامر على حسابنا

فكلفتنا أن يضغط كل منا ميزانيته ضغطا شديدا ليرى كم جنيها ــ أو كم قرشا ! ــ يستطيع أن يقتطعه من مرتبه كل شهر لصالح التشكيل..

وفعلنا ...

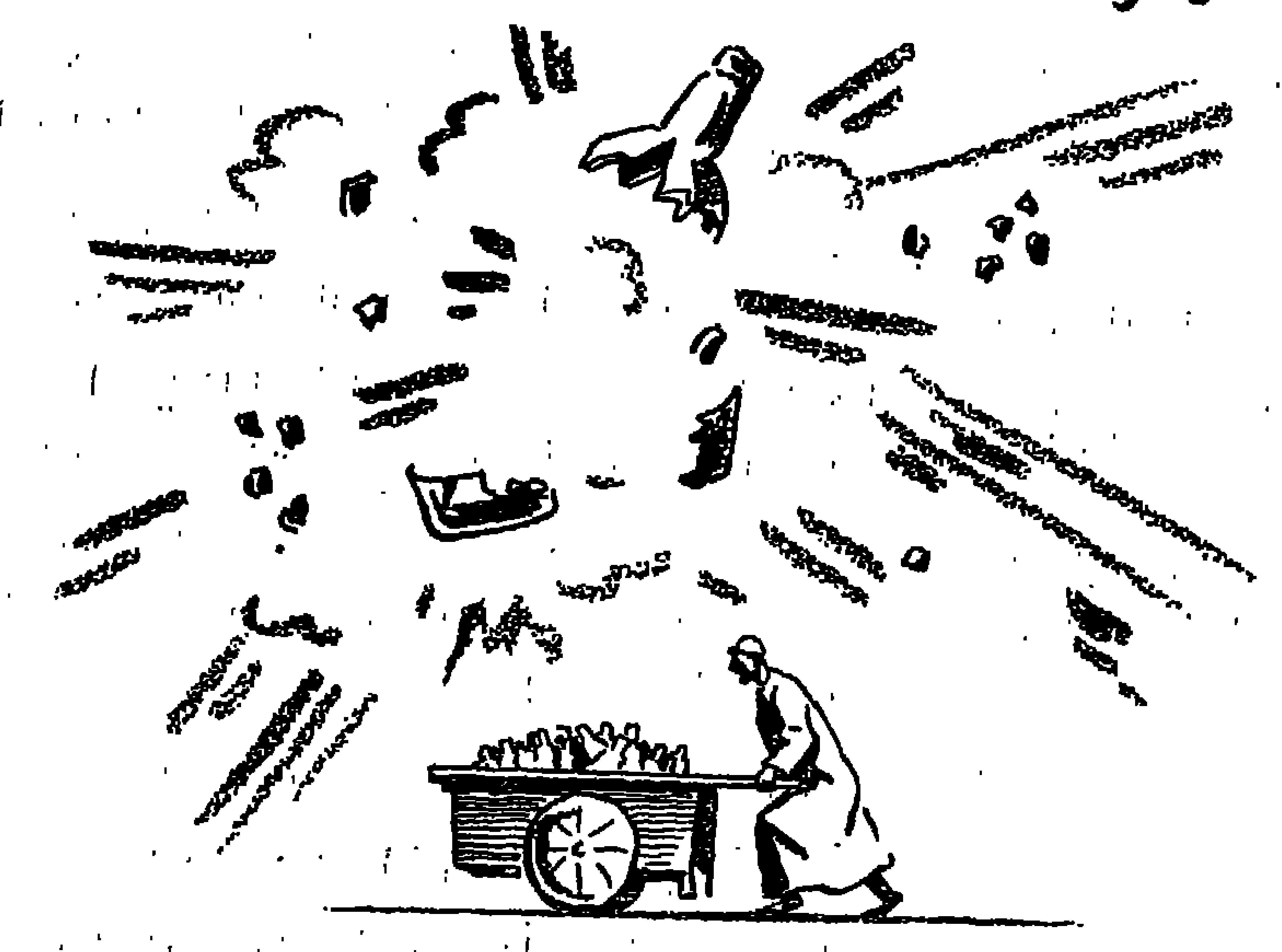
وكلفتنا بعد ذلك ، أن يستدين كل منا على مرتبه قيمة شهرين من أحد البنوك ، كما يفعل كثير من الموظفين .

وفعلنا ... أى فعل أعضاء التشكيل جميعا ، فقد أعفتنى أنا اللجنة من هذا التكليف لانى اذ ذاك كنت المتزوج الوحيد بين أعضاء التشكيل ، وكنت انفق على أولادى وزوجى من مرتب « اليوزباشى » المعروف ... !

وعلمت اللجنة ان الفريق عزيز المصرى قد باع محصـول حديقته من ثمار المـانجو بخمسين جنيها فاستولت على هذه الجنيهات الخمسين !

ولم تجد وسيلة للتمويل السريع بعد ذلك ... فاكتفت !

وكان يمكن لرأس المال البسيط ، الذى جمعناه حينئذ ان يكون نواة لا بأس بها لتمويلنا . ولكن عام ١٩٤٢ جاء باحداثه التى قررنا خلالها الاستعداد لابادة الانجليز العائدين من العلمين .. وكانت وسيلتنا الى ذلك الزجاجات المعروفة بكوكتيل ((مولوتوف)) والقنابل والمسدسات المصنوعة محليا ، والمفرقعات .



وكانت المشكلة فى هذه الخطة ، هى مشكلة الحصول على الزجاجات الفارغة .. فوفرنا لذلك رأس المال .. ثم فكرنا فى كيفية استخدامه .

وكان ان فتحنا ((دكانا)) لتجارة الزجاجات الفارغة ، واجلسنا فيه رجلا امينا ، اخذ يتعرف ببائعى الزجاجات الفارغة المتجولين .. حتى عرفوه واعتادوا ان يعودوا اليه اخر كل نهار ، بما جمعوه من الزجاجات الفارغة .

ولم يكن هذا الفيض يكفى ، فذهبنا الى سوق الزجاج بشارع كلوت بك وابتعنا منه ما يلزمنا .

كنا بحاجة الى عشرات الالوف من الزجاجات الفارغة .. وكان رأس المال الصغير الذى جمعته لجنة الاقتصاد هو الذى مكننا من اتمام هذه العملية .

وعلى الرغم من أن المال الذى جمعته هـذه اللجنـة لم يستثمر ، ولم يستعمل فيما جمع من اجله .. الا ان وجود هذه اللجنة كفكرة ، ظل ماثلا امام جمال عبدا الناصر وهو يعد عدته للتنظيم الجديد .

لجنـة التشـكيلات

واللجنة الثانية ، أو الادارة الثانية كانت ادارة التشكيلات ..

وكانت لهذه الادارة اهمية خاصة نظرا للعمل الخطير الذى كانت منوطة بـه ..

فهى التى كانت تجمع العناصر التى يمكن ضمها الينا من ضباط الجيش فى مختلف الاسلحة ..

وهى التى كانت تبوب هذه العناصر باعتبار اسلحتها واختصاصاتها وتكون منهم الخلايا والتشكيلات المختلفة .

وهى التى كانت تراقب مدى تقـدم التشـكيل أو تاخره بما لديها من المعلومات الدقيقة عن عدد الضباط الذين ينضمون الينا ، والذين يخرجون علينا .. ومعرفة أسباب زيادة الاقبال على التشكيل أو نقصه ..

وكانت هـذه اللجنـة هى وحـدها التى تعرف جميع الضباط الذين يناصروننا ، وهى وحدها التى تعرف ــ فعلا ــ مدى قوتنا ..

فعلى الرغم من اننا حرصنا منذ البدء على أن يضم تشكيلنا ضابط من كل سلاح يكون مسئولا عن صـلة سلاحه بالتشكيل الا ان هذا الضابط نفسه لم يكن فى أكثر الاحيـان يعرف اكثر ضباط سلاحه ، لانهم ليسوا من دفعته .. او لانهم لم يخدموا معه فى مكان واحد ..

اما هذه اللجنة فكانت مهمتها ان تعرف الجميع .. وان تجمعهم لا على اساس اختبارات الجمعيات السرية المختلفة ولكن على أساس الصداقات القائمة بينهم وبين بعضهم .. فقد كان اساس تشكيلاتنا ، هو الصداقة التى تخلق الثقة وتنفى الشكوك .

وكان مفروضا أن تنتهى مهمة اللجنة عند هذا ، وان تحيل امر الضباط الذين يخرجون على التشكيل الى لجنة الأمن ..

ولكننا لم نكن قد تقدمنا فى اساليبنا فى الفترة الاولى الى هذا الحد ...

وكانت هذه الصورة للجنة التشكيلات هى التى وجدها جمال امامه .. عند ما بدأ تنظيمه الجديد ..

لجنـة الـدعاية

واللجنة الثالثة كانت لجنة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية .

ولم تكن هذه اللجنـة تفتعل الدعاية ولا كانت تلجأ الى الاساليب الشائعة فيها كطبع المنشورات او مراسلة الصحف ..

وانما كانت تساير الأحداث لتثير مناقشات عارضة تستعرض فيها الحالة العامة ، فى جلسات الضباط فى « ميساتهم » أو بين الشلل المختلفة فى منـازلهم ..

وكانت الحوادث التى تقع فى تلك الفترة الكثيرة الأحداث ، هى التى تدفع بدعايتنا كثيرا الى الامام .

ومن أهم الحوادث التى استغلتها لجنة الدعاية حادث تسليم فرنسا عام ١٩٤٠ وما تبعه من انعزال انجلترا ووقوفها وحيدة امام العدو ، مما كان يثير حماسة الضباط لكل فكرة تقول بضرب انجلترا فى محنتهـا ، لانها لن تسلم بمطالبنا ، ولن تخرج من بلادنا الا وهى مرغمة صاغرة ..

ومن الأحداث التى دفعت بدعايتنا كثيرا الى الامام ايضا فى تلك الايام حادث الامر الذى صدر الينا بتسليم اسلحتنا للانجليز ، ورفضنا هـذا الأمر ، وحادث خروج على ماهر بعد بيانه المعروف .. ثم اخيرا حادث ٤ فبراير الذى غطى على كل ما عداه !

هذا من حيث الدعاية داخل الجيش أما الاتصال بالكتل الشعبية فقد كان هم هذه اللجنة ان تقوم بعملية موازية تماما لعمليتهـا الاولى داخل الجيش .. وهذه العملية الجديدة ، هى جس نبض الكتـل الشعبيـة ومعرفة اتجاهاتها ومدى تاثرها بالحوادث المختلفة . ونوع هذا التأثر ، ومدى استعدادها للمعركة ..

وعن طريق هذه اللجنة تعاونا حينا من الزمن مع بعض شباب الحزب الوطنى كما عرفنا عن طريقهـا الاستاذ عبـد العـزيز على وكان اذ ذاك لايزال مسيطرا على الجهاز السرى للحزب الوطنى الذى شكله بنفسـه عام ١٩١٩ .. وقد ظل يتعاون معنـا بعـد ذلك لفترة طويلة . وأفدنا من معونتـه كثـيرا . .

وكان هذا هو كل عمل هذه اللجنة حينما بدأ جمال يضع تنظيمه الجديد .

أما اللجنتان الاخيرتان ، وهما لجنة الارهاب والأمن فانه لم يحن بعد الوقت لشرحهما وتسليط الاضواء عليهما

قصة اللقاء الأول

بين عبد الناصر وعامر

- مولد الثورة بين الخرطوم وأم درمان
- جهلاء في منصب القيادة!
- "فكرة الحياة" لا تختفي:
- مضى بأمر القائد ..!
- هروب من النافذة ..!
- خطة ماكرة ..!

بهذه الحلقـــة يبدأ الطور الثاني من اطـوار التمهيد لثورة ٢٣ يوليو .. وهو الطور الذى بدأه جمال عبـد الناصر ، بعد التجارب العديدة التى مرت بنا فى تلك السنوات الاولى المليئة بالمخاطر والمشـقات ..

وان كان جمال قد اشعل الجـذوة فى ليالى منقباد .. وان كانت هـذه الجذوة قد ظلت مشتعلة بايدينا ، نلهب بها سواد الاعوام المظلمة .. فقـد ظل جمـال مراقبا لهيبها مسـجلا لانتصاراتها ، مستفيدا من تجاربها ..

وكان فى صمته ، خلال نقله الى السـودان ، وبعد عودته من هناك مايعد لجذوة اخرى لايظهر ضوءها ، ولا يفرغ زيتها .. جذوة عاقلة حكيمة لا تشعل النار ولكن تضىء الطريق ..

وفى خلال الاعوام التى كنا فيها نظهر لنختفى ، ونختفى لنظهر .. كانت عينا جمال الفاحصـة تبحث عن الرجال والاعوان ..

ولعل انتصاره الاول فى هـذا الميدان .. كان لقاؤه لعبد الحكيم ..

وبقصة هذا اللقاء .. يبدأ هذا الطور ، من اطوار التمهيد للثورة .

الى الســــودان

السودان ..

السودان .. الذى يهرع اليوم شيقا للقاء مصر .. وتهرع مصر للقائه جذلى .. كان فى تلك الايام منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش ..

ولا يسال احد : لماذا كان السودان منفى ؟ ! فهكذا كان .. وكانت اسوان ايضا منفى .. والعريش .. والصحراء الغربية .. وكل بقعة خلا القاهرة .. والاسكندرية !

وفى الجيش ، كان الملازم جمال عبد الناصر ضابطا صغيرا مغضـــوبا عليه .. فمنذ ايام منقباد وثورتنا على الاوضاع هناك .. على البعثـــة الانجليزية .. وعلى اللواء المصرى الذى كنا نسميه السلطان عبد الحميد .. منذ تلك الايام المجيدة من اعوام الشباب .. كسب جمـــال كراهية القومندانات .. وحقدهم .. وتوقعهم الفرصة لايقاع الأذى به .

وكان معروفا ان الكتيبة الثالثة ستتحرك الى السودان ..

وعندما يقترب رحيل كتيبة الى السودان ، يرسلون الى الكتـــائب الاخرى فى انحاء الديار ، لكى تبعث اليهم باسماء ((المغضوب عليهم)) من ضباطها .. لكى يساقوا الى المنفى يوم الرحيل ..

ولكنه لم ينتظر ان ترسل به كتيبته الى المنفى .. وانما سارع بنفسه يقدم اسمه ، ليكون بين الراحلين ..

ودهش اخوانه لهذا التصرف .. وكانوا يحبونه ، ويحبون ان يبقى بينهم ..

ولكنه كان قد رسم لنفسه طريق السير .. وكان قوة مجهولة تدفعه دفعا الى زيارة شطر الوادى الحبيب .. واستقراء الحقيقة فيه ..

عبد الحكيم .. هنـــاك

وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيا للرحيل ، لا تزال فى المكس بالاسكندرية وكان على جمال ان يمضى الى الاسكندرية ليلتحق بها ، ثم يرحـــل معها الى ارض الجنوب ..

وفى ليلة السفر الى الاسكندرية ، التقى به الصاغ عثمان نصار من ضباط كتيبته ، وكان من أصدقائه الخلصاء .. وسأله :

ـ أترحل غدا ؟

ـ باذن الله ..

ـ هل تعرف احدا من الضباط هناك ؟

ـ ابدا ..

ـ اسأل اذن عن الملازم عبد الحكيم عامر ، وتعرف به ..

ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار اليه عن عبد الحكيم ..

فلم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الاسس السطحية البسيطة .. ولم يتوقع ابدا أن يكون عبد الحكيم ـ هذا ـ صديق عمره ، ورفيق جهاده الكبير ..

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الاول بعبد الحكيم شيئا .. ولكن عبد الحكيم هو الذى يذكر ..

يذكر أن نبأ وصول جمال الى الاسكندرية كان قد سبقه الى هناك ..

ويذكر انه قام من فوره ، وذهب يستقبله كصديق ، أو زميل جديد ..

ويذكر انه قدم اليه نفسه .. ثم قدم اليه كل التسهيلات المستطاعة ..

ويذكر أيضا .. ان جمال كان « قرفانا » وانه قابل صنيعه شاكرا .. ولم يبد عليه أثر لهذه التوصية التى كان يحملها من الصاغ نصار ..

نقيضـــــان ...

وقد تسجل الايام أن لقاء عبد الحكيم وجمال قد تم فى ذلك اليوم .. بالاسكندرية ..

ولكن هذا اللقاء ، لم يكن شيئا ..

لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك تقريبا

فى حياتهما .. واللذين ارتبطا معا باقوى ما يرتبط به صديقان .. رباط العقل والقلب والكفاح المشترك ..

اما اللقاء الحقيقى .. والتعارف الكامل .. فقد بدأ فى الخرطوم ..

هناك عاشا معا .. وعرف كل منهما صاحبه

ولكنهما لم يقطعا مرحلة التعارف فى يوم او اثنين ، ولا فى اسبوع أو اسبوعين ..

فقد كانا نقيضين فى كل شىء ..

كان جمال شديد التحفظ ..

وكان عبد الحكيم شديد الاندفاع ..

كان جمال هادىء الاعصاب دائما .. مهما حدث ، ومهما راى .. وما اكثر ما كان يرى مما يشقى النفس الابية ..

وكان عبد الحكيم سريع الانفعال ، سريع الغضب تستفزه الصغيرة والكبيرة على حد سواء !

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم ، فى هدوئه ، وصمته ، واتزانه البالغ ، قد لا يصدقون هذا الكلام ، وقد ينكرون هذه الصورة ..

ولكن الايام التى مرت بعبد الحكيم فى اثنى عشر عاما .. والاحداث التى هزته هزا .. قد استطاعت ان تغير فيه كل شىء .. وأن تبدله انسانا آخر ، لا يعرفه اليوم من عرفه بالامس القريب ..

الاسد الهصور

واخذت عوامل كثيرة تعمل فى توطيد الصلة والصداقة بين الضابطين الصغيرين ..

وكان أول هذه العوامل .. قومندان الكتيبة .

كان قومندانا من نوع فريد قل أن يوجد بين الضباط مثله ..

فقد عرفنا قومندانات ذلك الزمان ، قططا فى ثياب أسود ..

عرفناهم أذلة للضباط الانجليز .. اعزة علينا ، نحن ابناء الفلاحين ..

عرفناهم يتحكمون فى مصائرنا واعمالنا وخطواتنا بالباطل اكثر مما يتحكمون بالحق ..

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق أبدا .. ولو كانوا كذلك ما غضبنا ولاعتبرنا صلفهم من مستلزمات الحياة العسكرية ..

ولكن الصلف والفطرسة ، كانا مظهر التعويض عن مركبات النقص التى كانوا يعانون منها ..

جهلاء .. فى مناصب القيادة ..

اذلة لأصغر ضابط انجليزى .. وعلى أكتافهم المزيد من النجوم والتيجان ..

وتحت امرتهم ، شبان صغار .. كبرت بالعلم مقاييسهم ، وبالعزة والوطنية أنفسهم وقلوبهم ..

هكذا كان موقف القومندانات منا ..

او هذه كانت اسباب هذا الموقف ..

ولكن قومندان الكتيبة الثالثة فى السودان ، كان يجب أن يتحكم فى ضباطه الصغار ، تحكما من نوع جديد ، لم نعرف له فى الجيش مثيلا

من النافذة !

كان الرجل ولوعا بالشراب .. ما يكاد المساء يقبل ، حتى يعد عدته ، لسكرة تذهب بعقله .. وتريه نفسه أسدا هصورا يملأ زئيره الفلوات ..

ولم يكن يحب الشراب وحده ..

ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الانجليز .

فكان الحل الطبيعي عنده .. ان يأتى بضباطه .. بالامر !! وان يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء ..

وتصوروا .. شرابا بأمر القائد .. وفى مجلس الاسد الهصور ..

لقد كان الضباط جميعا ــ حتى الذين يشربون الخمر منهم ــ يضيقون بهذا التكليف الثقيل ..

ولكن جمال ، لم يكن يضيق فقط ، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم .. ويفسد على القائد مجلس الشراب ..

وماذا يستطيع ان يصنع ، وقد امتنع عن المشاركة فى الشراب ، فصدر اليه الامر بالمشاركة فى جلسة الشراب ..

وكانت ليلة لاينساها جمال ، ولا عبد الحكيم .. حينما حاولا أن يتركا مجلس القائد .. فرفض وزمجر وقام الى أبوابه فغلقها ..

وتلفت جمال حوله .. وانتظر حتى شرب القائد كاسين او ثلاثة . وبدأ يصول فى المكان ويزأر ..

ثم أشار الى عبد الحكيم .. وقفز من النافذة .. وقفز عبد الحكيم خلفه .. وتبعهما الضباط جميعا ..

وعاد القائد الى مجلس الشراب ، ليجده خاليا خاويا من السمار ..

ولم يغن صراخه ولا زئيره شيئا !.. فبعد دقائق كان الضباط جميعا قد استقروا فى احدى دور السينما يشاهدون فيلما ضاحكا .. ويضحكون ..

والذى لم يضحك فى تلك الليلة .. هو القومندان المهيب !.

ومنذ الصباح التالى ، بدأت حرب باردة بين القومندان وبين جمال وعبد الحكيم .. فقد فهم انهما كانا رأس الحربة التى فتحت الثغرة فى نافذة داره ..

وبلغ التفنن من الطرفين اقصاه فى هذه الحرب الباردة .. حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما .. لان عبد الحكيم قد هبط الى القاهرة ليلتحق « بفرقة » دراسية من فرق الجيش ..

انتفــاع ...

وادرك القائد انه لم يعد امامه سوى جمال .. وان جمال وقد اصبح وحده الآن ، لن يجد من يشاركه فى معارك كل يوم !

ولكنه لم يلبث ان نكب فى فطنته .. فقد استمرت الحرب الباردة بينه وبين جمال .. وزادت فنونها ..

وفى يوم من الايام ، أصدر القومندان امره بنقل جمال الى جبل الاولياء .. ليستريح منه .

واستراح فعلا .. ولم يره بعد ذلك حتى اليوم ..

واتم عبد الحكيم فرقته ، وعاد الى الخرطوم .. فلم يجد « جمال » ووجد اركان حرب الكتيبة يسأله فى حذر :

ـ ماذا بينك وبين القومندان ؟..

ويجيب عبد الحكيم فى حذر ايضا :

ـ لمـــاذا ؟

فيسر اليه اركان الحرب ، أن القومندان لم يكد يعلم بنبأ عودته ، حتى استشاط غضبا واصدر أمره بنقله الى كسلا ..

خطـــة ...

وكان عبد الحكيم قد عرف أن « جمال » قد نقل قبله الى جبل الاولياء .. وفهم أن القومندان يريد التخلص منه كما تخلص من جمال ..

وكان عبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيدا .. ويعرف ان هذا النقل ليس الا انتقاما ..

وكان يريد أن يذهب الى جبل الاولياء بدلا من كسلا بأى ثمن ..

وابتسم عبد الحكيم فى وجه اركان الحرب ، وقال له :

ـ ان « عفشى » لايزال مربوطا .. وأنا احب أن أذهب الى كسلا ..

وتركه قليلا ريثما يبلغ هذا للقومندان .. ثم طرق باب القومنـــدان ، ودخل .. ولم يكد ينته من التحية حتى سأله فى تلهف :

ـ متى أذهب الى كسلا ؟ !

ودهش القومندان ، وقد وقع فى روعه ان لعبد الحكيم أصدقاء أو اقرباء أو مصالح من اى نوع هناك .. ثم زمجر وقال :

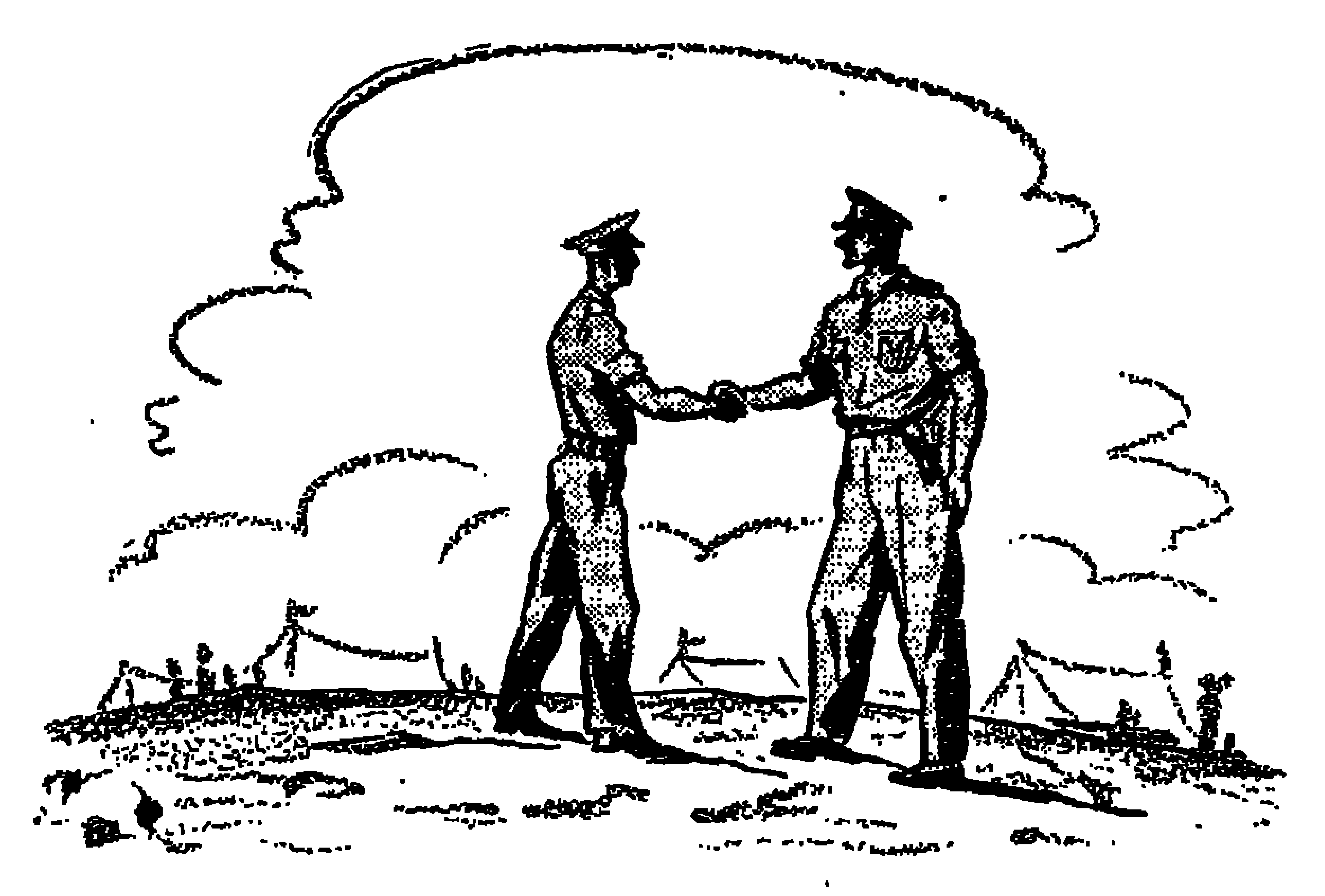
ـ من قال لك انك ذاهب الى كســـلا .. انى لن ابعث بك اليها.. وستذهب غـــدا الى جبل الاولياء ! !

ولعل هذه كانت أول خطة من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة !

وكان صباحا مشرقا عندما ذهب عبد الحكيم الى جبل الاولياء .. الى صديقه .. جمال ..

فكرة الحيـــاة

وفى جبل الاولياء .. زادت الصداقة عمقا بين الزميلين .. واكتمل التفاهم بينهما .. فى كل شىء ..



كانا يقضيان معا سهراتهما يلعبان الشطرنج

وكانا يقضيان معا ايامهما .. فى رحلات الصيد

وعندما يذكر احدهما تلك الايام وتلك الليالى ، لا يكاد يذكر الشطرنج ، ولا الصيد ، بقدر ما يذكر المشاجرات الكثيرة التى تقع بينهما ..

فليس يسيرا ان تقوم صداقة حقيقية بين هـــذين الرجلين دون أن يسبقها عدد كبير من المشاجرات ! !

ولم يكن فى جبل الاولياء من الضباط سواهما ...

فكان جمال هو القومندان ، وكان عبد الحكيم ضابطه الوحيد . ! ولم يكن بد اذا تشاجرا صباحا ان يصطلحا فى المساء .. واذا تشاجرا مساء ان يصطلحا فى الصباح . !

ولكن هذه الفترة .. قد انتهت بالتفاهم التام بينهما .. وبالتفكير المتصل الموحد . . في حالة الجيش .

فقد اقتنعنا تماما ، ان المشكلة ليست مشكلة الكتيبة .. ولا القومندان ولا الرؤساء الانجليز ..

ولكنها مشكلة الجيش كله .. والبلد كلها ..

وكان الحاكم العام فى السودان يزودهما بكؤوس المرارة والحقد على الاستعمار والاوضاع القائمة فى البلاد .. كان الحاكم العام فى السودان ، هو القائد الاعلى للجيش هنـــاك ، بما فى ذلك الجيش المصرى .. وكان لايخفى احتقاره لجيش مصر .. ولا كراهيتـــه للمصريين ولا نزعاته الاستعمارية العاتية التى لا تقاوم .

وما حدث فى تباب الشريف ..

حدث فى جبل الاولياء ..

انها الجذوة التي يوقدها جمال فى بساطته وعمقه واتزان تفكيره ..

انها القرار ، والتصميم الذى تتمخض عنه المناقشات معه .

انها الفكرة ((فكرة الحياة)) التى انبعثت هناك فى تباب الشريف ، قد كسبت رجلا جديدا .. عبد الحكيم عامر ..

لا بد من القضاء على الاستعمار .. باى صورة ، وباية وسيلة ..

لا بد من تطهير ارض مصر والسودان من هذا العار الجاثم فيهما .

لا بد من عمل شيء .. شيء عظيم ..

ومثلما حدث معنا ايام تباب الشريف .. حين صدرت حركة التنقلات فى الجيش ، فذهب كل منا الى مكان .. حدث مع جمال وعبد الحكيم ..

فلم تلبث الاوامر أن صدرت بنقل عبد الحكيم الى منقباد .. وبنقل جمال الى الصحراء الغربية

وافترقا فى ذلك اليوم افتراقا ظاهرا .. ولكن الصلة بينهما لم تزد الا وثوقا وقربا ، حتى التقيا مرة اخرى فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٤٢ ... عقب حادث ٤ فبراير المشئوم ..

وعندما التقيا .. بدأت احداث جديدة ، لم تعرف القاهرة اكثرها .. ولكن تسجلها هذه الصفحات .

أول ثورة في نادي الضباط

- لحساب من كان يعمل محمد حسنين؟
- خطة المعركة الأولى ..!
- محمد حسنين ينصح ...
- حذار ... وليس قنبلة ...
- معركة من نوع جديد ...
- أين الطريق ...؟

الحقيقة التى يجب ان يدركها كل من يقرأ هذه الصفحات ، او يحاول دراسة تاريخ هذه الثورة ، والخطوات التى مر بها التمهيد لها ، هى أن الذين قاموا بها واعدوا لها ، لم يبدأوا خطواتهم بوعى كامل وانما تدرجوا فى وعيهم السياسى ، مع الاحداث والايام ..

ولعلهم احسنوا الظن يوما برجل او جماعة او حزب .. ولعلهم علقوا على هذا الرجل ، أو هذه الجماعة ، أو هذا الحزب أملا .. ولعلهم ساروا اشواطا خلف هذا الامل ..

ثم جاءت الايام ، تكشف لهم عن حقائق لم يكونوا يعرفونها ، وجاءت الاحداث تطرق أعصابهم طرقا عنيفا يهز كيانهم هزا ، ويفتح عيونهم لادراك جديد ، ويوجه خطواتهم الى طريق اكثر وعيا ، واقرب صلة بالهدف ..

والهدف الواحد .. الهدف الكبير الذى لم يتغير ، والذى تعتبر كل الاهداف الجزئية فى تاريخ هذه الثورة ، وسائل اليه ، هو القضاء على الاستعمار ، وازالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر ..

وليس غريبا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تلتقى جماعتنا بكثير من الاحزاب والهيئات والافراد .. فقد كان هذا الهدف ، هو البيرق الذى يرفعه كل تشكيل سياسى فوق بابه ، والذى يخطف بريقه انظار الشباب المتعطش للخلاص .

وليس غريبا ايضا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تنأى جماعتنا بنفسها نأيا شديدا ، عن كل وسيلة يظهر عنصر التضليل فيها ، سواء أكانت الوسيلة حزبا ، أم جماعة ، أم فردا .

وقد كانت الفترة التى بدأت بعد حادث ٤ فبراير ، فترة نشاط ثورى كبير ، لافى جماعتنا وحدها ، ولكن هنا ، وهناك .. فى الجيش ، والجماعات ، وطوائف الشباب القومى والحزبى ، والتكتلات الصغيرة العلنية والسرية ، المدنية والعسكرية

وكانت هذه الفترة لذلك ، محكا للافراد والجماعات .. ومختبرا يظهر معادن النفوس وفرصة للتعارف بين المخلصين

بعـــد ٤ فبراير

كانت فترة عصيبة تلك التى تلت حادث ٤ فبراير ..

وكانت مجالا لنشاط كبير .. هنا وهناك ..

فقد كان الملك ـ مثلا ـ يظهر امام الشعب بمظهر الوطنى الذى تحدى المستعمرين ، واراد ان يقود شعبه الى الخلاص منهم فغلبوه على امره ، واستلوا منه سيفه وصولجانه والزموه قصره كالطير السجين ..

وكانت الاحزاب المعادية للوفد ، تحاول بنشاطها الخفى والظاهرى ، ان تكسب من تصويرها للحادث نفسه ومن نقائص الحكم الوفدى المعروفة ومن عطف الشعب على موقف الملك المطعون فى قصره ، وسيلة لاكتساب الانصار ، وبث الدعاية الحزبية ، والتمهيد للوثوب الى الحكم فى ثوب وطنى ،بعد أن كانت لاتعرف طريقها الى الحكم الا وانف الشعب راغم تحت أقدام القصر والانجليز .

وكانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجـاهات ، قد زج بها فى السجون والمعتقلات ومستشفيات المجانين ..

وبقيت خارج الاسوار جماعة الاخوان المسلمين من ناحية

وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتذكر ، وتزداد سخطا ، أو تجتمع لتدبر أمرا كهذا الذى كنا ندبره والذى اعتقلت بسببه واعتقل معى عزيز المصرى .. وآخرون ..

جماعات .. واتجاهات

كنت انا اذن اعمل من ناحية ..

وكان الاخوان المسلمون يعدون أنفسهم على النحو الذى تحدثت سنه فى بعض الصفحات السابقة ...

وكانت هنالك اجتماعات متفرقة تعقد هنا وهناك ، تضم شبابا ثائرا ساخطا ..

فمن هذه الاجتماعات مثلا ، اجتماعات كانت تعقـد فى حى الزيتون ضمت عددا من ضباط الجيش من بينهم الصاغ كمال الدين حسين ، والقائمقام صلاح حتاته مدير سلاح المشاة الان .. وكانا اذ ذاك لايزالان صغيرين سنا ورتبة ..

واجتماعات اخرى كانت تضم اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعددا من الضباط وضباط الصف ، على نحو سنفصله على صفحات قريبة

كان كل يعمل فى طريق ..وكانت اغلب الخواطر والافكار تتجه ناحية القتل والارهاب . قتل الانجليز واعوانهم ، فلم يكن هناك متنفس حقيقى للثورة المكبوتة فى الصدور .. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعونا الى التريث والتفكير ، أو تستطيع أن تحدد خطواتنا اليها فى اتزان .. كنا قد فقدنا كل صمام يحمينا من الانفجار ، حتى صمام التعزى بالأمل ..

وكان جمال وعبد الحكيم فى ذلك الوقت ، كسائر هذه الجماعات الشابة الساخطة ، يحاولان ان يصنعا شيئا ..

ولكن الميزة التى امتاز بها جمال ، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير .. استطاعت ان تناى بهما وبمجموعة اصدقائهما عن كل عمل طائش ، أو خطوة غير مامونة ..

الحـركة الاولى

حتى كان عام ١٩٤٤ .. اى بعد ان قضت وزارة النحاس فى الحكم مايقرب من العامين

وكان قد اصبح واضحا ان هذه الوزارة قد وطنت نفسها على تسليم كل مايطلبه الانجليز اليها .. وان الملك قد اصبح عاجزا عن كل مقاومة .. وان مقاليد الحكم الداخلى نفسه فى مصر ، قد وضعت نهائيا بين يدى تشرشل رئيس وزراء انجلترا ..

ولم تعد الاعصاب تستطيع مزيدا من الاحتمال

ولقد اصبح هذا الوضع الشائن مثارا لاحاديث بين الضباط فى كل مكان .. الكل يتكلم .. الكل يهمس .. الكل يفكر ..

ورأى جمال ان فى الامكان استغلال هذه الحركة الواسعة من الهمس والنشاط والسخط فى دوائر ضباط الجيش ، بتحويلها الى حركة موحدة واضحة ، وسيلتها معارضة هذا اللون من الحكم ، وهدفها تحدي الانجليز ..

واشترك جمال وعبد الحكيم فى تنظيم هذه الحركة واعداد العدة لكل احتمال ..

ثم اتفق جمال وعبد الحكيم على الا يظهرا بصورة واضحة فى هذه العمليات ، على أن يكون عبد الحكيم هو المحور الظاهر فيها ..

ومرت ايام ، فوجىء بعدها اعضاء مجلس ادارة نادى ضباط الجيش ، وكبار اللواءات والقواد فيه ، بدعوة موجهة الى الضباط لعقد اجتماع عام فى النادى للبحث فى شئون البلاد والحكم ...

ثم فوجئوا بعدد ضخم من الضباط يحضر هذا الاجتماع فى موعده ... ثم فوجئوا بمناقشات سياسية واضحة ، وخطابات جريئة ، وقرارات تتخذ ...

وقام اللواءات يحاولون الاعتراض على هذه الحركة وهذه الخطابات السياسية ، وهذا النشاط الذى لاتقره تقاليد الجيش .. !

واذا بعاصفة من السخرية والتحدى تثور فى وجوههم ، من جانب الضباط الصغار .. واذا بالاجتماع يواصل برنامجه الموضوع له ، رغم هذا الموقف من اللواءات المسيطرين على الجيش والنادى جميعا ..

نصيحة حسنين

وانتهى هذا الاجتماع بتشكيل لجنة من ضباط مختلف الاسلحة ، كان من أعضائها الصاغ صلاح سالم ، ولم يدخل اللجنة جمال ولا عبد الحكيم ، طبقا للقرار الذى اتخذاه من قبل ...

وكلفت هذه اللجنة من قبل الضباط المجتمعين جميعا بالتوجه لمقابلة المرحوم أحمد حسنين (باشا) للتفاهم معه فيما يمكن عمله لوضع حد لهذا الحكم الانجليزى السافر فى البلاد ... وافهامه ان الضباط جميعا مستعدون لاي امر ، مهما كان هذا الامر .. انهم اذ يلجأون اليه فى هذا السبيل .. انما يريدون بذلك أن يوجههم الوجهة السديدة التى تضمن الا تضار مصلحة البلاد بشىء ..

وذهبت اللجنة فعلا الى المرحوم احمد حسنين وقابلته فى مكتبه ... وناقشته كثيرا ... ولكنه خذلهم . واضاع هذه الجهود التى جمعتهم وكتلتهم ، بنصيحة واحدة وجهها اليهم ، ثم تشبث بها تشبثا شديدا .. هى الا يقوموا باى عمل من اى نوع كان – فى نظره – غيرمناسبالشىء.

وعادت اللجنة بهذه النصيحة .. ولم تكن تعلم ، ولا كان احد فىالبلاد يعلم بما كشفت عنه الوثائق والوقائع بعد ذلك من الاسرار ..

وعندما تكلمت الوثائق والوقائع ، أثبتت أن احمد حسنين .. رائد فاروق ، ورئيس ديوانه وظهيره ومرشده يوم حادث ٤ فبراير ، وقبله ، وبعده ... والرجل الاول فى القصر المعتدى عليه .. احمد حسنين هذا، كان طوال حكم الوفد فى تلك الفترة ، يتصل بالانجليز .. لا لمصلحة البلاد .. ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد ، يستطيع ان يقضى لهم من المصالح ماكان الوفد يقضيها .. وان ينفذ لهم سياستهم « الديمقراطية » فى حكم البلاد وتوجيهها ...

احمد حسنين كان يريد ان يكون بطل ٤ فبراير الثانية .. ولكن بغير دبابات . ! !

ومع ذلك ، فلم تكن شكوكنا فى احمد حسنين قد بدات فى ذلكالوقت. ولم نكن لذلك ان نجد تحليلا سليما لموقفه ..

وعندما علم الضباط بهذه النصيحة ، هاجوا وماجوا ... واوشكوا على الانفجار ..

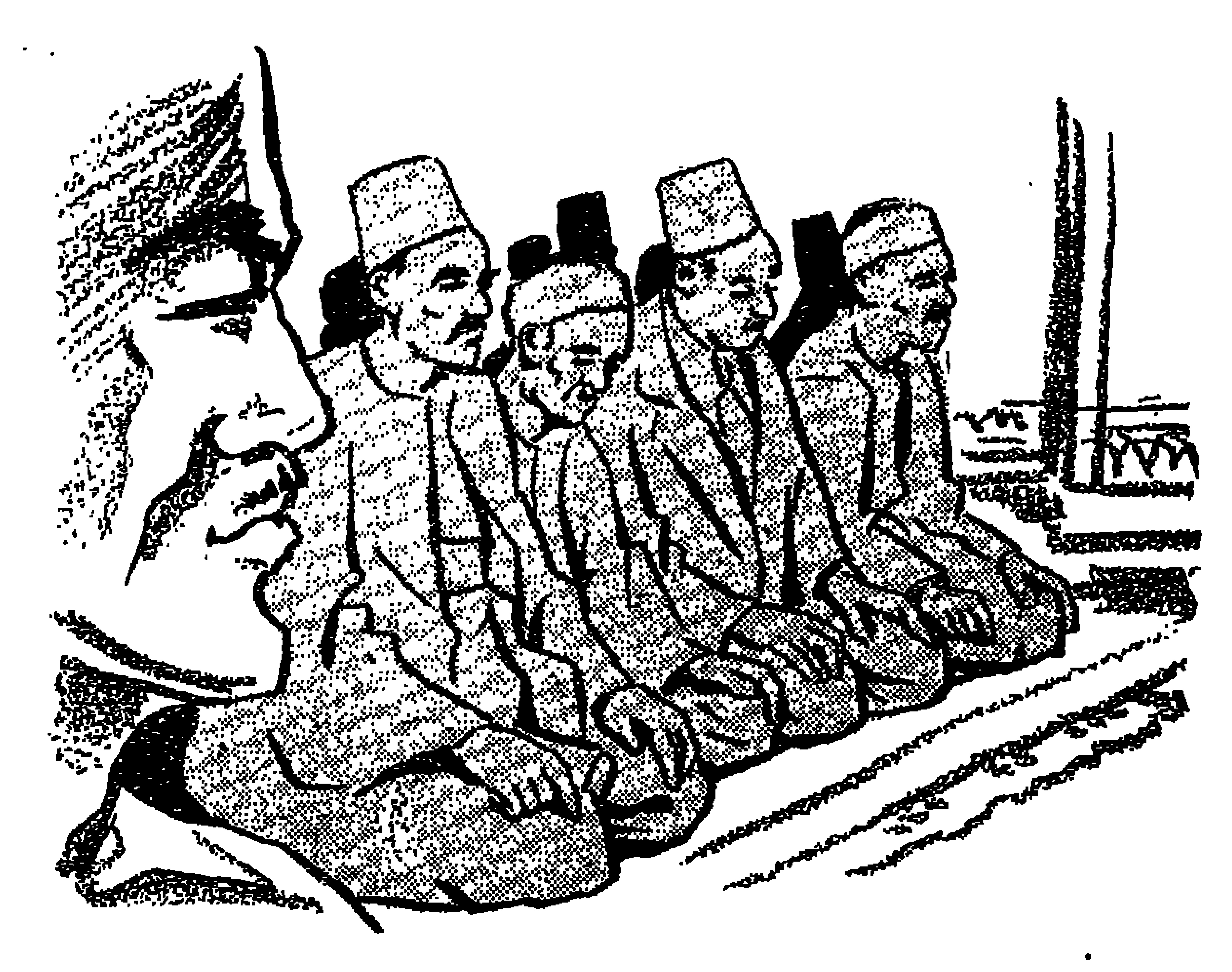
سباب فى الطريق

وكان لابد من صمام امن آخر ...

ولم يكن صمام الامن هذا سوى التنفيس ... التنفيس بالقول ، بالصوت ، بالكلام .. ما دامت الكتابة ممنوعة ، والاعمال الايجابية ... لا يرضى عنها الرجل الاول فى قصر الملك ...

وتم الاتفاق على ان يخوض الضباط معركة من نوع جديد .. معركة لاتجمع فيها ولا تكتل ولا منشورات ، ولا اعتداءات .. معركة ليست بالفردية ، ولا بالجماعية ، وانما هى جماعية الحقيقة فردية المظهر

ورأت القاهرة ضباط الجيش ، بملابسهم الرسمية ، يختلطون بالناس فرادى ، فى المقاهى والمجتمعات ، وعربات الاوتوبيس والترام .. وساعات الصلاة . . ويثيرون مسائل الحكم ، ويوجهون السباب علنا ، للانجليز ، وللوزارة التى اقامها الانجليز . .



ولم يكن المراد بهذه العملية ، مجرد اثارة الشعور الشعبى ضد الانجليز وضد حكومة النحاس .. ولكن كان الغرض منها اشعار الانجليز والحكومة نفسها ، بان ضباط الجيش قد ضاق بهم ، وأنهم قد أصبحوا على استعداد لأى شىء ...

حذاء .. لا قنبلة

وظلت القاهرة تسمع هذا السباب العلنى وترى هذا التحدى السافر من صغار الضباط فترة طويلة من الوقت .. حتى كان حادث ، لم يكتف فيه بطله « الضابط » بكلمات السباب والتجريح ...

كان النحاس ذاهبا لصلاة الجمعة بمسجد الرفاعى ...

وما ان انتهت الصلاة وخرج النحاس ليركب عربته ، الا وتقدم منه ضابط شاب من السواحل هو ابو شبانة والقى بحذائه على عربة النحاس

ويبدو انه لم يستطع أن يسدد قذيفته جيدا على العربة ، فقد اخطأ الحذاء عربة النحاس ، والتقى بعربة عبد الحميد عبد الحق ...

وثارت ثائرة الحكومة ورجالها .. وظن البعض ان الحذاء يخفى قذيفة من نوع آخر اشد خطرا وفتكا .. فارتاعت القلوب ، وهلعت الافئدة ، وحوقلت الالسنة ، وبسملت الشفاه . وانتهى الامر بالقبض على الضابط .. صاحب الحذاء ..

... ومحاكمات !

وفى ثوان معدودة ، كان الفريق حمدى سيف النصر « باشا » وزير الحربية ، قد ابلغ بنبأ العدوان الاثيم .. وفى الدقائق التالية ، كان قد توجه الى وزارته ، وجمع هيله وهيلمانه ، وقرر عقد مجلس عسكرى مستعجل لمحاكمة هذا الضابط المقبوض عليه ..

ولاول مرة عقد المجلس العسكرى ، فى الدور الاسفل من وزارة الحربية .. وجىء امامه بالضابط المتهم .. وشرع فى محاكمته على وجه السرعة ، بينما كان حمدى سيف النصر فى غرفة مكتبه ، يستجوب الشهود بنفسه قبل ان يمثلوا امام المجلس ، ويلقى اليهم بتفاصيل ما يشهدون به ، ويهددهم بكل تهديد مستطاع !

وليس امر هذه المحاكمة ، هو ما يهمنا فى هذه الصفحات ، فقـد كان الضباط جميعا فى انتظار محاكمات مثلها ، لـكل منهم .. وكانت كل كلمة مما كانوا يقولون علنا فى الطرقات والمجتمعات كافية لادانة قائلهـا ... وسامعيهـا ! .

ولكنها حادثة من الاحداث ، التى وقعت فى تلك الايام ، نتيجة لعـدم اكتمال الوعى السياسى فينا ...

فحقيقة كنا الى ذلك العام ، نأمل كثيرا فى وطنية الملك .. وكنا نصنع كل هذا ، لمقاومة الانجليز فى شخص الحكومة التى فرضوها .

ولكن عاما واحدا لم يكد يمر بنا ، حتى أدركنا أننا كنا على خطأ عظيم .. وحتى تغيرت فكرتنا تغيرا كاملا ، واصبح واضحا امامنا ان كل شخص ممن كنا نعرفهم ، ونعلق الآمال عليهم ، كان يضـع مصلحة البـلاد تحت كعب حذائه ، وانهم جميعا كانوا يعملون فى سبيل تقوية نفوذهم ، والوصول الى مقاعد الحكم ، والسيطرة والسلطان ...

حتى الملك المطعون فى قصره ، أدركنا من امره مالم تكن ندركه ، وما لم تكن نتصور حقيقته ...

وحتى الاحزاب التى لبست اثواب الملائكة ، لم تكن نستطيع ان نتصور مدى القذارة الموغلة فى ابدانها تحت هذه الاثواب البيضاء الناصعة ...

أين الطـريق ؟

الكل سواء ..

الكل يعمل لنفسه ..

الكل لا يهتم بمصلحة البلاد فى شيء ..

الكل على استعداد للبيع .. والتسليم ..

الكل عدو لمصر .. صديق لاعدائها ..

والظلام كثيف

لا أمل فى الملك .. ولا أمل فى الاحزاب ..

والامل الوحيد قد يخالج خيالنا فى وجوه جديدة مجهولة .. وجوه خرافية تصنعها اوهامنا ، وتتمنى ان تلقاها على مسرح الحياة ..

ولكن .. اين الوجوه . واين مقام هذا الامل ، فى عالم الحقيقة ..

هذا مالابد ان نصل الى جواب اليه ..

ولكن كيف تستطيع هذه الوجوه ان تظهر والظلام كثيف ..

لا بد اذن ان ينقشع الظلام ..

ولكن .. كيف ينقشع الظلام ؟

هذا محور التفكير الذى ادى الى تشكيلات كثيرة عسكرية وشعبية .. تتناولها هذه الصفحات ..

دور عزيز المصري في معركة الحرية

- لا آلات ولا أدوات ...
- حقيقة منشورات مصطفى صدقي ..
- وقصة اعترافات حسين توفيق ..
- حيلة القاديش ...
- ضباط يحلفون يمين الإخوان المسلمين !
- نصيحة العمر ...

عندما يتكاثف الظلام ، وتتعذر الرؤية ، ويتخبط الناس فى طرقات الحياة ، وتتشعب بهم مسالكها .. يختار الله من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التى تغنى عن البصر ، فاذا هم يتوقفون عند العثرة ، لانهم يتوقعونها ، وان لم ترها منهم الابصار ...

وقد كان الله معنا فى طريقنا الطويل الى هذه الثورة ، فاودعنا البصيرة كلما ادلهمت الظلمة .. وجنب خطواتنا اكثر العثرات ..

وفى طريقنا هذا الطويل ، لمعت امامنا اضواء ، وتبعت اقدامنا اقدام .. ولكن خطواتنا ظلت محتفظة باتزانها وشخصيتها ، واستقلال توجيهها واستطاعت ان تؤكد للجميع ، انها تستطيع ان تلتقى بخطوات الآخرين ، ولكنها لا تستطيع ان ترتبط بها ، لا متبوعة ولا تابعة ، لانها خطوات لا تمضى الا بارادة اصحابها ، واصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة ، مهما افتقدوا الضوء فى الطريق ...

منذ عام ١٩٤٢ .. وعقب حادث ٤ فبراير ببضعة اشهر تقررت هذه الحقيقة ، حقيقة استقلال خطواتنا داخل الجيش عن كل مؤثر خارجي وعن كل قيادة خارجية ..

وكان لهذا القرار ، الذى اصبح تقليدا راسخا لنا بعد ذلك ، سبب مباشر وظروف

ففى يوم من الايام ، توجه المرحوم الشهيد « وجيه خليل » الى عبد الحكيم عامر وكان يعرفه ويعرف حماسه واتجاه تفكيره ويعرف انه واحد من جماعة الضباط الاحرار يتشاورون دائما فيما ينبغى عمله عقب ذلك الحادث المشئوم ..

ولا شك ان بعضنا كان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال ارهابية واسعة النطاق ... فالارهاب دائما هو اول الحلول التى تتبادر للشباب المتحمس فى ايام المحن القاسية التى تجتاح الوطن ..

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة او محسوسة من اكثرنا . . بل لقد كان بعضنا يدبر الامر للتنفيذ وكأنها خطة مرسومة لااختلاف عليها

ولم تكن زيارة الشهيد « وجيه خليل » لعبد الحكيم الا صدى لوجود هذا الاتجاه بيننا .. فقد كان مقصودا بهذه الزيارة تدبير اغتيالات متعاقبة واسعة النطاق تشل حركة الانجليز واعوانهم فى تلك الايام العصيبة من أيام الحرب

وانتهت هذه الزيارة والتقى عبد الحكيم بجمال فأنباه بنبئها ..

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال انصت طويلا الى هذه القصة .. والاسلوب الذى سيتبع فى التنفيذ ، وتمويل الفدائيين ورعاية اسر من يتعرض منهم لسوء ، والاستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى « سوف » تدور فى الظلام ...

وشىء واحد لم يستطع جمال ان يستخلصه من حديث عبد الحكيم .. من الذى سيدير هذه المعركة .. وما هى اهدافه منها ..

ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الاتصال باسمه الخاص ولكن باسم جماعة تقف من خلفه هى التى بعثته رسولا الى جمال ..

وقال عبد الحكيم أن وجيه قد احتفظ بما بعد ذلك سرا وان جماعته تريد ان تستعين بنا لما تعرفه عنا من استعداد لخوض معركة من هذا القبيل ..

وقال جمال فى هدوء :

ـ لا ...

ثم اردف :

قد نرى القيام بحملة ارهابية واغتيالات ، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب ان نصنعه بانفسنا ونتحمل وحدنا كل مسئولياته ونتائجه .. . فالخط الذى يجب ان نسير عليه كضباط فى الجيش هو ألا نكون آلات ولا ادوات فى يد احد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة اهدافنا ومهما كانت درجة اخلاصهم ..

قال هذا جمال فى عام ١٩٤٢ .. وانتهت بهذا قصة « وجيه خليل ».. قبل ان تبدأ ..!

ولكن قصة اخرى لوجيه خليل قد بدأت بعد ذلك .. قصة عظيمة ، مجيدة وهب فيها حياته كأشجع ضابط فى اقدس الميادين ..

فقد انضم وجيه بعد ذلك الى الاحرار واصبح عنصرا من أهم العناصر فى تشكيلاتهم .. فلما كانت حرب فلسطين كان من أسبق الضباط اليها

وهناك فى الميدان جرح زميل له وكان هو فى مصفحته فهبط ليحمل زميله الجريح .. هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعا شهيدا كأشجع مايكون ضابط وكأنبل ما يكون انسان

يمين الاخلاص للدعوة

وفى عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ .. فى الفترة التى تتناولها هذه المجموعة من الصفحات ، تكررت الصلات بين الضباط الاحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية ، ومدنية .. ولكن هذا القرار الذى صدر فى عام ١٩٤٢ . ظل دستورا لهذه المجموعة من الضباط



وأدى فريق من الضباط يمين الولاء للأخوان المسلمين

فى هذه الفترة نشطت جمـاعة الاخوان المسلمين نشـاطا كبيرا فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش اليهـا .. ونشطت نشـاطا كبيرا فى الاتصال بجمال عبد الناصر ، ومجموعة أصدقائه ..

وليس سرا ان عددا من الضـباط كانوا قـد ألفوا دعوة الاخوان ، وأحبوها .. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها ..

وعندما تلتقى ببعضهم اليوم قد يقص عليك قصة ذلك اليوم الذى تم فيه « اختباره » بواسطة الجماعة ، ثم طلب منه أن يذهب الى مكان ما .. لحلف اليمين .

كانوا اذ ذاك يذهبون ليلا ، الى حى الصـليبة فاذا ما انطوى الحى عليهم ، قادهم رسول الاخوان فى أزقة مظلمة متعرجة .. حتى يصـلوا الى بيت عتيق .. فيصعدون درجا يؤدى بهم الى غرفة مظلمة ، لا أحد فيها ، ولا تفتح نوافذها ..

ويجلس الضابط الى منضدة ، وضع عليها مصحف ، ومسدس .. ثم يدخل الى الغرفة فى الظلام رجل لايراه الجالس ، ويلقنه يمين الاخلاص للدعوة ، فيؤدى هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسدس .

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفـة أولا .. ثم يخرج الضابط ليجد رسول الاخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به الى خارج الحى ..

التعـاون .. لا الانضمام

وكانت الصلة بين الاخوان ، وبين ضباط الجيش ، ضابط هو الصاغ عبد المنعم عبد الرؤوف .. وكان عبد المنعم ، يدعو ضـباط الجيش الى الانضـمام لصـفوف الاخوان ، ويعرفهم دائمـا بالصـاغ « محمود لبيب » ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة ..

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون .. انهم كانوا يريدون متنفسا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة ، كقوة وطنية مقيـدة باغلال الحيـاة العسكرية ...

وكانت كثرة الضباط ترى ان يقوم التعاون دون الانضمام .. فمن

سمات الرجل العسكرى الا يخضع لأوامر تأتيه عن غير الطريق العسكرى الذى يندرج فيه ..

ولعل اخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الاخوان فى صلتهم بالضباط .. لقد كان الضباط ينضمون الى هذه الجماعة ، أو يتعاونون معها ، وفى يقينهم أن دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الاخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتيه فداء الوطن ..

ولكن تنظيمات الاخوان ، كانت لاتفرق بين الضباط وغيرهم .. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب .. فاذا أقبلوا ، وجدوا واحدا من المدنيين ، يعطيهم دروسا فى كيفية استعمال المسدسات .. !

وكانت هذه الاساليب تزعج الضباط ازعاجا شديدا .. فهم يقبلون على الاخوان ، وعلى دعوتهم ، كضباط مدربين ، لا كجماعات فى حاجة الى التدريب .. وهم يشعرون بمرارة وأسى يملآن قلوبهم عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الاقبال الرضى ، هو ان يعلمهم مدنى ، كيف يستعملون السلاح !

وفوق ذلك ، فلم تكن خطة الاخوان واضحة لهم .. ولم يكن أحد يصارحهم بشىء ..

وكانوا يتساءلون .. متى نعمل ، وما هو نوع العمل الذى نعد انفسنا ونعد شباب الاخوان له .. فلا يجابون على سؤال ..

وكانوا يسألون : فما هو المطلوب منا ..

فيقال لهم : ان تثقوا فى قيادة الدعوة .. وان تعملوا مايطلب منكم فى حينه فحسب ...

ولم تكن هذه الفترة قصيرة .. فقد امتدت أكثر من عامين .. وحدثت فى خلالها أحداث ظن هؤلاء الضباط ان كل حدث منها ، سيكون الناقوس ، الذى تصدر على أثره أوامر العمل المطلوب ..

ولكن هذه الاحداث مرت ، بكل رنين النواقيس .. والاخوان فى جمود .. والضباط المنضمون اليهم فى حيرة من أمرهم .. لايعرفون ماذا يصنعون ..

نصيحة العمر

وكضباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا أنفسهم هذا المأخذ الشديد .. فكانوا يتكلمون فيما يضيقون به من الامر . وكانوا يلجأون الى أصحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه ..

وكان ممن ذهبت اليهم جماعة الضباط المنضمين للاخوان الفريق عزيز المصرى ...

وللفريق عزيز المصرى ، طبيعته النزاعة الى التحرر من كل قيد .. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه وابنائه على الاستقلال بالراى وقوة الشخصية ، والعمل بالارادة ..

ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا الى الفريق عزيز المصرى ، انه قال لهم « كونوا اخوانا اذا شئتم .. ولكن لاتقفوا عند هذا الحد » ..

ولما سألوه عما يصنعون اجابهم :

ـ اقرأوا .. اقرأوا كل كتاب .. اقرأوا فى السياسة ومذاهبها .. والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه .. اقرأوا وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى يهمل ويهال عليه التراب ..

اقرأوا .. ثم اضربوا فى الارض . واعرفوا الناس ، وجربوا بانفسكم كل شىء .. ولا تتقيدوا بدعوة ، ولا بزعيم .. ولاتربطوا أنفسكم برأى ، قد ترون غيره غدا اذا ما استنارت بالعلم رؤوسكم ..

ينضمون للاحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا اليه فى تلك الايام ...

وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الاخوان ، ولكنهم جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد .. وبدأوا يقرأون ..

ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر .. لانهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين ، وبين ضوء العلم ، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها ..

وكل هؤلاء قد انضموا الى الاحرار بمجرد تكوينهم على النحو الذى سنفصله فى هذه الصفحات ..

وفى خضم تلك الايام العصيبة من أعوام ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ .. حدثت أحداث اخرى من تشكيلات اخرى .. بعضها مدنى .. وبعضها عسكرى ..

منشورات مصطفى صدقى

وكان أول هذه الاحداث ، هو حادث التدبير للاعتداء على الفريق ابراهيم عطا الله .. الذى اتهم فيه اليوزباشى مصطفى صدقى وزملاؤه

وكان مصطفى كمال صدقى قد كون مجموعة من العسكريين ، اكثرهم من ضباط الصف .. تهدف الى تطهير الجيش من رؤسائه الجهلاء .. وكان اسم الفريق ابراهيم عطا الله فى رأس القائمة التى فكر مصطفى كمال صدقى وجماعته فى التخلص منهم ..

وكان مصطفى كمال صدقى ضابطا فى ادارة المخابرات فى الجيش فاختار فى مجموعته عددا من صولات الادارة .. واخذ يعد المنشورات ويطبعها داخل الادارة ، وبآلاتها ، ظنا منه أن هذه الوسيلة هى اسلم الوسائل لكى لا ينكشف أمر مجموعته ..

ولكن تقديره لم يكن سليما .. فقد ضبطت المنشورات .. وضبطت قائمة فى داخل ادارة المخابرات تحوى اسماء ثلاثة وعشرين ضابطا .. وصولا ..

والقى القبض على الجميع ، وتقرر حبسهم وتقديمهم الى المحاكمة .

حيلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى احدث دويا فى البلاد هو حادث اغتيال امين عثمان .. وقد قام بهذا الحادث تشكيل فدائى خارج الجيش ..

وكان متفقا عند تقريره ، الا يبوح القاتل اذا قبض عليه بأى شيء او اى اسم من اسماء اخوانه ..

وكان حسين توفيق ، هو الذى تقدم فى اللحظة الاخيرة واصر على ان يوكل اليه امر التنفيذ .. وعندما قبض عليــه ، ظل مصرا على عـدم الاعتراف ، حتى استطاع كامل القاويش ان يلعب بأعصابه ، بقصة مختلقة ، ان دلت على شيء فعلى ذكاء القاويش وادراكه الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم . . .

فقد ادرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل ، كعمل من اعمال البطولة يذكره له التاريخ .. فاراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية ، تجعله ينسى عهده للجماعة ، ويبوح بكل شيء ..

وذهب القاويش الى احدى الصحف الكبيرة ، وأملى عليهـا خبرا مؤداه ان التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لاسباب نسائية .. وجعل فى الخبر تلميحا الى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة عزيزة جدا .. على القاتل حسين توفيق ..

وفى الصباح دعا القاويش القاتل الى مكتبه .. واطلعه على هــذا الخبر ..

وجن جنون حسين توفيق ..

لقد قتل أمين عثمان ، وفى يقينه انه يعمل عملا من أعمـال البطولة الوطنية .. فكيف يقبل ان تذهب كل هذه البطولة هبـاء .. وان تلوث ايضا سمعة أسرته ، وسمعة أعز النساء عليه ..

وانفجر يعترف .. يعترف بالجمــاعة التى دبرت هــذا الحادث ، واسماء اعضائها ، وأهدافهم ، ومكان اجتماعاتهم ، وتفاصيل ما يملـكون من أسلحة .. اعترف بكل شيء ..

وكنت بين من شملتهم اعترافات حسين توفيق ، فألقى القبض على وشاركته السجن واحدا وثلاثين شهراً ، حتى برأنى القضاء

سياسة جمال

وهكذا ...

كانت هذه الفترة فترة نشاط كثير .. نشاط من الاخوان كجماعة منظمة .. ونشاط فى داخل الجيش أو الوان من النشاط فى داخل الجيش ، واتصالات بالفريق عزيز المصرى .. وتدبيرات عنيفة واغتيالات ..

وكان لجمال عبد الناصر راى فى كل هذا ..

فيوم طلب منه عبد المنعم عبد الرؤوف إن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الاخوان . . رحب بقيام هذه الصلة .. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة ، وتفكيرها الخاص ..

ويوم وقع حادث الفريق ابراهيم عطا الله قرر معاونة جميع المقبوض عليهم من الضباط وضباط الصف ، فقام هو ومجموعة أصدقائه بجمع الاشتراكات ودفع مرتبات المقبوض عليهم جميعا طيلة فترة ايقافهم ..

وحدث أن علمت ادارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الاتصال بهؤلاء الضباط ، ومنع القيام بأية معاونة لهم .. ولكن جمال واصدقاءه رفضوا هذه الاوامر ، وتحدوها علنا وواصلوا العمل لمعاونة المعتقلين ..

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الاعتقال ، أن هذا الموقف من جمال معناه رضاؤه عن العمل معها .. ولكن جمال رفض ذلك عندما عرض عليه .. وقررت المجموعة عدم التعاون مع هذه الجماعة ، لانها تضم افرادا اكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة ، وعدم التقدير لحقيقة العمل ، الذى يريدون عمله ..

اما لماذا قام بمعاونتهم .. فقد قام بذلك ، لانه رأى اشعار الرؤساء فى الجيش ، بان هذا الراى الذى رأته فيهم جماعة مصطفى صدقى .. يمكن جدا أن يكون راى الجميع !

ويوم قام التشكيل الفدائى باغتيال امين عثمان ، ظلت المجموعة على صلة بى ، حتى أعدت خطة لتهريبى من السجن ..

وهكذا كانت تقاليد المجموعة قد بدأت تتخذ صورا واضحة فى مواقف متعددة ..

وكان اهم هذه التقاليد ، هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها ، عاملة بارادتها ، محددة لخطواتها ..

وفى كلمتين اثنتين ..

الا تكون آلة ، ولا اداة فى اى يد

اما وسائلها .. فقد تطورت ..

تطورت من صداقة تجمع الضباط ، الى تشكيل له نظام وادوات ..

وتطورت من السرية .. الى العلنية الى السرية مرة أخرى .. وكان لكل مرحلة من هذه المراحل ظروفها واسبابها وغاياتها الوقتية المحددة أيضا ..

وظلت الجماعة تسير .. خطوة خطوة .. نحو اعداد كبير ... القواعد التى قامت عليها حركة الاحرار

القواعد التي قامت عليها حركة الأحرار

- العمل الجماعي وحده هو الطريق إلى النجاح
- النقراشي يهاجم الإنجليز ويضرب الشعب!
- أهداف ... وهدف ...
- الإخوان المسلمين يهادنون صدقي ..
- لابد من قيادة ..
- مصابيح في الطريق ...

ان السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة ، راجع الى الروح التى سادت فى التمهيد لها ..

فقـد يجتمع النـاس حول مبادىء ، حول نظريات يقرءونها ، ويعتنقونها ، أو أفـكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبـادىء والنظريات ، والافكار غايته ، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته ، وما بعد الذروة أيضا ان صح هـذا القول ..

ولـكن هـذه المبادىء ، والنظريات ، قـد تتعرض للجدل ، فتتعرض الجماعة للانقسام .. وقد يتفـاقم الجدل ، فينحرف عن الآراء الى أصحابها ، وتبرز الاشخاص ، وتختفى الآراء .. وتتلاعب أهواء النفوس .. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه .. !

حدث هذا كثيرا .. حدث فى مصر ، وحدث فى غير مصر .. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور ، لان مجادلات قامت بين قادتها ، اورثتهم التفـكك والتحزب ، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس واهوائها ..

ولست اكتب هذا غضا من قيمة المبـادىء والنظريات فما استحق الحيـاة من لا مبدأ له يعيش من أجـله ... ولـكننى فقط أرى أن المبادىء وحدها لاتكفى ، لان الرباط الذى يربط العقول ، لا يستطيع دائما أن يربط القلوب ، وان يذيب الهوى ، ويقتل الاطماع ..

ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة ، وعدم انكشاف امر مدبريها والممهدين لها .. الى شىء أهم كثيرا من المبادىء التى قامت عليها ، وقامت من أجلها .. الى الصداقةالعزيزة الوثيقة ، التى ربطتبين كل من شارك فيها ، صغيرا كان أم كبيرا ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الاحرار قبيل الثورة على الالف ضابط ، فلا يوجد بينهم خائن ، ولا وجل ولا ثرثار ؟! ..

وهل كان يمكن ، اولا هذه الصداقة ، ان تقوم الثورة فعلا ، وتنجح ، فلا يعرف من الاحرار الا هذا العدد الضئيل ، الذى ألزمته ظروفالثورة ان يظهر بوجهه على مسرح الاحداث ، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير ؟! ..

انها الصداقة فقط .. الصداقة التى استطاعت ان تحوط مبادىء الثورة بسياجها المتين ، وان تحمى النفوس من نزواتها .. لانها احتلت من كل قلب منزل الاطماع ..

وبهذا الدستور .. دستور الصداقة .. بدأ التكوين الفعلى للاحرار فى عام ١٩٤٤ ..

اجتماعات

كانوا قد أصبحوا جماعة من الاصدقاء .. جماعة صغيرة عرف بعضها بعضا فى ظروف كثيرة مختلفة .. وقربت بينهم صداقة أثيرة واعية ..

ومنهم من عرفه الناس فى مجلس الثورة بعد ذلك .. ومنهم من لا يزال بنصيبه من العمل فى وحدته أو سلاحه أو الادارة التى ينتمى اليها ..

كان منهم مثلا ، جمال عبد الناصر ..

وكان منهم طلعت خيرى وعبد المجيد فؤاد من سلاح المدفعية .. وكان منهم عثمان نورى من ضباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين .. وكان منهم حسين حموده .. وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

وكان معهم آخرون أيضا .. فلست أذكر الاسماء هنا على سبيل الحصر .. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيى الدين،وكانوا يجتمعون احيانا فى بيته بشارع الخليج بالحلمية .. كما كانوا يجتمعون فى بيت جمال الذى كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلى .. واحيانا ، كانوا يجتمعون فى بيت عثمان نورى بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديدة .. وأحيانا فى بيت حسين حموده بمنشية البكرى

رأى عام

أصدقاء متفاهمون .. يريدون أن يعملوا شيئا ..

ويستعرض هؤلاء الاصدقاء حالة البلاد .. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب أن يحسب لكل منها حسابها ..

يستعرضون حالة الجيش ، فاذا هى حالة اليمة غير مشجعة .. فلم يكن لضباط الجيش اذ ذاك راى عام .. ولو فرض أن كل ضابط صغير كان اذ ذاك ساخطا فى نفسه .. فان هذا السخط لايمكن أن يؤدى الى نتيجة عملية ، ما لم يصبح سخطا عاما ، محدد الاسباب ، دافعا الى التكتل والعمل ..

فالمشكلة الاولى اذن ، هى مشكلة خلق رأى عام واع بين ضباط الجيش ، حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد ، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها ..

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة ، ماسبق من احداث خلال الفترة الاولى من أيام الحرب .. فقد كنا اذ ذاك نعمل .. ولكننا كنا نعمل اعتمادا على أنفسنا ، لا على رأى عام موحد بين الضباط .. ولذلك كانت أعمالنا فردية ، أو شبه فردية.. وقد تأكد لهذه المجموعة الا جدوى هناك من اى عمل فردى .. وأن العمل يجب أن يكون عملا جماعيا كبيرا يأتى نتيجة لراى عام يجمع الضباط ..

الجيش والشعب

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها .. هى مشكلة انعزال الجيش عن الشعب ، وتسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد ..

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله .. عبء الثورة بعد الثورة .. عبء التضحيات الجسيمة والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والانجليزية أيضا ..

وكان الجيش .. الجيش المصرى .. هو القوة الخارقة التى يحسب الشعب حسابها ، كلما فكر فى الثورة من أجل تحقيق أهدافه ..

كانت هذه هى صورة الجيش فى نظر الشعب .. أو كان هذا هو الوضع المتعارف عليه .. ولم يحدث أبدا أن حاول الجيش ازالة هذه الفرقة بينه وبين الشعب ، لا لأن ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك ، ولكن لانهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع . . اى انهم كانوا مستسلمين للامر الواقع المتعارف عليه ..

وكانت هذه المجموعة ترى ان الشعب الذى تحملّ حتى اليوم كل التبعات والتضحيات ينبغى ان يطمئن الى جانب جيشه .. وأن يدركَ ان هذا الجيش معه لا عليه .. وعلى الاقل ، أن يدرك أن هذا الجيش ، ان لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعه ، فلن يكون عليه بحكم مصريته ..

أهداف .. وهدف

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى ..

خطة لها أهداف صغيرة يتبع بعضها بعضا .. ولها هدف كبير وغاية ، يجب أن تصل اليها مهما بعدت الشقة وطال المدى ..

وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الايام ، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى :

*** خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش .**

*** اشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين ، لاتقل عن مسئولية أفراد الشعب العاديين .**

*** التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم الى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية انقاذ البلاد ، أوأن يكون على الاقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة ، بحيث لايشترك فى تسديد الضربات الى الشعب اذا تقدم أحد لحمل تبعة الانقاذ ..**

اما الهدف البعيد من كل هذا فهو الوصول باى صورة من الصور الى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد .

لا سرية ..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير الى هذه الاهداف وفق نظام معين ايضا تم الاتفاق عليه ..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبذ السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة ..

فان السرية توحى بالتآمر ، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع أن تجمع الانصار بسهولة ، لان عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الامر .

فلتكن العلنية اذن هى الوسيلة .. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها ، واختيار الاشخاص الذين يبدو اخلاصهم وقدرتهم على العمل دون اثارة لغط او شكوك فى صفوف الضباط أو فى الاوساط الحاكمة ..

وكانت هذه هى الخطوة الاولى .. فقد اثبتت هذه المجموعة بين جماعات الاصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الداخلية والخارجية ..

وبدات هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين .. وتملا حياتهم بشىء جديد يعطيها قيمة اكثر .. فقد كانت حياة ضباط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية الا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى يقوم بها ، ومشاكله الفردية الجدية او العابثة على حد سواء ..

وانتشرت هذه الاجتماعات المفكرة .. او انتشرت هذه المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة ..

لابد من قيادة

وبدات بواكير النجاح تظهر سريعا ..

فقد بدات تسمع نفس المناقشات هنا ، وهناك .. وبدات ترى الضباط يلتقون، فاذا هم متفقون فى السخط، متفقون فى الشعور بحاجات الوطن ، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من اجل انقاذه ..

ومعنى هذا أن الرأى العام قد بدأ يتكون .. وأن عقبة كبيرة من عقبات الطريق ، قد أخذت تزول ..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه .. فقد كان واضحا أن هذا السخط عندما ينمو ، يمكن أن يكون خطرا كبيرا ، اذا لم يصحبه توجيه سديد ..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الايام العصيبة السوداء .. واذا بالساخطين ينفجرون فرادى .. أو ينفجرون دون وعى ، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها .

وقد تستطيع بعض الهيئات او الجماعات ، اذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش ، أن تحاول ضمهم اليها بصورة أو بأخرى .. وعندئذ تفلت من الجيش قيادته ، الى أيد قد لا تحسن التوجيه ..

وعادت المجموعة تتفق على أساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح :

*** العمل على الا يتأثر الضباط بالاحداث الجارية اى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى ، ودون خطة حكيمة مرسومة ..**

*** والعمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم ، فلا يرتبطون كأفراد ، أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش لأن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجيهه فى الايدى القادرة على تقدير خطره ، فلا يكون أداة فى يد احد او جماعة من الناس ..**

تجمعات

وكان لابد لضمان هذين العنصرين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه المجموعة بنفسها ..

ويوما بعد يوم ، وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا ، وفى نطاق واسع ، وعلى أساس الصداقة أيضا ..

وعن طريق هاتين الحركتين ، بثت الافكار ، وحذر الضباط من التأثر

بالحوادث تأثرا فرديا ومن الارتبـــاط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش ..

وبدأت هاتان الفـــكرتان ترسخان فى نفوس الضباط .. وأصبحتا جزءا لايتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الاسلحة

واطمأنت المجموعة الى أن الجيش لن يقوم بأى عمل اخرق أو احمق.. وان الضباط سيظلون بمنأى عن التأثر الفردى.. وانهم لن يعملوا الا جبهة واحدة منظمة ..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضـباط الجيش ، ولا نسبة كبيرة منهم ..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لاتضر ولا تفيد ، والتى لايمكن الاعتماد عليها فى اى شيء ..

وكانت فى الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين ، كجماعة مصطفى صدقى التى رفضت جماعتنا التعاون معها ..

وكانت فى الجيش عناصر انتهازية ، لم يكن من الصعب تحديدها ، واتقاء خطرها ..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية ، والمناقشات المخلصـــة ، والوعى الذى بدأ ينمو ، تكونت الصداقة القوية بين الضباط .. التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ ... وظلت سياجها حتى اليوم ..

ومثلما كان من المستحيل الوصول الى السيطرة الكاملة على جميـع ضباط الجيش وعناصره ، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالاحداث الجارية فى البلاد .. ولكن المبدأ الذى اتفقت المجموعة عليه ، منذ البدء .. وهو الا يؤدى هذا التأثر فى أى عمـــل فردى ، قد ظل سائدا طول الوقت .. وكان تأثر الضباط بالاحداث ، عاملا مســـاعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد ، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا وضوح الشمس ..

الاخوان وصدقى

ففى فبراير ١٩٤٦ — مثلا — وقعت حوادث الجامعة المشهورة ، فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية ، وحقدهم على السلطة الحاكمة والمستعمرين ..

وفى خلال الايام التى تلت هذه الحركة ، وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة الاخوان المسلمين . . فأيدت هذه المهادنة دعوتنا الى عدم الارتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش ، اذ وضح فى أثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا — كأفراد — على صلة بالاخوان المسلمين ، وبين جماعة الاخوان كجماعة لها سياستها التى أوحت لها فى ظرف من الظروف أن تهادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب ..

.. ثم الوفد

وعندما ذهب النقراشى الى مجلس الامن يعرض قضية مصر . . قوبلت الطريقة التى هاجم بها الانجليز هناك باعجاب شديد فى صفوف الضباط جميعا .. وفى الوقت نفسه ، كشف النحاس عن وجه غير وطنى عندما ارسل برقيته المشهورة الى سكرتير الامم المتحدة يعلن فيها أن النقراشى لايمثل شعب مصر .. فى وقت كان النقراشى فيه يهاجم الانجليز .

ولعل هذين الموقفين قد أحدثا مقارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشى ، فقد كان شعور الاعجاب بالنقراشى فى موقفه ، يقابله شعور الاشمئزاز من النحاس فى موقفه ..

ولكن عودة النقراشى من مجلس الامن ، واعماله التى تبعت ذلك لقمع الحركة الشعبية بالحديد والنار، قد بعث فى الضباط الشعور باليأس من كل الرجال .. وسوت بينه وبين غيره من الذين تشدقوا بالوطنية وخانوا قضية الوطن ..

مصابيح فى الطـــريق

هذه الاحداث بالذات ..

حادث الكبارى ، وحادث المهادنة بين الاخوان وبين صدقى ، وحادث برقية النحاس ، وحادث قمع الحركة الشعبية على يد النقراشى .. قد كان يمكن أن تؤدى جميعا ، او أن يؤدى اى حادث منها الى انفجار فردى أو جماعى من ضباط الجيش على غير وعى ، أو تنظيم سليم ..

ولكن المبدأ الذى كان قد ساد الضباط وشاع بينهم ، جعل من هذه الأحداث مجرد مصابيح تضىء لهم طريق العمل القادم ، وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد ، وبالدور الذى يجب ان يقوموا به ..

ومع الايام التى تمر .. بدأت المرحلة الثانية ، مرحلة التنظيم والتكوين .. بعد أن اطمأنت المجموعة الى المرحلة الاولى .. مرحلة اشاعة الوعى ، وتكوين الصــداقات ..

الفصل الثاني

تشكيل سري داخل الجيش

- كيف أتيح للضباط التطوع في حرب فلسطين؟
- حرب فلسطين تزيد سخط الأحرار..
- تزوير قسائم العهد.. والحرب بالبنادق فقط!
- الإخوان والمفتي والجامعة العربية..
- خطابات وحماس...
- مساعدة في الطريق...

كانت الروح التى سادت الجيش قد بدأت تبشر بنجاح عظيم خلال الاحداث الكثيرة المتعاقبة فى عامى ١٩٤٦ – ١٩٤٧ .

فقد ازدادت جماعات الساخطين بصورة ملحوظة وانتفت السلبية انتفاء يكاد يكون كاملا .. وادرك الضباط ادراكا كاملا أنهم على وشك ان يخوضوا معركة من اجل الخلاص .. خلاص الشعب وخلاص الجيش الذى ينبت من صميمه ..

وشعر الحكام .. الملك الطاغية ، والقواد « العظام » والسياسيون ، بعدوى السخط التى بدأت تنتشر فى صفوف الضباط .. وخيل اليهم أن « المصل الواقى » من وباء السخط يكمن فى خزائن الدولة ، وانهم اذا استطاعوا أن يحقنوا بهذا المصل جيوب الضباط لأمكنهم أن يعيدوهم الى السلبية المطلقة التى كانت قد أصبحت من تقاليد الجيش المصرى الراسخة دهرا طويلا ..

وكانت السلبية هى كل ما يأملون فيه ، ليستطيعوا عن طريقها عزل الجيش عن معارك الشعب ، وتسخيره فى الوقت المناسب لالهاب ظهره ..

وبدأت ترقيات الضباط تنشر فى الصحف متتابعة متلاحقة .. كوسيلة لارضائهم من جانب ولايقاع الفرقة بينهم وبين طوائف الشعب المأزومة من الجانب الاخر ..

ولكن حسابهم كان مليئا بالاخطاء الجسيمة .. والخطأ الاول والاكبر فيه ، هو أن الروح الوطنية عندما تستيقظ ، يصعب تخديرها .. وان الاغداق المفتعل يكشف بنفسه عن دوافعه ويصبح عاملا من عوامل اشاعة السخط لا اشاعة الرضى ..

وفى الوقت نفسه . كانت الاحداث تتلاحق .. وكانت احداثا جسيمة كشفت الغطاء عن كل شىء ، وبدأت تجرف الضباط جرفا .. نحو المعركة ..

تحول الى العمل السرى

فى ذلك الوقت كانت حلقات الساخطين ، تضم كل منـــها خمسين ضابطا على وجه التقريب .

وكانت الاسلحة جميعا ممثلة فى هذه الحلقات ، والصداقة القوية تربط بين افرادها ، من مختلف الاسلحة ، ومختلف الرتب التى لم تكن قد تجاوزت رتبة الصاغ فى ذلك الوقت ..

ورات المجموعة ان تبـدأ تنظيمها بداية تدريجية .. فلا تنتقل من الاجتماعات العلنية الى العمل السرى دفعة واحدة .. وانما تتدرج الى ذلك ، حتى يصبح واقعا طبيعيا تؤمن عواقب السير فى طرقاته ..

فقدكان راى المجموعة قد استقر فعلا على تكوين جهاز سرى فىداخل الجيش يناط به الاعداد للعمل الكبير ، والقيام بهذا العمل أيضا فى اللحظة المناسبة ، مطمئنا الى تأييد الضباط جميعا فى المرحلة الحاسمة ، بعد ان اشتعلت فىقلوبهم شرارة السخط ، ونما الوعى الشعبى فيهم ، كأفراد .. وكجماعات ..

وكان اختيار أعضاء هذا الجهاز السرى ، يحتاج الى دقة ، ووقت غير قصير .. خصوصا وانه لم يكن من تقاليد هذه المجموعة ، أن تركن الى اساليب الاختبارات المفتعلة التى تركنإليها الجمعيات السرية علىاختلافها كما لم يكن من تقاليدها الاعتماد على حلف يمين أيا كان شأنه .. وانمـا الاعتماد ـ فقط ـ علىالاخلاص الواعىالمقترن بالصداقة الكاملة .. وبدأ التدرج الى الهبوط ـ تحت الارض ـ والايذان ببدء العمل السرى يأخذ طريقه هادئا حتى لايشعر الضباط بأن هناك حركة غير عادية ، أوعمليات فصل بين الجهاز السرى وبين جموعهم الساخطة .

اشتراكات .. ومنشورات

وكانتالخطوة الأولى فيه ، هى اقتراح جمع اشتراكات من الحلقات الساخطة جميعا ..

وفهم الضباط من هذا الاقتراح ان هناك اتجاها الى عمل .. فعنـد

مناقشة الاقتراح ، وتعليل اسبابه .. ذكر احتمال اللجوء الى طبع منشورات .. واحتمال ايقاع الحكومة لونا من الاذى ببعض الضباط ، وانه يجب أن يكون لدى « الضباط » لا لدى « المجموعة » قدر من المال ينفق منه على المنشورات ، وعلى معاونة الضباط الذين يمكن ان يصيبهم الاذى من جراء هذه الاعمال ، واعالة أسرهم اذا أصابهم شر ..

وفى الوقت نفسه .. نوقشت جبهة الاعداء .. وحددت تحديدا واضحا ، بانها مكونة من الاستعمار .. والملك .. والاحزاب السياسية جميعا ..

وأدرك كل ضابط انه مشترك اشتراكا فعليا فى محاربة هذه الجبهة .. فسهل بعد ذلك انشاء التنظيم السرى ، فى مأمن من الفضول ، لقد كان كل ضابط بعد ذلك يعتقد انه واحد من التنظيم السرى ، ولا يفكر فى اكتشاف أمر ، يعتبر اكتشافه خطرا داهما على الحركة كلها .. وعلى المشتركين فيها ، وعلى البلاد ..

فلسطين ..

وبينما كانت المجموعة تدبر أمر البدء فى التشكيل السرى .. جاءت الاحداث ، تؤجل هذه الخطوة وتحول اتجاه السخط الى ناحية اخرى ، لم تلبث أن كانت حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح هذه الثورة ..

فقد اقبل عام ١٩٤٨ .. واقبلت معه أحداث فلسطين .. أوبصورة عامة .. حرب فلسطين ..

والقراء يذكرون كيف التهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح .. وكيف قرر الشباب العربى فى مختلف البلاد خوض الحرب المقدسة ، دفاعا عن العروبة فى اعز ديارها ..

وفى الايام الاولى لهذه الاحداث ، لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش هذه المعركة .. ولكن الحكومة كانت فى موقف لاتستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب ، من خوض هذه الحرب كمتطوعين ..

وكانت أكثر الجماعات فى ذلك الوقت تحمسا للتطوع والقتال ، هى جماعة الاخوان المسلمين ..

وكانت المجموعة ترى من واجبها تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال ، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة .

الاخوان . . والمفتى . . والجامعة العربية

وبدات فى تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الاخوان .. صلات بين ضباط المجموعة ، وبين قيادة الجماعة ..

فقد عقدت اجتماعات فى بيت المرحوم حسن البنا ، ضمت جمال عبد الناصر ، وكان اذ ذاك فى كلية اركان الحرب ، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية ، وبعض الضباط المنتمين للاخوان ..

وفى نفس الوقت نشات صلات بين المجموعة وبين الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين .. وبين المجموعة وبين الجامعة العربية ..

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا ، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة ، وتدريبها واعدادها اعدادا كاملا بكل ماتحتاج اليه من خبرة ومن سلاح ، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة ..

وكان الاخوان يقولون انهم مستعدون الى أقصى الحدود ، وانهم لاينقصهم شىء سوى السماح لهم بالسفر الى ميدان المعركة ..

وكان المفتى والجامعة العربية الى جانبه ، يكونان تشكيلات من المتطوعين ، وقد اعلنت الجامعة انها على استعداد لتسليحهم والانفاق عليهم ..

الاستيداع او الاستقالة

وبقى دور الضباط .. فقد كان الضباط لايستطيعون الاشتراك فى الحرب الا اذا أعلنت الحرب من الدولة اعلانا رسميا ، واشترك الجيش فيها ، ولم يكن قد تقرر بعد اعلان الحرب ..

ولذلك فكر الضباط فى الخروج من الجيش ، والاشتراك فى الحرب كمتطوعين ..

وبدات الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ، ومن عدد كبير من الضباط الآخرين .. وكانوا يكتبون فى طلباتهم ، انهم

مستعدون لتقديم استقالاتهم ، أو طلبات الاحالة الى الاستيداع ؛ على ان تتركهم الحكومة يذهبون الى الميدان باسلحتهم ..

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك أشد التردد ، مما أوجد الضباط فى حالة من الغضب ، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم ..

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا .. وشعرت الحكومة بانها لابد أن تعمل عملا .. واقتربت اللحظات الحاسمة ، معازدياد فظائع اليهود يوما بعد يوم ..

قبــول التطـوع

وفكرت الحكومة فى أن ترسل جماعة من ضباط سلاح المهندسين الى فلسطين ، ليقوموا ببعض الاعمال الاستكشافية .. ووجدت أن خير وسيلة لذلك ، هى أن تقبل ما كان الضباط يطالبون به من اباحة احالتهم الى الاستيداع او قبول استقالاتهم ، وتركهم للذهاب الى الميدانباسلحتهم كمتطوعين ..

وفوجىء الضباط باشارات تأتيهملمقابلة الفريق عثمانالمهدى (باشا) رئيس هيئة اركان حرب الجيش فى ذلك الوقت ..

ولبى الضباط الاشارة ، وفى مكتب رئيس أركان الحرب ، وجدوا الفقيد احمد عبد العزيز .. واخبرهم الفريق عثمان المهدى ، ان طلباتهم قد قبلت ، وانهم يستطيعون اعداد انفسهم للتطوع للقتال ...

٤ قطاعــات

كانت الجامعة العربية اذ ذاك قد بدات تنظم تشــكيلاتها بالاشتراك مع مفتى فلسطين ، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين الى أربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان ، على أن تخضع القيادات الاربع للجنة العسكرية التى جعل مقرها دمشق ، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب .

وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب ، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبد الواحد سبل .

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل .. فقد كان الفريق

ابراهيم عطا الله قد اخرجه من الجيش .. فأقام الضباط له حفلة تكريم فى نادى الضباط . لا لتكريمه فعلاً ولكن تحديا لابراهيم عطا الله .

وكان مع اللواء سبل ، ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وقد سافر سبل الى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربيـة والمفتى .. ولكنه لم يمكث هناك طويلا ، فقد دب النفور بينـه وبين ضابط مخابراته .. ثم عاد هو ، ولم يرجع مرة أخرى الى الميدان .

استعـــداد ..

وكان الضباط المتطوعون فى تلك الايام يعـدون انفسهم للسفر .. يعدون انفسهم بالسلاح ، وتدريب الجنود الذين سيحاربون تحت امرتهم . فلما عين المرحوم احمد عبد العزيز قائدا لقوات المتطوعين فى فلسطين ، ذهبت المجموعة معه الى منزل اللواء سليمان عبد الواحد سبل لتحصل منه على معلومات عن الجبهة ..

وكان مؤسفا ، انها لم تستطع الحصول على أية معلومات ذات قيمة عسكرية ..

ومضى الضباط يواصلون استعداداتهم ..

وكان اقسى ما يواجههم هى عمليات الاستعداد .. فللاسف الشديد كانت ظروف الاعداد قاسية موئسـة لاى ضابط ، مثبطة للهمم ، قاتلة للارواح ..

بنـــادق فقط !

كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود أن يسافروا الى ميدان القتال غير مزودين الا بالبنادق !

وكان الضباط يحاولون اقناع المسئولين بأن البنادق وحدها لاتـكفى وان السفر بغير مدافع ، يعتبر انتحارا ، أو يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون ثمنها من أرواحهم .. ولـكن الحكومة لم تكن تتحرك لصرخاتهم ..

وبدات الايام تمر ، ومع مرورها بدا اليأس يخيم على النفوس ، حتى لقد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع ، ورجعوا الى خـدمة الجيش بعد أن كانوا قد قطعوا شوطا فى استعداداتهم ..

وأى ضابط يسمح لنفسه ان يذهب الى القتال .. ومعه بندقية ، وليس مع جنوده سوى البنادق .. والميدان ميدان حرب حديثة لم يكن أحد يشك فى أنها حرب ضد عدو مجهز بأحدث وسائل القتال ..

وأخيرا .. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع .. وكان هذا انتصارا عظيما ، فرح الضباط به .. والجنود !

خطـــابات ..

وجاءت ليلة السفر .. وفى ليـــلة السفر وقعت بعض المفـارقات والحوادث التى لا تنسى .

فى ذلك اليوم : يوم السفر .. اعتذر عبـد المنعم عبد الرؤوف عن الذهاب الى الميدان .. وكان متطوعا ، ولا يدرى أحد لماذا تردد ، فقد كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس .

ولم يكد نبأ اعتذاره يعرف حتى تقدم اليوزباشى خالد فوزى ليحـل محله فى التشكيلات المسافرة .

وعندما ذاع نبأ اعتذار عبد المنعم عبد الرؤوف ، دب الذعر فى نفس أحد الضباط ، فاعتذر بدوره أيضـــا ، واذا بالمرحوم اليـوزباشى انور الصيحى يتقدم لـكى يحل محله ، وكأنما كان يسعى الى قدره .. فقـد استشهد انور الصيحى فى أول معركة عقب وصوله الى أرض فلسطين .

وفى مساء ذلك اليوم جمع أحمد عبد العزيز جميع المتطوعين ، وخطب فيهم قبل السفر .. وكل من حضر تلك الليـلة يذكر خطاب أحمـــد عبد العزيز .. ويذكر قوله بحمـاس لهؤلاء المتطوعين ، انـكم لاتذهبون لقتال عدو فحسب .. ولـكنكم ذاهبون لتكتبوا التاريخ

وفرغ احمد عبـــد العزيز من خطابه .. واذا بالجمع يرى المرحوم حسن البنا ومعه الشيخ فرغلى ، قادمين لوداع المســافرين .. وخطب حسن البنا ، وخطب الشيخ فرغلى .. واشتد الحماس وبلغ أوجه .

المتطـــوعون •

وفى الحقيقة كانت الروح عالية . وكان الحماس شديدا .. وكان الكل ذاهبا لـكى يموت اقدس ميتة واشرفها .. ولـكن هذا لم يكن يعنى امام الضابط العارف بأسرار القتال وفنون المعارك ، ان العمل من اوله الى آخره لن يؤدى الى نتيجة تذكر مهما حسنت الظنون

فقد كان المتطوعون خليطا من شباب الاخوان المسلمين ، ومن أفـراد الليبيين .. وما تعرفه الجيوش النظامية جميعا باسم الضبط والربط .. كان مفقودا تماما بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة العسكرية ، ولا يستطيع ان يفهمها فى ايام معدودة .

وكان الضباط حيارى بين الاخوان المسلمين بنظمهم الخاصة وتقاليدهم المعروفة ، وبين الليبيين الذين كان السيد عبد الرحمن عزام قد أتى بهم وقال إنهم خير المحاربين واشدهم بأسا واقواهم شكيمة .

ولكن روح الفداء التى كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى بامكـان التغلب على جميع المصاعب والعقبات ..

ورحلت قافلة المتطوعين ...

والذى افادته حركة الجيش من هذه الرحلة .. رحلة المتطوعين الى ارض القتال ، لايمكن تقديره بحال من الاحوال .. فقد كانت هذه الرحلة وحدها كافية لكى تخلق فى كل ضابط قدرا من السخط ، يكفى لكى يدفعه دفعا الى الموت فى سبيل تغيير الأوضاع القائمة فى البـلاد ، اذا حـدث ان عاد من الحرب سليما .

كشوف العهدة

بدات المهازل بما رآه الضباط من قوات الاسلحة المختلفة بخصوص العهد التى كانت لديهم فى أسلحتهم .. فاسوا الاسلحة اعطيت للمسافرين واسوا العربات اعطيت لهم .. واكثر من ذلك ، قام كل صاحب عهـدة

بجرد عهدته جردا خاصا ، لكى يحصر الناقص منها ، ويكتبه فى كشوف الاسلحة والمعدات المسافرة الى الميدان ...

وهكذا كنت تجد فى الكشوف ما لا تجد فى الحقيقة ... بل كانت الكشوف تحوى اضعاف الاسلحة والمعدات الموجودة فعلا فى أيدى الجنود لان أصحاب « العهد » وجدوا فى هذه المناسبة فرصة العمر لتغطية مافى ذمتهم من نقص شديد ...

مساعدات

والذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلا ، ويساعدونهم فعلا ، هم اخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين التقوا بهم فى الطريق ..

ففى العريش مثلا ، قام رجال الصيانة بفحص العربات المسافرة ، والذعر والأسى والحزن مخيم عليهم جميعا . . فقد كانت كلها سيارات قديمة لاتصلح لشىء ... وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على اصلاح السيارات واعدادها لكى تستطيع أن تكمل الرحلة الى الميدان ..

وكان الضباط يقولون لاخوانهم « الله معنا ... فالذهاب الى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار .. »

ومع كل هذا ، فقد كانت الروح أقوى ، والحماسة اشد من ان يجرفها اليأس ..

وسافر المتطوعون ، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد ، حتى وصلوا الى رفح ... ثم الى خان يونس .

وفى خان يونس .. فوجىء الضباط فى اليوم التالى بحضور عبدالمنعم عبد الرؤوف .. وهكذا لم يتخلف هذا الضابط الذى كان معروفا بين اخوانه بالحماس .

ولنترك المتطوعين الآن .. فلسنا بسبيل كتابة تاريخ حرب فلسطين . لنتركهم ، والحقد على الاوضاع يغلى فى قلوبهم .. ولنلتقى بالجيش المصرى المسافر رسميا الى فلسطين بعد هذه الرحلة باسابيع قليلة ..

كيف ذهبنا فلسطين وكيف عدنا؟

- الصحافة تأمر باشا كرين فاروق في غزة!
- القاهرة في القاهرة ..
- عبد الهادي يقبض على جمال عبد الناصر..
- أهداف الضباط الأحرار.
- السرية المطلقة ...
- نظام الخلايا...

ان قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة ... هى مأساة حقا ومأساة من النوع الذى لاينسى ...

ولقد حاولت أن أكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة فى أثناء حرب فلسطين .. ولكننى امسكت .. فما اعرفه أنا عن هذه الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها اعرفه بالسمع ، لابالممارسة والتأثر والانفعال .. وعندما أتذكر ماكنت اسمعه خلال تلك الايام من مآسى الحرب ، وخيانة القيادات ، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة ، ومتاعبى الشخصية اذ كنت اذ ذاك سجينا .. فلم يكفنى حبس حريتى ، ولكن كان مقدرا على ايضا ان احرم من خوض هذه الحرب المقدسة ،التى طالما تاقت نفسى لخوضها .

وايام السجن يمكن ان تكون لها صفحات ..

وايام الحرب ، لها بدورها صفحات ...

وان ارتاحت نفسى الى ذكر صفحات من ايام سجنى فى يوم من الايام ،فلن ترتاح لكتابة شىء عن ايام الحرب التى لم اخضها ، والتى خاضها زملاء لى ، كأنبون ...

فالى ان يكتب أخى صلاح سالم ، قصة حرب فلسطين ، ساكتفى هنا بالاشارة اليها او الاشارة الى ماسمعته منها من اخوانى وزملائى ضباط وجنود الجيش المصرى الباسل ، فى هذه الحرب المقدسة . . .

الحـــــرب

والذى لابد من ذكره لكى تستقيم هذه الصفحات هو الصورة الذهنيـة والعاطفية ، لضباط الجيش ، ومنهم ضبـاط مجموعتنـا يوم دخولهـا . والصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها ...

اما يوم الخروج للحرب .. فيوم ذكراه مجيـدة فى نفـوس الضبـاط والجنود جميعا ..

لقد أعلنت الحرب .. وسواء اعلنها فاروق ام اعلنتها حـكومة البـلاد القائمة ـ حكومة النقراشى فى ذلك الوقت ـ وسواء أكان اعلانها خطأ ، ام كان اعلانها صوابا ، وسواء اكان الجيش مستعـدا لخوضهـا ، أم لم يـكن مستعدا . فالحقيقة الوحيدة هى أن الضباط جميعا لم يفكروا فى شىء من هذا كله .. لم يفكروا فى الخطأ أو الصواب لم يفكروا فى احتمال النصر او احتمال الهزيمة .. ولكنهم فكروا فى شىء واحد فقط .. ان حربا اعلنت



باسم مصر ، وان جيش مصر يجب أن يخوض هـــذه الحرب ، كأشجع ماتخوض الجيوش حروبها ، وان يموت رجاله ، ضباطه وجنوده ، فداء لكل ذرة من ثرى الارض المقدسة ،ثرىالعروبة والمجد والتاريخ والقداسة.

هذا هو مافكر فيه ضباط الجيش وجنوده . وهذا وحده هو ماجعلهم يندفعون اندفاعا الى ميدان الشرف ، دون نظر الى الحقـائق الاساسيـة التى يهتم بها كل محارب وخاصة اذا مااشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الامر ماهو جدير به من الاهتمام ..

فالذين سافروا الى الحرب سافروا مجردين من أقوى سلاحين يسافر بهما المحارب .

المعلومات الحقيقية أو شبه الحقيقية عن العدو ..

والاطمئنان الى حسن استعداد الجيش نفسه .

والذين سافروا الى حرب فلسطين ، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود ، ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا ايضا عن جيش مصر نفسـه ومدى استعداده وحقيقة امكانياته !

ولكنهم سافروا .. سافروا حماسة ... وسـافروا ذودا عـن شرف الوطن الذى ادخرهم للذود عنه .. وقد آن أن يلبوا نداءه المقدس رغم كل شيء ...

فى أرض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات ، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الاسابيع الاولى، من حقائق تثبط اى همة ، وتقصم كل ظهر.

فهناك .. فى أرض المعركة ، وضح تماما ان كل مايلزم لجيش يحارب لاوجود له فى جيش مصر .. كل ما يلزم ... من سلاح أو عتاد أو ذخيرة أو مواصلات .. لاوجود لشيء يصلح للحرب ابدا ..

وهناك فى أرض المعركة،وضح تماما أنها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العـالم بأسره .. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة .. وهو يقـاد مـن

القاهرة وتصدر له الاوامر .. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا الى أصول الحرب ، ولا الى مقدرة الجيش نفسه ..

وهناك فى أرض المعركة ، وضح تماما أن الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا .. لخيانة هذا الجيش فى معركته الاولى المقدسة . فهؤلاء الانجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش مصر بالسلاح والعتاد والذخائر .. قد امسكوا ايديهم مرة واحدة .. ولم يعطوا الجيش شيئا .

وهناك فى أرض المعركة ، وضح تماما أن الانجليز قد دبروا تدبيرهم خيانة جيش مصر بهذه الوسيلة فقط ولكن بالتدخل المباشر لدى بعض الدول العربية ، لكى تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر ...

وركن فاروق !

وهناك فى ارض المعركة ، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا الى غزة ــ ولم يكن فى غزة حرب ولا قتال ــ واذا بالاوامر تأتى من قيادتهم بالقاهرة ، بانشاء استراحة لفاروق هناك تسمى « ركن فاروق بغزة » ..

هكذا فجعوا فى الحرب من اوائلها ..

اما أواخرها فكانت فترة تأمل ويقين ..

النتائج .. توحى

اواخرها كانت الفترة التى ادرك فيها كل ضابط وكل جندى فى جيش مصر .. ان هذه القيادة يجب ان تتغير .. قيادة الجيش وقيادة البلاد ..

أما قيادة الجيش ؛ القيادة التى لم يكن لها وجود ابدا .. فلو وجدت ؛ او وجد نوع من القيادة الحقيقية .. لما امكن ان يهزم جيش مصر ابدا رغم النقص البالغ الذى كان يعانيه فى سلاحه وعتاده ..

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة .

ولكن النتيجة التى عاد بها الجيش على أى حال.. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا .. تغيير الاوضـاع القائمـة فى البلاد من اساساتها .

قاعــدة العمــل

ولعل القارىء لم ينس أن هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبد الهادى المعروف بعهد الارهاب .

وفى هذا العهد ، عادت القوات المصرية من فلســـطين .. وقررت المجموعة أن تبدأ العمل فورا ، فقد كانت هذه هى اللحظات المناسـبة فعلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى الى تغيـير الاوضاع فى البـلاد .

وكان لا بد للمجموعة ان تتخذ لها قاعدة تعمل منها ، اى ان تعمل على ان يستتب بعض رجالها فى مكان معين ، وان تحرص كل الحرص عـلى إبقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت

القبض على جمـال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الارتكاز فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى ((باشا)) رئيس هيئة اركان حرب الجيش حينئذ ، لمنزل جمال عبد الناصر

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة ، فقد كان معـه عدد من ضباط البوليس الحربى .

ولم يكن هدف الزيارة هـدفا عاديا .. وانما كان الهدف هو القبض على جمال عبد الناصر ، وتفتيش بيته .

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش ، فلم يجدوا فى البيت سـوى بضع طلقات .. فقد كان جمال عبد الناصر حريصا دائما

اما جمال ، فقد اصطحبه عثمان المهدى ، الى ((دولة)) ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمسئول الاكبر فى عهد الارهاب .

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام ، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبد الهادى .. فقد وجه عبد الهادى لجمال تهمة التعاون مع الاخوان المسلمين مستدلا على ذلك بانه ــ اى جمال ــ قد قام بتدريب بعض شبان الاخوان على السلاح ، اثناء الحرب وقبل قيامها

اما جمال .. جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا .. فلم يكن لديه من الصبر ما يمكنه من عدم الاحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العــــام .

ولعلها كانت مفيدة .. فقد تريث ابراهيم عبد الهادى فى اصدار الامر باعتقاله .. وارسل رسله يأتونه باخبار جمال .. ثم افــــرج عنه فورا .. لانه ادرك ان لهذا الضابط شخصية معينة بين ضباط الجيش ، وان له كيانا خاصا فى صفوفهم ، فخشى ان يعتقله ، فتكون القشة التى تقصم ظهره ، وظهر العهد من بعده .

القاعدة فى القاهرة

وانتهينا من هذه المشكلة .. وبدانا فى التكوين .. تكوين القــاعدة اولا . .

وكانت القاعدة مكونة ــ كما قررنا ــ من جمال وعبد الحكيم وزكريا محيى الدين وصلاح سالم

واستطاع كل منهم ان يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة

فجمال ، وكان برتبة صاغ فى ذلك الوقت قد عين فى مدرسة الشــئون الادارية بالجيش .

وعبد الحكيم عين فى مدرسة المشاة .

وزكريا عين فى الكلية الحربية .

وصلاح استقر فى وحدته بالقاهرة

وفى الايام التى تلت ذلك ، فرغنا من وضع اساس التنظيم كله

الاهــــداف والنظام

فاسمينا انفسنا بالضباط الاحرار .. الاحرار فى كفاحهم فى سبيل الحياة ، والاحرار فى سعيهم الى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستغلال والفساد ، وكذلك الاحرار من الانتماء الى أى هيئة او جمعية او تشكيل معـــــروف .

ووضعنا اهداف التشكيل وطبعناها ... وتم توزيعها فعلا على الضباط الاساسيين فى التشكيل.. وظهر اسم ((الضباط الاحرار)) لاول مرة ..

وكانت اهم الاهداف التى تضمنها هذا المنشور الاول :

- القضاء على الاستعمار الاجنبى واعوانه من الخونة المصريين
- تكوين جيش وطنى قوى .
- ايجاد حكم نيابى سليم

وفى نفس الوقت ، وضع النظام الاساسى للتشكيل على الوجه التالى :

- السرية المطلقة فى كل شيء
- تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل لسلاح من اسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات التشكيل فيه
- الاخذ بنظام الخلايا ، ووجوب عقد اجتماعات الخلايا اسبوعيا وبانتظام
- تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم تقرير اسبوعى الى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رئى استبعاده .
- وجوب ضم اعضاء جدد فى كل اسبوع
- اصدار المنشورات بصفة منتظمة اسبوعيا

وعلى هذا الوجه بدا التشكيل مرحلته الحاسمة ، وخطته المدروسة .. على اساس نظام معين ، واهداف محددة واضحة وخلايا .. وقيادة كامـــــلة ..

لأننا عرفنا كيف نسير

- سرنا نحو اتجاه الشعب ...
- اللواء الذي جعلناه قائد نفسه فقط.
- الضابط الذي حملناه مسئولية طبيعة الثورة
- القصر وحديث.
- "التيتل" الذي دفناه في مكان أمين
- مجاهد نحو سينا.

كنا قد انتهينا من اقرار التنظيم العام للتشكيل السرى داخل الجيش ، واخترنا له اسم ((الضباط الاحرار)) وكنا قد انتهينا من تحديد اهداف هذا التشكيل السرى ، عرف بصـــورة كاملة .. ووضعنا قواعد العمل ..

ومنذ تلك اللحظة ، لم يهدأ لنا بال ، ولا للحكومات ، ولا للانجليز ولا للقصر ..

ففى ايام قليلة ، كانت منشوراتنا قد اصبحت تصـــدر بانتظام .. وكانت هذه المنشورات تزعج السلطات الداخلية والخارجيـــة ازعاجا شديدا . لان صدورها بتلك الصورة المنظمة ، كان يعطى فكرة لهذه السلطات بان التشكيل الذى يصدرها ، ليس من ذلك النوع الذى اعتاد الجيش ان يفاجا بظهوره بين فترة واخرى ، ليصدر منشورا او منشورين ، ثم يختفى ، او يكتشف امره

وكان شغل السلطات الشاغل فى تلك الايام هو أن يضعوا ايديهم على اى حلقة من حلقات هذا التشكيل ، او يمسكوا باى خيط يؤدى الى اكتشاف امره .. ولكننا كنا من جانبنا فى منتهى اليقظة .. فلم نمكن اية سلطة من السلطات من العثور على شىء .. لم نترك ثغرة واحدة تستطيع هـــذه السلطات مجتمعة او متفرقة ان تنفذ منها الينا .

وكانت هـــذه اليقظة ، الى جانب التجارب الكثيرة التى مارسناها منذ الشباب الاول ، من ايام منقباد ، هى السبب الرئيسى فى نجاح خطتنا نجاحا كاملا .. كما ان ارتبـــاط اهدافنا بعواطف الشعب واتجاهاته ، كان من اكبر العوامل المساعدة التى مكنت لنا من هذا النجاح ..

لقد نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير .. ولاننا سرنا فى اتجاه الشعب .. ولاننا استفدنا من تجربتنا الطويلة السابقة ..

جـــواسيس !

وكنا فى بدء أيامنا كتشكيل سرى ، عندما اتصل مصطفى كامل صدقى بجمال وحاول التفاهم معه على ان تنضم مجموعته القديمة ـ اى مجموعة مصطفى صدقى ـ الى تشكيلنا ، توحيدا للجهود ..

وكان معنى هذا ان تشكيلنا كله قد بات فى خطر .. فان معلوماتنا عن مصـــطفى صـــدقى وجمـــاعته كانت تدل دلالة كبيرة عـــلى انهـــم يعـــملون لحساب القصر .

وكان لا بد ان يقتنع مصطفى صدقى بانه ليس هناك اى تشكيل يضمنا ، وان جمال عبد الناصر لايعمل شيئا على الاطلاق ..

ولم يكن هذا صعبا على جمال .. فقد استطاع فى لحظات قليـــلة ان يقنع مصطفى صدقى بانه قد أصبح بعيدا عن كل نشاط ، او كل اتصـــال بنشـاط .. وانه اكثر من هذا صمم منذ عاد من فلسطين على ان .. يأكل العيش ... وبس!

واقتنع مصطفى صدقى بهذا الكلام .. ومضى ..

وفى الحقيقة ، كان مصطفى منجما جيدا للمعلومات .. وكنا نســـتغله كيفما نشاء .. دون ان يشعر .. فقد كان مولعا بالتباهى والتفاخر يحب أن ينسب الى نفسه اشياء كثيرة مما تحدث ، يحيطها بما يعلمه جيـــدا من ملابسات ... كنا نستفيد من ذكرها فائدة لا تقدر ..

الخلايا ..

وفى ذلك الوقت بدات الخلايا تعمل ..

كانت خلايا خماسية .. تبدأ كل خلية بأحد ضـــباط القيـــادة الذى يكون من نفسه نواة لخليته .. ثم تتسلسل الخلايا على هـــذا الوجه ، كل عضو من اعضاء الخلية الاولى يكون هو نفسه نواة لخلية جديدة لا يعـــرف اعضاؤها احدا غيره من اعضاء الخلية الاولى ..

وللحقيقة نذكر اننا لم نتعد فى تسلسلنا هذه الطبقة الثانية من طبقات

الخلايا . . وان هذا كان فى حد ذاته سببا من اسباب نجاح التشكيل .ضبط جميع أموره ضبطا كاملا . .

وكانت واجبات اعضاء الخلايا هى :

١ ـ ضم الموثوق بهم الى التشكيل

٢ ـ اثارة الموضوعات العامة فى وسط الضباط ، لخلق مجموعة كبيرة من العاطفين على اى حركة يمكن ان يقوم بها التشكيل فى يوم من الايام . .

وبالطبع كان اعضاء الخلايا يدفعون اشتراكات شهرية ، وكانت هذه الاشتراكات توضع فى صندوق توفير باسم البكباشى احمد حمدى عبيد . . وكأنها مجرد نقود يدخرها من دخله الخاص . .

وكنا نحاول الاستفادة من كل شىء . . من كل الظروف والعلاقات الشخصية والاحداث التى تقع : واحيانا كانت تسنح لنا فرص طيبة، لا تخلو من طرافة . ولكننا كنا دائما نحسن استغلالها . . كما كانت الظروف نفسها تساعدنا كثيرا . . وعندما كانت الظروف تلعب دورها الى جانبنا كنا نشعر براحة نفسية كبيرة وامل ساطع يشع فى قلوبنا . . فقد كانت الدلالة الوحيدة لمساعدة الظروف لنا ، هى اننا مرموقون من الله عز وجل . . . بعنايته

القصر وحيدر !

وكان أخوف ما نخافه جهتان :

القصر ومخابراته الخاصة . .

وقيادة الجيش . .

وكنا لذلك قد رتبنا امورنا جيدا ، على تطويق الجهتين كلتيهما . . وبينما كان صلاح سالم يقوم بدوره فى كسب ثقة حيدر « باشا » لجلب المعلومات منه ، واعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط الضباط الاحرار ، كلما تعرض لخطر الانكشاف . . كنت انا أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر ، وعن طريق الدكتور يوسف رشاد . . .

وبهذه الطريقة كنا نضمن دائما ، ان نعرف اولا بأول كل ما يمكن ان يكون قد وصل الى علم احدى هاتين الجهتين من معلومات ـ صادقة او كاذبة

عن نشاطنا وان نعرف ايضا أولا بأول كل مايمكن ان تفكر فيه احدى هاتين الجهتين من اجراءات خاصة بنا ، وان نضمن ايضا تغطية الموقف فى كل حالة من الحالات ..

والى جانب هذا ، كانت الفرص الطريفة تسنح لنا وكانت الظروف تساعدنا فى كثير من الاوقات ..

هو الذى يطبع !

حدث مثلا ، أن قبض على الضابط حسن علام اثناء قيامه بكتابة منشور ضد الاوضاع التى كانت قائمة حينذاك ..

ولا احد يدرى ان كان هذا الضابط قد نوى فعلا طبع هذا المنشور وتوزيعه .. فلعله كان ينفس عن نفسه مجرد تنفيس بهذه الوسيلة ..

ولكن الحادث وقع على كل حال .. فقد قبض عليه متلبسا بكتابة كلام شبيه بما كان الضباط الاحرار يكتبونه فى منشوراتهم .. ورفع الامر الى الفريق حيدر باشا .. واذا به يتهلل ويشرق ويشعر أنه قد وضع يده على التشكيل الخطير المزعج الذى يسمى نفسه بالضباط الاحرار ..

وكانت فرصة لنا .. فانا اذكراننا لم ندع وسيلة فى تلك الايام الا استعنا بها لاثبات هذه « التهمة » عليه .. وقد ثبتت فعلا ، واتجهت انظار القصر والقيادة وجهة اخرى تماما ، فى كل أبحاثهم الخاصة بالكشف عن حقيقة الضباط الاحرار ..

ولعلنا ان نكون قد تألمنا كثيرا لهذا الحادث ، ولموقفنا منه .. ولكن مصلحة الوطن التى كنا نعمل بصدق من اجلها كانت تقتضى منا ان ننتهز هذه الفرصة ، والا ندعها تفلت من ايدينا ابدا ...

المعركة .. لم تنته

ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة الطريفة . أو الفرصة الوحيدة التى عرفنا كيف نستغلها استغلالا كاملا مفيدا ..

فقد حدثت احداث اخرى اثناء معركة القنال ، كانت كفيلة باضعافنا أو الكشف عن سرنا الكبير ...

وقد كانت معركة القنال من وجهة نظرنا ، معركة مجيدة تبدى فيها شعور الشعب واستعداده الكبير للتضحية بكل شىء ..

وصحيح انى لست انوى ان اذكر شيئا من التفاصيل الخاصة بدور الضباط الاحرار فى هذه المعركة ، فان معركة القنال لم تتم فصولا .. ودور الضباط فيها ان كان قد بدأ فى حدود الظروف التى سنحت لهم خلالها .. فهو دور قادم لا شك فيه ، ولا نهاية له الا يوم يخرج آخر جندى من ارض القنال ...

لن ننشر اليوم اذن شيئا من هذه التفاصيل ولكن هناك مع ذلك مايمكن نشره .. هناك قصتان .. لعل احداهما قد كسبت شهرة معينة اذ جاء ذكرها فى محكمة الثورة اثناء محاكمة فؤاد سراج الدين ، عندما ذكر « المتهم » قصة اللغم البحرى ..

اما القصة الثانية .. أو هى الاولى باعتبار تاريخ الحوادث فكانت قصة على هامش الاحداث ، ولكنها كانت ذات خطر كبير ، لولا اننا احسنا استغلالها ..

مجاهد فى سينا !

ولنبدأ بهذه القصة .. وقد وقعت الايام الاولى للمعركة .. وكنا اذ ذاك فى سينا .. كنت هناك انا وعبد الحكيم وصلاح .. وكنا نشعر بالضيق الشديد الذى يملأ نفوسنا ونفوس جميع الضباط فى سينا ، فقد كان الجميع هناك يشعرون بأن عليهم واجبا يجب أن يؤدوه فى هذه المعركة وانه لا حق لأحد فى منعهم عن القيام به ..

وتكاثر الضيق ، وغلت الصدور ، واصبحت القوات هناك فى شبه هياج مستمر ، ينذر بالخطر ..

ووصلت التقارير الى قيادة الجيش عن هذه الحالة المسيطرة على القوات فى سيناء فأرسلت القيادة ضابطا كبيرا هو اللواء توفيق مجاهد ، وكلفته بتهدئة الحالة هناك ..

وجاء اللواء يهدئنا !

جاء ، فجعل يخطب فينا ويناقشنا ، ويحاول اشعارنا بأن دور الجيش لم يأت بعد ، لا لأن الجيش يجب أن يستعد .. ولكن لان عدونا الحقيقى فى

نظر اللواء مجاهد ، ومن ارسلوه ــ هو اليهود .. وان علينا ان نفرغ من اليهود أولا ثم بعد ذلك نفكر فى الانجليز ..

واطال اللواء مجاهد كثيرا فى هذا المعنى ، حتى ضاقت الصدور .. واذا بصلاح سالم يصرخ فى وجهه قائلا :

ان عدونا الاساسى هو الانجليز ، هو هذا الاستعمار القائم فى بلادنا .. واننا يجب علينا ا نطهر ارض الوطن من هذا الاستعمار اولا . وقبل كل شىء ..



ويبدو ان صرخة صلاح قد لاقت تأييدا من الضباط .. واذا باللواء مجاهد يبدى ضيقه الشديد بهذه الصيحة ، ثم لا يفتأ ان يبدى رأيه علنا فى صلاح ... وكان هذا الراى هو ان صلاح سالم ... رجل خطر

واحسسنا بالخطر يحدق بنا .. فقد ايقنا ان اللواء مجاهد لا بد ان يكتب تقريرا عند عودته الى القاهرة ، يتهم فيه صلاح سالم بالخطورة .. ومن يدرى كيف يمكن ان يتجه نشاط القصر الى كشف حقيقة صلاح واتصالاته ، وكيف يمكن ان يؤدى هذا الى الايقاع بالتشكيل كله ..

وقررنا ان نلغم الارض للواء مجاهد قبل ان يعود الى القاهرة ، ويقدم تقريره المنتظر ..

وفى نفس الليلة اجتمعنا ، عبد الحكيم عامر وصلاح وانا .. فى منزلى الصغير فى رفح .. ثم رأينا ان نكتب خطابا الى الفريق حيدر باشا ، نضمنه شكايتنا من ان اللواء مجاهد قد اثار الضباط اثارة شديدة فى زيارته لهم ، وانه استفزهم استفزازا يمكن أن يؤدى الى ما يجب اتقاؤه من شرور .. خصوصا وان لهذا اللواء تاريخا اثناء حرب فلسطين ... وان هذا التاريخ معروف لسائر الضباط ..

وكتبنا الخطاب فعلا ، وأرسلناه الى حيدر ..

وفى اليوم التالى هبط اللواء مجاهد الى القاهرة .. ولكنه لم يكد يحط قدميه فيها حتى كان حيدر « باشا » قد استدعاه اليه وبدأ التحقيق معه فيما ألصقناه به من اتهامات !

وانتهى التحقيق بقرار نقله الى المنطقة الجنوبية ..

وكان اللواء مجاهد اذذاك نائبا لرئيس هيئة اركان حرب الجيش المصرى ، كان يتمتع بهذا المنصب الخطير ، وهذه الادارة الضخمة .. واذا هو ينتقل الى المنطقة الجنوبية .. حيث لا جنود ولا ضباط .. أى حيث يصبح قائد نفسه .. فقط .. لا غير !!

النيتل أو اللغم !

والقصة الثانية من قصص معركة القنال ، هى قصة اللغم البحرى التى اشار اليها سراج الدين اثناء محاكمته ، ووعدت الجمهورية اذ ذاك بنشرها كاملة ..

وقد وقعت هذه القصة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ أى قبل حريق القاهرة بشهر كامل على التحديد ..

واذكر هذا التاريخ جيدا .. لانه كان يوم ميلادى .. أو عيد ميلادى ، كما يسمى الناس تاريخ مولدهم ..

وكنا ثلاثتنا فى رفح .. عبدالحكيم ، وصلاح ، وانا .. وكان معنا هناك سبعة وعشرون ضابطا ..

والضباط فى مثل هذه الوحدات النائية ، ينتهزون فرصة المرح انتهازا .. وكان « عيد ميلادى » احدى هذه الفرص .. ولذلك قرر الضباط أن يحتفلوا بهذه « المناسبة » على حسابى ، فى سينما المدينة ..

وذهبنا إلى السينما .. وبقى حكيم وصلاح فى الميس وحدهما ...

لمـــاذا .. ؟

لا أدرى لعل ذلك لاننا لم نرد ان يخلو الميس من ضباط ..

ولعل الامر اكبر من هذا كثيرا .. فقد كان لا بد فعــلا من أن يوجد ضباط فى الميس ، وأن يكون هؤلاء الضباط هم عبد الحكيم وصلاح بالذات .. فقد عودنا الله طيلة أيام استعداداتنا لهذه الثورة ، أن يكون معنــا فى كل شىء ..

ودق جرس التليفون فى الميس ، فقام اليه عبد الحكيم .. وكان المتكلم هو جمال عبد الناصر .. من القاهرة ..

وقال جمال لعبد الحكيم جملة واحدة .. « التيتل جاى النهــارده فى الطيارة .. استعد لاستلامه .. »

وقطع جمال الخط .. وانتهت المكالمة ..

وكانت كلمة « التيتل »من كلمات قاموســنا « الحركى » . . وكان معناها « اللغم »

وكنا قد اتفقنا من قبل على أعداد لغم بحرى كبير لنضعه فى القنــال قبل مرور باخرة انجليزية كبيرة .. فننسفها بذلك ..

وكان هدفنا من هذه « العملية » هو تعطيل القنـــال ، وتقديم الدليل الكافى للعالم ، على أن الانجليز لا يستطيعون حماية القنال ، مادام المصريون لا يمكنونهم من ذلك .

وجلس عبد الحكيم وصـــلاح ينتظران « التيتل » .. وكانا بالطبع لا يعلمان شيئا عن حقيقة حجمه ..

وبعد قليل .. اتصـــل ضابط من العريش بعبد الحكيم .. وقال له بلغتنا « الحركية » استلمت « التيتل » ولكنى لا أعرف كيف أوصــله الى القنطرة ، لان امكانياتى اقل من ذلك كثيرا ..

وأجابه عبد الحكيم بقوله :

ـ أرسله الى فى رفح .. وسأتصرف انا فى الامر ..

وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران « التيتل » مرة أخرى .. وقد علما أنه سيصل اليهما ساعيا على الارض لا هابطا من السماء .!

وبعد قليل ، وصل « التيتل »

وصل ، فى حراسة ضابط كيماوى ، كان هو الذى قام باعداده ، وكان ايضا هو المكلف بتركيبه فى القنال ..

وكانت الساعة اذ ذاك ، الثامنة مساء ..

وكان هذا « التيتل » عبارة عن أربعــة صناديق كبيرة الحجم ثقيــلة الوزن جدا ..

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضابط الكيماوى على انزال الصناديق .. وكان جليا انها لايمكن أن تدخل من الابواب ، ولاان تخفى فى احدى الغرف ..

وكان الحل الوحيد ، هو انتوضع هذه الصناديق الى جوار الباب .. ثم ان يسرع عبد الحكيم وصلاح الى السينما ليخرجانى منها ، حتى اجلب لهم بعض جنود سلاح الاشارة ، ليساعدوا فى عملية نقل هذا « التيتل » .. غير المنتظر !! ..

وخرجت من السينما ، وتوجهت فورا الى سـلاح الاشارة فاحضرت بعض جنودى المدربين بينما ذهبا هما الى سلاح خدمة الجيش فأحضرا ضابطين من الاحرار ، وعربة لورى كبيرة ..

وكان الوقت الذى أمامنا يحسب بالثوانى لا بالدقائق .. فقد أوشكت السينما أن تنتهى .. وبانتهائها سيحضر الضباط الى الميس .. وينكشف أمر « التيتل » الذى كنا نحرص أشد الحرص على اخفائه ..

وفى هذه الثوانى التى كانت قد بقيت لنا ، استطعنا أن نضع التيتل فى اللورى ، وأن نجهز اللورى بالبنزين الذى يكفيه لقطع ٣٥٠ كيلو مترا .. الى القنطرة .. وأن نعد بعض قطع الساندوتش ، للضابط الكيماوى ومرافقيه ..

وسار اللورى على بركة الله ..

واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الاحرار فى العريش لكى يدعوه يمر .. ثم بزملائنا فى القنطرة ، لكى يتسلموه ..

ولم نكد نفرغ من كل هذا ، حتى كانت مظاهرة قوامها سبعة وعشرون ضابطا تقترب فى مرح من الميس ..

كانت السينما قد انتهت .. وكان الضباط عائدين ..

ولعل قصـة « التيتل » هى احدى القصص التى لم تنته من قصص معركة القنال ..

فالذى نسـتطيع اليوم أن نضيفه الى ما ذكرت هو أن القنطـرة قد استلمت « التيتل » وأن الضابط الكيماوى قد ركبه فعلا .. ثم قامت فى وجهنا عقبات لم تسمح لنـا بتنفيذ خطتنا .. فقررنا دفنـه .. دفنه فى مكان أمين .. حتى يحين الحين ..

حددنا موعد الحركة سنة ١٩٥٠

- قلنا لسراج الدين "حافظ على الدستور ونحن نحميك"
- فؤاد سراج الدين يقول "إن شعب مصر لا يهتم بالدستور"
- تم الانتخاب في منزل كمال الدين حسين ..
- الاتصال برجال الوفد .. جريمة ..
- ماذا قال مدير البوليس الحربي ؟
- سراج الدين يقول . "احنا خايفين من الجيش"

ان كنا لانريد ان نكشف اليوم الستار عن دور الاحرار كله ، والخط الذى رسموه لانفسهم وكفاحهم ابان معركة القنال .. فلاننا ــ كما ذكرت فى الصفحة الماضية من هذه الصفحات ــ لا نعتبر معركة القنال معركة منتهية ، بل نعتبر ما مضى منها مجرد تمهيد يسبق الفصل الاول من فصولها التى يجب ــ فى تقديرنا ــ أن تكون رهيبة تعلم الغاصب كيف يحسب ألف حساب لكفاح الشعوب ..

ولكن دور الاحرار الذى بدأ اذ ذاك كان قد بدأ ليستمر لا ليتوقف وكنا نمر فى تلك الاثناء بفترة كمل فيها استعدادنا ، واصبحنا قادرين فعلا على التحرك من وحداتنا ، لنضرب الضربة التى تطهر البلاد من رأس الفساد فيها .. الملك ، والاقطاع . وما يتفرع عنهما من أحزاب وسياسات قادتها طويلا . الى الخراب ..

فالسنوات التى مرت بنا بعد اكتمال تنظيمنا ، وهى سنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .. قدكانت سنوات الاستعداد والدراسة الكاملة للموقف ، وتحديد موعد البدء .. وفى نهاية هذه السنوات اوقرب نهايتها ، وقعت معركة القنال ، وأدركنا ان دورنا الكبير قد حان وقته ..

انها فترة مترابطة اذن .. سنمر اليوم مرورا ببعض احداثها ، لنعود الى ذلك مرة أخرى .

ففي عام ١٩٥٠ كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلي .. للخلايا ، والمخابرات ، وجمع الاشتراكات وعقد الاجتماعات وضم الضباط .

كان كل شيء يجرى على مايرام .. وكنا نفكر دائما فى الزمن الذى يجب أن نقضيه فى الاستعداد والتهيؤ للمعركة .. وكنا ــ ككل من يقدم على خطوة كبيرة جريئة ــ نقدر قوة العدو بحدها الاقصى ، ونقدر قوتنا بحدها الادنى ، ونعتقد اننا لن نبدأ حتى نكون على يقين من ان الحد الادنى لقوتنا ، قد أصبح اقوى فى كل شيء مما يمكن ان يكون عليه الحد الاقصى لقوة العدو ..

والعدو ، كان بالطبع ، فاروق وجهازه الرهيب ، مع وضع الاستعمار وما يمكن أن يتقدم من مساعدة فى الحساب ..

وكنا فى بدء عام ١٩٥٠ قد قدرنا للاستعداد خمس سنوات ، اى اننا حددنا موعدا للحركة عام ١٩٥٤ او ١٩٥٥ .

ولكن الظروف السياسية التى لابست الاشهر الاولى من عهد الوفد ، قد جعلتنا نعيد التفكير مرة اخرى ، ونحدد للحركة موعدا بعد ثلاثة اعوام بدلا من خمسة اعوام .

فقد كانت سياسة المهادنة التى فاجأ بها الوفد البلاد فى أول شهور حكمه تستدعى هذا التقريب لموعد الحركة .

اذ كانت هذه السياسة وحدها ، هى النذير الاكبر بوجوب انفجار الشعب وقرب هذا الانفجار ..

فقبل عهد الوفد الاخير .. كان الشعب يرى أمله فى حزب الوفد رغم مساوئه .. وحتى نحن كنا نعتقد أن حزب الوفد رغم كل هذه المساوىء المعروفة للجميع ، هو الحزب الذى نستطيع أن نركن اليه يوم تقوم بضربتنا الكبيرة ، لنسلمه زمام البلاد ، على أسس واضحة من التطهير والعمل الخالص للوطن .

كنا نعتقد هذا ، بل لقد خطونا فى هذا السبيل خطوات سيأتى تفصيلها ..

وكنا رغم كل هذا ، مضطرين الى ان نحسب حسابا للحقيقة الكبرى وهى أن حزب الوفد اذ يجىء بهذه الاغلبية الساحقة فى عام ١٩٥٠ ثم يهادن القصر تلك المهادنة المكشوفة المزرية ، قد صدم الشعب فى أمله الوحيد الباقى ، ولم يجعل هناك مجالا يستطيع الشعب أن يتنفس فيه الا أن ينفجر فيطيح بكل شيء .

وكنا نقدر هذا الانفجار الشعبى ، وعواقبه ونريد ان نكون ميزانا حساسا لانفعالات الشعب ، حتى لايأتى انفجاره دون توقع منا ، فيتعرض الحمة رهيبه بينه وبين القوة الغاشمة قد لاتكون سليمة العواقب .

وفى الوقت نفسه كنا نخشى أن يدب الملل فى نفوس ضباطنا ، وان يعطى التراخى فرصة للقضاء على قوتنا ، بعوامل التشتيت المقصودة او غير المقصودة على حد سواء ..

لذلك قربنا الموعد الذى حددناه للحركة ، وجعلناه عام ١٩٥٢ او ١٩٥٣ بدلا من ١٩٥٤ أو ١٩٥٥ .

انتخاب جمال

وكنا فى ذلك الوقت فى القاهرة ، نحن جميعا وكنت انا أعيش كالحبيس فى دائرة ضيقة ، لم يسمح لى الاخوان بالتحرك فى اى دائرة اوسع منها بحال من الاحوال ، فقد كان تاريخى السابق ، تاريخى الذى لم يمر عليه أكثر من عامين منذ خرجت من السجن فى آخر مرة ، يجعل اى حركة اقوم بها مثار شكوك .

ومر عام ١٩٥٠ ، وأقبل عام ١٩٥١ .. وفى هذا العام نقل بعضنا الى سينا .. نقل صلاح وعبد الحكيم وانا .. الى سينا ، ونقل جمال سالم الى العريش ..

اما باقى مجموعتنا .. فقد ظلوا فى القاهرة .

وكان هذا النقل .. وتشتيتنا فى ثلاث جهات مدعاة الى اتخاذ اجراء لابد منه ، لم نكن قد فكرنا فيه قبل ذلك العام ..

كان لابد أن يكون لنا رئيس مسئول ، يقوم بتنسيق أعمالنا واصدار الاوامر والتصرف الوقتى فيما يجد من مشكلات ..

وعقدنا اجتماعا لبحث الامر ، ثم انتخبنا بالاجماع رئيسا لنا .. جمال عبد الناصر ..

وبدأ بذلك تقليد جديد لهذه المجموعة ، ان تحدد موعدا للاجتماع فى كل عام لانتخاب الرئيس ..

وفعلا ، تم ذلك أيضا فى يناير ١٩٥٢ .. اذ اجتمعنا فى منزل الصاغ كمال الدين حسين وانتخبنا جمال رئيسا لمدة سنة اخرى من ذلك التاريخ ..

واختيار الرئيس

على ان هذا الاجتماع ، قد تضمن قرارا آخر اتخذناه ، واتفقنا على ابقائه سرا بيننا .

وكان هذا القرار هو اختيار اللواء اركان الحرب محمد نجيب لكى يكون قائدا لحركتنا فى يوم تنفيذها .

وكان سبب اتخاذ هذا القرار .. هو أننا لابد أن نضع فى حسابنا شخص القائد الذى نتقدم خلفه الى الشعب ، لكى نستطيع أن نمهد لشخصيته التمهيد الكافى فى صفوف الجيش .

وكان الرئيس نجيب قد عرف لمجموعتنا عن طريق عبد الحكيم عامر ، اذ كان عبد الحكيم عامر أركان حربه أيام معركة فلسطين .. كما كان عبد الحكيم قد قام بتعريف اللواء نجيب بالبكباشى جمال عبدالناصر عقب عودة جمال من الفالوجة ..

ورغم اتخاذنا هذا القرار ، فلم نشأ أن نعلنه حتى للرئيس نجيب نفسه .. لان الوقت لم يكن قد حان بعد لاتخاذ هذه الخطوة .

وبعد أسبوع عقدنا اجتماعا آخر .. فقد كنا نشعر فى ذلك الوقت ان موعد الحركة قد يكون أقرب بكثير مما نتصور ، ومما نقدر ..

تقدير الموقف

وفى هذا الاجتماع طلب جمال سالم أن نقرر البدء فى اتخاذ موقف الاستعداد الكامل للعمل فى أى وقت .. وأن تكون المهلة التى تعطى لضباطنا قبل البدء شهرا على أكثر تقدير .

ووافق المجلس على ذلك ..

وفى نفس الاجتماع ، كلف المجلس عبد الحكيم عامر ، بعمل « تقدير موقف » للحالة من جميع نواحيها ، الشعبية والسياسية والعسكرية ، وأن يقوم بعرض تقريره على المجلس فى أسرع وقت ..

كنا جميعا نشعر بوطأة الاحداث وبتحكمها الواضح فى تحديد موعد حركتنا .. فقد كان الشعب يغلى ، وكان الجيش يغلى .. وكان لابد من عمل ..

وانتهى هذا الاجتماع الذى عقدناه بمنزل قائد الاسراب ـ حينئذ ـ حسن ابراهيم .

ثم اجتمعنا بعد يومين اثنين ، لكى ندرس التقرير الذى أعده عبد الحكيم عامر ..

وفى هذا الاجتماع .. استطعنا أن نطمئن تماما .. وانتهينا الى أننا قادرون على القيام بالحركة فى أول فرصة ممكنة . . وأن امكانياتنا تضمن لنا النجاح ..

ولم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من عبد الحكيم .. فقد كان مسبوقا بجولة قام بها جمال وعبد الحكيم فى داخل الجيش للقيام بعملية حصر كاملة لاول مرة ، ومعرفة حقيقة القوة التى نستطيع الاعتماد عليها ..

وبالطبع كان هذا الاجتماع ، قبل حريق القاهرة .. ولم يكن احد يتوقع وقوع ذلك الحادث المشئوم .

الاتصال بالوفد

ولنترك الان التفاصيل العسكرية ، لنلم بما قمنا به الى جانب ذلك من محاولة لاستغلال الموقف السياسى ، والتهيئة لاوضاع مابعد الثورة من الناحية السياسية ، والناحية الشعبية .

الوفد ...

الوفد الذى كان يحكم .. والذى هادن الملك فى أول عهده ، ثم اضطرته الظروف واضطرته نفس القاعدة الشعبية التى لم يكن يستطيع ان يغفل حسابها الى الغاء المعاهدة ، وبدء الكفاح المسلح ضد قوات الاستعمار فى القنال ..

هذا الحزب ، كان أملا من آمالنا رغم كل شيء وكنا نريد أن نقويه فى موقفه ، وأن نجعل منه الشرارة التى تطلق قذيفتنا .

وقررنا أن نتصل بالوفد ، وأن نترك أمر تدبير الاتصال به الى جمال عبد الناصر ..

ولن أسبق هنا الحوادث ، ولكنى سأحاول أن أذكر تفاصيلها كما يذكرها الذين شاركوا فيها ..

بدأ جمال بدعوة اليوزباشي جمال القاضى ، وطلب منه أن يتصل بعمه « عبد اللطيف محمود باشا » الوزير الوفدى اذ ذاك ، والتفاهم معه على أوجه المساعدة التى يحب الوفد ان يحصل عليها من تشكيلنا العسكرى فى سبيل ايقاف الملك عند حده ، ومنع اعتداءاته على الدستور .

جريمة كبرى

وكان السر فى اختيار جمال القاضى ، هو هذه القرابة الوثيقة بينه وبين عبد اللطيف محمود ، فقد كان اتصال اى ضابط بالجيش بأى رجل من رجال الوفد حينئذ ، يعتبر فى نظر قادة الجيش ، ورجال القصر ، جريمة تستوجب الحساب والعقاب ..

ولذلك كان علينا ان نغطى هذه الاتصالات باللجوء الى صلات القربى ، التى لاتثير الريب والشكوك ..

وذهب جمال القاضى الى عمه .. ثم عاد ليقول ان عبد اللطيف محمود صارحه بأنه لايستطيع أن يتكلم شخصيا فى هذا الامر ، ولكنه مع ذلك

على استعداد لتقديم جمال القاضي الى رجل الوفد المسئول ، فؤاد سراج الدين ، ليتم التفاهم بينهما مباشرة ..

وفكر جمال عبد الناصر فى الامر واستعرض فى ذاكرته أسماء الضباط الذين يمكن ان يعتمد على واحد منهم فى الاتصال المباشر بفؤاد سراج الدين ، ثم استقر على أن يكلف القائمقام رشاد مهنا بهذا الاتصال لانه ايضا تربطه اواصر القربى بفؤاد سراج الدين .

تخاذل ..

وتقابل جمال مع رشاد مهنا ، وطلب منه ان يذهب لمقابلة سراج الدين وجس نبضه ، وابلاغه ان الجيش اليوم لم يعد مستعدا للوقوف الى جوار الملك ضد اى اجراء شعبى تتخذه حكومة الوفد ، ويؤدى الى محاولة الملك البطش بها او اقالتها ..

وتحدد موعد المقابلة بعد بعض تأجيلات من جانب رشاد مهنا .

ولكن الموعد المحدد بصفة نهائية اقبل .. واذا برشاد يعتذر عن مقابلة سراج الدين ، بدعوى انه قد جد مايشغله فى قريته ، وانه مسافر اليها فى اليوم نفسه ..

وللتسجيل والتاريخ ، اذكر هنا أن هذا الموقف من رشاد مهنا ، قد اثر كثيرا فى نفسية جمال ، فقد كان أول تخاذل يراه من رجل يحاول ان يعتمد عليه فى شىء ..

واندفاع ..

وبلغ هذا النبأ الى البكباشي احمد أنور ، مدير البوليس الحربى الان فمضى بنفسه الى البكباشى جمال عبد الناصر ، وأبدى استعداده للقيام بهذا الاتصال ، وقال انه غير معروف بنشاط معين ، وانه مستعد للتضحية حتى ان كانت هناك تضحية ، وان اكتشاف صلته بالوفد لن يؤدى — على كل حال — الى أى عواقب تصيب تشكيل الضباط الاحرار .

وكلفه جمال بهذه المهمة ، وان كان قد ابدى له شكه فى أن يستجيب سراج الدين ، واحساسه بأن سراج الدين سيحاول استدراجه دون أن يبوح له بشىء .. ثم أوصاه اذا أراد سراج الدين ان يصل معه الى أى قرار ، بأن يفهمه ان له اخوانا وقيادة لابد أن يرجع اليها قبل التصريح بأى شىء ..

وتمت المقابـلة

وسأترك الان البكباشي أحمد انور يروى تفاصيل هذه المقابلة ..

قال أحمد انور ...

طلبت مقابلة سراج الدين ، واتفقنا على موعد المقابلة ... الساعة الخامسة والنصف ، فى بيته بجاردن سيتى ..

وارسل الى فؤاد سراج الدين الاستاذ فاروق القاضي المحرر بالجمهورية ، وكان اذ ذاك يشغل منصب السكرتير البرلمانى لفؤاد سراج الدين ، بصفته وزيرا للمالية ، أرسله الي ليقابلنى فى ميدان الاسماعيلية ، ويأخذنى الى داره .. وكان معى شقيقه جمال القاضي أركان حرب البوليس الحربى الحالى الذى جاء يصحبنى ليعرفنى بشقيقه ..

والتقيت بفاروق القاضي ، ثم ذهبنا ، واذا بفاروق يقودنا الى الباب الخلفى للدار حسب التعليمات التى كان قد تلقاها من فؤاد سراج الدين .

وجلسنا فى أحد الصالونات الكبيرة .. ثم أقبل علينا فؤاد « باشا » وأمر الخدم باغلاق الابواب وعدم السماح لاى أحد بالدخول ..

وجلس ...

كنا أربعة ...

فؤاد سراج الدين وجمال القاضي ، وفاروق القاضي .. وأنا ..

وانتظرت فى تحرز شديد وتحرج ، أن ينسحب فاروق ، ويدعنا وحدنا فى هذه المقابلة البالغة الخطورة والاهمية .. ولكن فؤاد « باشا » لمح منى هذا التحرج والتحرز .. فابتسم لى مشجعا .. وقال لى : تكلم .. فليس فاروق غريبا ..

وبدأت أتكلم ...

باطنـا والريح

قلت له :

ـ لقد جاوز الملك كل حد ، وخصوصا بتعيينه حافظ عفيفى رئيسا لديوانه .. فلماذا لاتتخذون موقفا حازما تجاه هذا التحدى الصريح من الملك ...

وابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال فى بساطة خبيثة ..

ـ احنا طبعا .. خايفين ..

ـ من ايه ؟

من الجيش .. هى دى عايزه تفسير ؟

ثم استطرد :

ـ احنا ناس « باطنا والريح » .. واحنا صحيح كنا بنحايله لغاية

مانقدر نلغى المعاهدة . انما دلوقت اذا انزنقنا . فمفيش مفر .. حانخرج .. ونقول للشعب كل حاجة .

وثار جمال القاضى ، وهو فى طبعه عصبى شديد الانفعال .. وقال :

ـ ولماذا لم تفعلوا ذلك وقد عين الملك عبد الفتاح عمرو ((باشا)) مستشارا له ، رغم سحبكم اياه من سفارة لندن ! ..

وكان سؤالا محرجا .. ولكنه كان ايضا سؤالا فى الصميم .. ومع ذلك .. فقد ابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال ايضا فى بساطة :

ـ احنا رفضنا هذا التعيين رفضا حاسما .. ولكن الملك اصر ، وعينه بنفسه . . ثم وجدنا أن هذه المسالة مسالة صغيرة ، لاتستحق أن نعطيها من الاهتمام ماينسينا قضيتنا الكبرى . .

الشعب لا يفهم فى الدستور

وسألته :

ـ اليست فى اعتباركم اعتداء على الدستور .

وضحك سراج الدين وهو يقول :

ـ الدستور . . هى البلد دى بتفهم فى المسائل الدستورية . .

والقى برأسه الى الوراء كمن يتذكر أياما ماضية ثم قال :

ـ عندما وقعت الازمة بين الملك وبين النحاس فى الوزارة الماضية بشان حق اعطاء الالقاب . . كانت هذه أزمة دستورية لاشك فيها ، فقد كان رأينا أن الملك لايمنح القابا الا بناء على طلب حكومته .. ومع ذلك ، مع كونها أزمة دستورية .. فقد استطاع الملك ان ((يسرح)) شيوخ الازهر فى البلاد ، وان يوعز اليهم بان يخطبوا فى المساجد ضد النحاس ، ويوقعوا فى روع الشعب أن النحاس يريد أن يصبح ملكا يمنح الرتب والنياشين. وللاسف .. فهم الشعب هذا .. واضطررنا الى التراجع ، لان الشعب لايفهم كثيرا فى المسائل الدستورية ..

والتفت فؤاد سراج الدين الى فجاة . . ثم سألنى مغيرا مجرى الحديث :

ـ فيه ضباط كتير معاكم ؟ .

قلت :

ـ نعم . . من جميع الاسلحة . .

فعاد يسألنى محاولا ان يخفى ما أدركته انا من سؤاله ، وهو انه كان على علم بصورة ما بحركة الاحرار . .

ـ اظن كان فيه سلاح . . تعبان !!

واجبته على الفور :

ـ لا . .غير صحيح .. فجميع الاسلحة الآن مستعدة لاتخاذ اى موقف نراه .. ونحن جئنا هنا لكى نتفاهم معك على امكان الاستناد الى الجيش . . فهذا الجيش هو جيش الشعب وان يكون باى حال جيشا للملك . . وعليكم أن تتخذوا اى موقف قوى . .. وعلينا نحن ان نقف الى جواركم . .

ورايت من فؤاد سراج الدين انطواء شديدا ، ونظرات لمحت فيها بعض الشك والارتياب ..

ولم يكن أمامى الا أن أندفع فى حماس مبينا اخطاء الملك ، وجرائمه ؛ حتى يطمئن الينا .. ويتكلم ..

وفعلا شعرت أن نظراته قد تغيرت . . وبدأ يتكلم بصراحة اكثر كثيرا ...

كان يحاول ان يعرف منى تفاصيل كاملة عن عدد الضباط ومدى استعدادهم ، وحقيقة الثورة الكامنة فى داخل الجيش ..

ثم ترك موضوع الضباط ، وراح يتكلم فى السياسة المصرية والاحزاب ، والوطنية والسياسيين ..

وفجاة .. اعتدل فى جلسته ، وسالنى سؤالا .. لم اكن قد اعددت نفسى للاجابة عليه بحال من الاحوال ..

كان سؤالا ماكرا فى صيغته ... وفى طريقة المفاجاة التى وجهه بها الى ، فؤاد سراج الدين .

أوشكنا أن نقوم بالحركة في مارس ١٩٥٢

- فاروق يحاول مغادرة البلاد بعد حريق القاهرة
- سراج الدين يستدرجنا ليصبح وزيراً للحربية
- حسيب و طه حسين ...
- ١٢ شيكاً ...
- اللعب على الحبلين ..
- سنعمل وحدنا ...

ان المقـــابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين ((باشا)) وبين البـكباشى احمد انور فى اواخـر ديسمبر من عام ١٩٥١ ، والتى تركنا لاحمد أنور تسجيلها فى صفحتنا الاخيرة من هذه الصفحات ، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيـــل ظهور حركة الجيش ...

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شعور منـــا باهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قـررنا نهائيا أن ينفـرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أى هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه .. ولكن هذه الاهميـــة جاءت من شعورنا بوجوب اكتشاف كل شبر من الارض التى نمشى عليهـا ، قبل ان نقـدم على خطوتنا .

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الامل فى امكان قبول الوفد لما نعرضه عليه .. ولكن هـــذا لم يمنعه من السعى الى الوفد هذا السعى الحميد .. ولو أن الوفد قبـــل ان يكون الشرارة التى تطلق الثورة ، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث .. ولكنه لم يقبل .. وساترك للبكباشى احمد انور اتمام حديثـــه الذى نشرنا بدايته فى الفصل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضى فى الطريق الوحيـد الذى كان يجب ان يمضى فيـــه . . وكيف اثر هذا التخـاذل فى الاحداث المتلاحقـة التى شاهدتها مصر فى مطلع عام ١٩٥٢ .. والتى انتهت بظهور الثـــورة ، وانتهاء عهد الفساد ...

قال البكباشي احمد أنور ..

كنت قد مهدت الجو تماماً لكي يشعر فؤاد سراج الدين بملء الثقة في شخصي فيتكلم ويفصح ، ولا يخشى ان تكون هناك دسيسة أو مكيدة قد دبرت له

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرني باني أصبحت فعلا موضع ثقته .. وأخذ يتكلم بصراحة وحرية في موضوعات سياسية ووطنية محاولا ايهامي بأنه يذكر لي أسرارا خطيرة لا ينبغي ان تذكر الا لمن يكونون في الموضع الاول من ثقة الرجل فيه ..

وفجأة سألني السؤال الذي لم أكن قد توقعتان يوجه الي ولا اعددت نفسي للاجابة عليه

قال لي فؤاد سراج الدين في بساطة :

ـ مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش ؟

قال : قيادة الجيش .. ولم يقل قيادة الحركة .. وقالها في بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس

ولم افهم انا مغزى سؤاله الا بعد انصرافي من منزله .. عندما جلست استعيد مادار في الجلسة حرفا حرفا لكي أقدم به تقريري الى البكباشي جمال عبد الناصر .. فقد ادركت عندئذ من وضع اسئلته المتناثرة سؤالا الى جوار الآخر انه لم يكن يسألني مجرد سؤال بريء عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش وانما كان يقصد تماما الى معرفة رئيس حركة الضباط الاحرار .

ادركت هذا بعد خروجي من منزل سراج الدين .. وحمدت الله عند ذلك كثيرا .. فعلى الرغم من مفاجأته لي بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذي كان قد سيطر على الجلسة ، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التي القى بها سؤاله فقد سيطر علي ، دون أن أدري لذلك سببا ، الحذر الطبيعي الذي كنا قد تعلمناه في الفترة السابقة من الاعداد للحركة وكنت بالطبع في مازق ..

فلا بد لي ان اجيب .. والا فقدت ثقة الرجل التي اجهدت نفسي في اكتسابها .. ولم يكن ممكنا ان اجيب لان شخص القائد كان لا بد ان يظل سرا حبيسا لا يعلم به احد

ووجدت نفسي أختار اسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا رجل لا صلة له مطلقا بالضباط الاحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه في الوقت نفسه شخصية

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله :

ـ اعتقد أن اللواء سيف الدين هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش والنواء سيف هو سفير مصر اليوم فى عمان ..

وهز سراج الدين رأسه وقال لى :

ـ اختيـــار موفق

ولم افهم مغزى هذه الكلمة أيضا ، فقـد كنت لا أزال ماخوذا بالمازق الذى وجدت فيه ..

ويبدو ان سراج الدين قد سره أن عرف منى اسم « قائد حركة الضباط الاحرار » وأراد أن يصل عن طريقى الى معلومات أخرى أعم واشمل .. ولكنه كان فى كل كلمة حريصا وكأن لايسأل سؤاله الا بعـد أن يمهد له كثيرا ..

هذا كله ادركته بعد انصرافى من منزله اما أثناء وجودى فقـد كنت احاول فقط ان اجيب على اسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليـه ..

حيـدر وطه حسين !

وبدأ سراج الدين تمهيده الطويل الثانى بالحديث عن الفريق حيدر باشا

وكان طرق هذا الموضوع امرا طبيعيا ما دمت قد حددت له اسم القائد الجـــديد . .

فاخذ يتحدث عن انتخابات النادى الاولى ، ثم قال :

ـ انتم خذلتمونا فى مسألة حيدر ..

وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على اثر التحقيقات التى اجريت فى قضية الاسلحة الفاسدة ، ولكن الملك اعاده بعد ذلك رغم ارادة الحكومة .

وقال سراج الدين :

ـ لقد قلنا للملك ان اعادة حيـدر ستؤدى الى كارثة وان الضبـاط جميعا سيثورون .. ولكنه عندما اعاده . ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط ، صفق له الضباط طويلا فى حضور وزير الحربية الوفدى، مصطفى نصرت ـ مما اوجد الوزير فى حرج شديد ، وشلنا فى موقفنـا من الملك شللا كاملا .

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصفيق الضباط لحيدر هو اكبر لطمة وجهت الى حكومة الوفد واضعفت موقفها .

واردت ان اطمئن سراج الدين ، بافهمامه أن ما حدث لا يعبر مطلقا عن راى الجيش .. وان هذه المظاهرة قد افتعلها عدد معين من الضباط .. ثم قلت له ..

– اننا لو اتينا بطه حسين وعيناه قائدا عاما لكان احسن كثيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا .

ورايت فؤاد سراج الدين يبتسم . فاستطردت قائلا :

– لانه – على الاقل – يفهم فى السياسة ..

وضحك سراج الدين ثم قال :

– على كل حال انتم صفقتم لحيدر ... واحرجتمونا

وفى الحال ، قال لى :

– هل سمعتم عن اتجاه النية الى التخلص من بعض الضباط ؟

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمة قد اعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن اسماء سبعة ضباط من تشكيلنا .

١٢ شيشكلى

وقلت له : **لقد سمعنا ان الملك قال لحيدر بغضب « ازاى تسيب ١٢ شيشكلى قاعدين فى الجيش ؟ ! »**

وطرب سراج الدين لهذه الاجابة .. ثم سالنى :

– زى مين ؟

ولما وجدنى تلكات فى الاجابة ... استطرد هو قائلا :

– انك تستطيع اذا عرفت الاسماء وكانت تهمكم ان تبلغنى شخصيا بما تعرف .. فقد استطيع ان اكون مفيدا !

وكنا نحن نعلم ان هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش .. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف مالدى من معلومات لكى يشعر الملك بانه على علم بكل شىء ثم يستغل هذا فى الوصول الى هدفه الذى سعى اليه كثيرا .. وهو ان يكون وزير الحربية .. فقد كان همه فى تلك الايام ان يقنع الملك بانه اذا اصبح وزيرا للحربية لاستطاع ان يسيطر على الجيش تمام السيطرة ..

من أنتم ؟ !

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعداده لكى يكون مفيدا لنا اذا عرف منى أسماء من يهمنا امرهم ..

ولكنى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور :

ـ أرجو الا تهتم معاليك كثيرا بالاسماء .. ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش .. وانك انت الذى تستطيع ان تعتمد علينا وان تجدنا فى اى وقت اذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد ازركم تجاه الملك ، فى اية خطوة دستورية او وطنية تريدون اتخاذها

وطرق سراج الدين .. ثم قال :

ـ يعنى ؟ !

فأجبته :

ـ يعنى اننا نريد منكم بصراحة ان تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك

فقال :

ـ واذا أقالنا الملك ؟ !

قلت له :

ـ تتمسكون بمراكزكم وتتركون الباقى لنا .. فالجيش كله على استعدادا للوقوف الى جانبكم فى هذه الحالة وقوفا قويا فعالا مؤازرا...

وابتسم سراج الدين وهو مطرق .. ثم قال :

ـ ربنا يسهل .. وان كان رأيى الصريح هو ان الجيش يجب ان يلزم شئونه الخاصة

وانتهت المقابلة بذلك .. وتوجهت الى البكباشى جمال عبد الناصر ، فرويت له كل تفاصيلها ..

اللعب على الحبلين

ولنعد الى حديث الحركة .. فقد درسنا موقف الوفد بعد ذلك على ضوء هذه الاجابة الواضحة من سراج الدين .. وعلمنا بوسائلنا الخاصة ان سراج الدين قد أخفى نبأ هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفد فى ذلك الوقت .. وأنه اراد ان يبقى امرها سرا بينه وبيننا .. وبين مصطفى النحاس ..

والواقع ان هذا الموقف من الوفد قد اثر تأثيرا كبيرا فى الأيام التى تلت ذلك . .

فقد كانت حوادث القنال تتفاقم يوما بعد يوم . . وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو اعزل من كل سلاح الا وطنيته وايمانه ، وكان رجال البوليس يتحملون العبء الأكبر من اعباء الجهاد ضد جيش كبير كامل التسلح .. وكان الموقف يفلت من يد حكومة الوفد يوما بعديوم .. لمحاولتها السير فى اتجاهين واللعب على حبلين فى وقت واحد ..

فقد كانت تساير الملك ، وتعبىء الشعب .. والملك خائف من الشعب متآمر عليه ، والشعب حانق على الملك ثائر عليه .. والحكومة تريد ان تسير فى هذين الاتجاهين المتناقضين

ولم يكن لنا بد من الانتظار ، لان هذه الحكومة لاتريد ان تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التدخل واقرار الامور ، وايقاف الملك عند حده ، او الاطاحة به ، والسير بالكفاح فى طريقه القويم .

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى .. حريق القاهرة ..

حدث هذا الحريق الذى اكل اقتصاديات البلاد ، واطاح بسمعتها ومكن للقوى الرجعية من الانتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحدة . . دون انتظار ولا توقع من احد ..

وكيف كان لنا ان نتوقع حادثا كهذا ..

لقد فوجئنا به ... واعترانا الوجوم أياما ... ثم بدات جميع حواسنا المعنوية والمادية تعمل معا ، بصورة لم يسبق لها مثيل فى تشكيلنا . . .

كنا نريد ان يتبين الطريق ، وان نعرف كيف نضرب ضربتنا ، بعد وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولى لمصر ، ومن خراب اقتصادى ، وذهول شعبى ، وانتكاس كامل ، وسيطرت الرجعية بصورة لامثيل لها على كل مرافق البلاد ...

وبدانا نلاحظ ونراقب ...

فاروق ينتابه الذعر

وكان أول ما استقرت عنده افكارنا فترة معينة هو ذلك الذعر الذى انتاب فاروق ، عقب الحادث مباشرة .. والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح الى غير ماينساق به فى المساء .

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا .. وفكر فى الهرب من البلاد ، واعد نفسه للسفر فعلا .. ووجدنا نحن انفسنا فى موقف من يجب ان يعد نفسه للعمل فى اية لحظة ، ومهما كانت الظروف والعقبات .

سنعمل وحدنا

واجتمعنا ، وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شهر مارس ١٩٥٢ ، اى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع .. ووضعنا خطتنا كاملة .. وكنا قد راعينا فيها الاساس الاول الذى اتفقنا عليه من بدء التدابير الاولى للحركة ، وهو ان ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا ، دون الاعتماد على اية هيئة او جماعة او حزب فقد كانت اتصالات جمال عبد الناصر المتعددة مع جميع الهيئات ، قد اثبتت لنا بصورة قاطعة أنه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدى الى جانبنا ..

واتخذنا هذا الموقف لاكثر من اسبوع .. موقف التاهب الكامل للقيام بالحركة فى اى وقت ..



على ماهر



نجيب الهلالى

ولكن الاسبوع الذى مر بعد ذلك جدد احداثا جديدة فى حياة البلاد فقد اقيلت وزارة على ماهر .. او استقالت مرغمة .. وجاء شهر مارس بوزارة الهلالى ، وباسلوب جديد .. وهدأت مخاوف فاروق ، وقرر البقاء فى البلاد .. ووجدنا ان فرصتنا تكون اكبر اذا انتظرنا قليلا حتى تنكشف الامور ، ويفيق الشعب من الذهول الذى اوجدته الاحداث فيه

وهكذا قررنا تاجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس .. وكان هذا هو التاجيل الاخير ..

صفعات للقصر في معركة نادي الضباط

- صديق والمراغي يتدخلان باسم القصر.
- ثورة الضباط.
- يشاد مهنا يتهرب من الاصرار.
- مصرع ضابط.
- المراغي بعد صديق.
- قرارات وانتصارات.

مثلما كان حادث ٢٦ يناير مفاجأة كبيرة لنا ،فقد كان ايضا حافزا على ضرورة تحديد موعد الحركة بصورة نهائية ، لان وقوع هذا الحادث كان ايذانا ببدء عهد من النكبات والكوارث، والارهاب الملكى فى البلاد . وكان لابد بالطبع أن يوضع حد لهذا الجو الذى وجدت مصر فيه ، وكنا قد رتبنا انفسنا على ان نضع هذا الحد ، مهما كانت عواقب المخاطرة .

ومع ذلك ، فلم نكن عند وقوع حادث ٢٦ يناير ، نجهل حقيقة قوتنا .. فقد كنا كما أسلفت قد اختبرنا قوتنا جيدا عن طريق عملية الحصر الكاملة التى قام بها جمال وعبد الحكيم كما اننا كنا قد درسنا ((تقدير الموقف)) الذى قام به عبد الحكيم دراسة اقنعتنا اننا قادرون على العمل ...

ولكن هذا لم يكن كل مابين ايدينا . فقد كنا قد خضنا تجربة ونجحنا فى اجزائها الاولى نجاحا اقنعنا تماما باننا نستطيع أن نقود الجيش قيادة كاملة يوم نحدد القيام بالحركة ... كما أن انتصارنا فى هذه التجربة ، كان فى حد ذاته انتصارا للفكرة الشعبية بين الضباط ، فكان انتصارا من النوع الذى يشحذ الهمة ويغرى بمواصلة العمل ..

كان كل ضابط يشعر انه قد عمل عملا ونجح فيه وفرض رايه فرضا كاملا . وكان هذا وحده كفيلا باذكاء النخوة ، واشعال الحماس .

ولم تكن التجربة التى خضناها معركة بسيطة ..بل كانت اضخم معركة واضحة مكشوفة بيننا وبين القصر .. كانت المعركة المعروفة بمعركة نادى الضباط .

ففى ديسمبر من كل عام ، كان الضباط يجتمعون فى جمعية عمومية بناديهم ، لانتخاب رئيس النادى وأعضاء مجلس ادارته .

وكانت جماعتنا فى ذلك الوقت قد فرغت تماما من اختيار القائد الذى يقود الثورة أمام الشعب ، يوم تقوم المعركة .. وكان هذا القائد ، كما قلت فى صفحة سابقة ، هو اللواء أركان الحرب محمد نجيب ..

وعلى الرغم من أننا احتفظنا بهذا الاختيار سرا بيننا ، فلم يعلن حتى للرجل نفسه .. فقد كان لا بد مع اقتراب الزمن والموعد المبدئى الذى حددناه للحركة من أن نخطر اللواء نجيب بهذا الاختيار ، وان نسمع منه الموافقة على مشاركتنا هذا العمل الجرىء .. كما كان لا بد لنا ايضا ان نركز عليه الاضواء فى مناسبات مختلفة .. لكى تأتى قيادته لحركة الضباط أمرا عاديا طبيعيا منطقيا فى أعين الجميع ...

ورأى جمال أن معركة انتخابات نادى الضباط هى اول فرصة يمكن ان تلقى بها أضواء كبيرة على شخص القائد .. وقررنا تبعا لذلك اخطاره بكل ما انتوينا القيام به ، واشراكه فى عمليتنا الاولى اشراكا كاملا ..

واخطرنا اللواء ((نجيب)) بما اعتزمناه ... ثم أبلغناه اننا سنرتب الامر على ترشيحه رئيسا لنادى الضباط وعلى ترشيح قائمة معينة من رجالنا لعضوية مجلس ادارة النادى ...

لطمة للقصر

وكان هذا العمل يحوى فى طياته امرين :

الامر الاول اننا أردنا ان نوجه لطمة واضحة قاسية للقصر .. اذ كان القصر مصرا على أن يكون رئيس النادى هو اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود .... ولما كان حسين سرى عامر ، هو الرجل الذى حل محل اللواء نجيب عندما رؤى اقصاؤه عن سلاح الحدود الى سلاح المشاة ، فقد كان ترشيحنا لنجيب ، هو فى حد ذاته وبغض النظر عن كل نتائجه يعتبر تحديا صريحا لارادة الملك ..

واختبار لقوتنا

أما الامر الثانى ، فهو أننا أردنا أن نقود معركة انتخابات النادى قيادة كاملة ، لنعرف بالضبط مدى الحماس الذى تقـابل به حركتنا ، ومدى قوتنا بين الضباط . لا على أساس الحصر النظرى .. ولكن على أساس التجربة العملية الواضحة ..

فالمعركة ستقوم بيننا وبين الملك .. ونحن نعرف ضباطنا .. ولكننا أيضا يجب أن نطمئن الى مدى تحمسهم واندفاعهم فى تأييدنا عندما يصبح هـذا التأييد خطرا صريحا يتهدد الضباط . . وعنـدما تكون المعركة مكشوفة بين كل ضابط .. وبين القصر ..

فالمعركة اذن ـ معركة النادى ـ ليست معركة مقصودة لذاتها ، ولكنها معركة لها أهداف خفية أولها هدف ظاهر وهدف خفى .. فأما الظـاهر فهو زلزلة الهيبة الملكية فى البلاد بأن يخوض الضباط معركة سافرة ضد الملك .. وأما الهدف الخفى أو الاهداف الخفية ، فأهمها معرفة حقيقـة قوتنا وتسليط اقوى مجموعة من الاضواء على شخص اللواء نجيب . . الرجل الذى تقرر أن يقود حركة الاحرار ...

القصر يتدخـل

ويبدو أن ادارة الجيش ومخابرات القصر قد شمت اذ ذاك رائحـة معينة ، تفيـد أن الضباط يتكتلون لاسـقاط مرشح القصر فى انتخـابات النادى ..

وكان لا بد بالطبع أن يشيع هذا الامر .. فانتخابات النادى مسـألة علنية تستعمل فيها الدعايات ، ويخوض حديثها الضباط .... ولا يمكن قصر عمليتها على الضباط الاحرار المنظمين فى التشكيل دون غيرهم . . ولكننا لم نكن نتوقع ان تكون استجابة القصر لما أشيع سريعة وحاسـمة بالصورة التى ظهرت بها ..

فقد فوجئنا فى يوم من أيام شـهر ديسمبر .. بقرار أصدرته رياسة الجيش بالغاء انتخابات النادى وتأجيل موعدها الى أجل غير مسمى ...

بدء المقاومة

وكان هذا القرار هو بدء التجربة ...

كان رشاد مهنا اذ ذاك عضوا فى مجلس ادارة النادى القديم . وكان جمال عبد الناصر رغم ما يعرفه عن رشاد مهنا قبل ذلك ، شديد الامل فى أن يستطيع ادماج رشاد مهنا فى معركة النادى بصورة واضحة ...

فالتقى جمال برشاد .. ووجد منه تحمسا لمقاومة هذا القرار ، الذى يعتبر لطمة موجهة الى الضباط جميعا ..

وكان لا بد اذن من مقاومة .. ومن اجراء خطير ...

وجمعنا جمال .. وقال ان الضباط الاحرار لا يستطيعون صبرا بعد هذا .. وان اى تلكؤ فى اتخاذ عمل ايجابى سريع ضد رغبات القصر قد يؤدى الى انتكاس حماسة الاحرار ... ولا بد لذلك من عقد الجمعية العمومية للضباط فى موعدها .. لا بد من ان يتم ذلك رغم أنف ادارة الجيش .. ولتكن فرصة نعرف فيها على وجه التحقيق .. مدى ما لنا من قوة ومن تأثير ...

وكان البعض فى ذلك الوقت بعيدا عن القاهرة .. فقد كان عبد الحكيم مثلا فى العريش ...

واذا بالمجموعة كلها تتلقى أوامر جمال عبد الناصر ، باعداد مناطقها فورا .. والحضور الى القاهرة .. فى اجازات ..

وتم ذلك .. واكتملت المجموعة الرئيسية للاحرار .. أو ماعرف بعد ذلك بمجلس القيادة .. فى القاهرة .. وبدأنا نعمل .. بقيادة جمال عبد الناصر ...

وفى الموعد المحدد لاجتماع الجمعية العمومية ، تم الاجتماع . وقرر الضباط وجوب تحديد موعد سريع لاجراء الانتخابات .. ثم انفضوا للاستعداد للمعركة ...

كانت هذه أولى انتصاراتنا .. فقد كسبنا جولة كبيرة بعقد هذا الاجتماع فى موعده رغم انف رياسة الجيش .. هى جولة معركة الثقة ..

وبانتصارنا فى هذه الجولة شعر القصر بأنه أمام قوة ليس من السهل عليه أن يتلاعب بها وقرر رجاله أن خسارتهم للجولة الاولى يمكن أن تنقلب انتصارا فى الجولة الثانية .. والجولة الثانية هى اجراء الانتخابات فعلا .. ونتيجة هذه الانتخابات تحدد المنتصر وتحدد المهزوم .

ويبدو أن القصر كان على يقين من انتصاره .. وانه فى الوقت نفسه لم يكن قد أعد نفسه لتحدى شعور الضباط جميعا بالوقوف فى سبيل اجراء الانتخابات .. وعلى أى حال ، فقد حددت رياسة الجيش موعد الانتخابات بعد شهرين .. وبدأت بذلك المعركة الانتخابية ...

مصرع ضابط

وفى خلال هذين الشهرين ، وقع حادث ٢٦ ينـاير المشئوم ، وحادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه المعروف ..

وان كان حادث حريق القاهرة قد جاء مفاجأة مذهلة لنـا بحيث لم نستطع أن نصنع حياله شيئا .. فقد استطعنا ايذاء الملك ايذاء بالغا فى حادث اغتيال المرحوم عبد القادر طه ..

فلم يكد هذا الضابط يغتال ، حتى أصدرت الرقابة أمرها بعـدم نشر نبأ مصرعه فى الصحف .. ومعنى هذا الا تشعر البلد بجريمة كهذه تقع جهارا نهارا .. وبأيدى رجال السراى ...

ولكن جمال لم يعبأ بمنع النشر ، وانما أصدر امره الى ضباط جميـع الاسلحة بنعيه نعيا رسميا باسم أسلحتهم .. وصدر النعى

وانتصـاراتنا

واجتمع الضباط فى الموعد المحدد لاجراء الانتخابات ..

فكان أول ما صنعوه ، هو اقتراح وقف الاجتماع خمس دقائق حدادا على مصرع الشهيد عبد القادر طه ...

وكان هذا هو أول مظهر للتحدى فى داخل الاجتماع ..

وجاءت الخطوة الثانية .. خطوة رفض تمثيل سلاح الحدود .. واذا بالامر لا يكاد يعرض حتى يرفض .. وبالاجماع !

ثم جاءت الخطوة الثالثة .. وكانت نتائجها قد بدأت تكون مؤكدة بعد نجاحنا فى الخطوتين الاوليين ..



وروعت البلاد بحريق ٢٦ ينساير

الانتخابات .. ونتيجة الانتخابات ..

اجماع أو شبه اجماع على انتخابات محمد نجيب رئيسا للنادى .. واغلبية ساحقة لمن شملتهم القائمة التى رشحناها ..

ثم ما يوصف بانه « ضربة معلم » اذ اننا رشحنا فى هذا الاجتماع الفريق حيدر باشا .. رئيس شرف للنادى فوافق الضباط بالاجماع ..

وكان لهذا الترشيح مغزاه وكان له مفعوله أيضا .. فقد حطمنا به جبهة القصر تحطيما كاملا .. اذ أن اللواء حسين سرى عامر ظن أن اقصاء سلاح الحدود قد تم بالاتفاق مع الفريق محمد حيدر .. أو بالتآمر معه كما قال ، فذهب من فوره الى الملك يشكو له من حيدر ويتهمه بأنه تآمر مع الضباط ضده وضد سلاح الحدود ..

وفى الواقع أن اتخاذ القرار الاجماعى بعدم تمثيل سلاح الحدود قد ازعج القصر وأزعج حسين سرى عامر بصورة لا مثيل لها ، فقد اعتبر حسين سرى عامر هذا الموقف صفعة علنية وجهت اليه من ضباط الجيش

محاولات

وظننا نحن ان المعركة يمكن أن تنتهى هكذا .. وأن هذه الهزائم المتتالية للقصر ورجاله كفيلة بأن ترد لهم عقولهم ، وأن تحول بينهم وبين ارتكاب حماقات أخرى تضيف الى هزائمهم هزائم جديدة ..

ولكن ما قدرناه لم يكن هو الصواب ..

فقد ركب القصر رأسه ، واخذته العزة بالاثم ، وأصدر أمره صريحا قاطعا الى الفريق محمد حيدر بأن يتخذ أى اجراء يلزم لكى يظفر سلاح الحدود بمقعد فى مجلس ادارة النادى .. وأن عليه فى حالة فشله فى ذلك ، أن يقوم بحل مجلس الادارة المنتخب فورا ..

صدرت هذه الاوامر لحيدر ، فأرسل فى طلب القائمقام رشاد مهنا . ثم ارسل فى طلب اللواء محمد نجيب رئيس النادى .. وفى صراحة ووضوح بسط لهما الموقف كاملا ، وطلب منهما ان يعملا أى شىء لقبول عضو فى المجلس يمثل سلاح الحدود .. واقترح رشاد مهنا حلا للاشكال قبول عضو مستمع فى المجلس ورفض محمد نجيب هذا الطلب ، وقال أن هذا الامر من حق الجمعية العمومية وحدها ، وانه لا يستطيع البت فيه ..

وعاود الفريق محمد حيدر محاولته مع اللواء نجيب ، وافهمه أن قرار حل مجلس الادارة معد فعلا .. وأن عليه أن يرى حلا للمسألة ، وأن هذا الحل الذى اقترحه رشاد مهنا يمكن أن يضع حدا لهذه الازمة ..

وقبل نجيب قبول عضو مستمع ، مشترطا لذلك شرطين ..

* **موافقة مجلس ادارة النادى على ذلك ..**
* **ان يكون هذا العضو مؤقتا الى ان تجتمع الجمعية العمومية للنادى ، وتقر الامر أو تلغيه ..**

ثورة الضباط

وكان انعقاد الجمعية العمومية للنادى ، فى هذه المرة صفعة ثانية اليمة للقصر ولرجل القصر حسين سرى عامر .

ففى هذا الاجتماع خرج الضباط عن كل حد ... هاجموا القصر هجوما علنيا عنيفا ، وقالوا ان النادى هو نادى الضباط وحدهم ، وانهم لن يسمحوا لقوة كائنة ما كانت ان تتدخل فى شئونه على اى وجه من الوجوه ..

وفى فورة الحماس المتاجج والثورة العارمة .. اخذت الاصوات .. واذا بالجمعية العمومية تقرر بالاجماع رفض قبول حسين سرى عامر كممثل لسلاح الحدود بالجيش .. وخروجه فورا .. وتوجيه اللوم الشديد لمجلس الادارة على قبول عضو مستمع بدون اخذ راى الجمعية العمومية لاعضاء النادى ..

ولم يكن أحد يتصور ان يقف الضباط هذا الموقف العنيف الثائر ..

كنا نعلم انهم سيعارضون ، وانهم سيرفضون قبول ممثل سلاح الحدود ولكننا لم نكن نتصور هذه الثورة ، وهذا الكلام الجارح العلنى الموجه للقصر ، وهذا العنف والتشديد الذى يصل الى حد توجيه اللوم لمجلس ادارة النادى الذى اولوه ثقتهم الكاملة ....

رشاد يهرب

ويبدو ان رشاد مهنا بعد ذلك احس ان الموضوع قد دخل فى دور جديد ، هو دور التحدى العلنى بالفعل والقول معا .. وكان رشاد ـ فى الوقت نفسه ـ قليل الثقة فى نجاح الثورة .. لانه لم يكن يعلم حتى ذلك الوقت بما اتخذناه فعلا من الخطوات .. ويبدو ان هذه الزعزعة فى ثقته بامكان وقوع ثورة . قد دفعته الى النأى بنفسه عن مواضع الشبهات .. فقد فوجئنا ذات صباح بقرار صادر من مدير سلاح المدفعية بنقل القائمقام رشاد مهنا الى العريش ..

وكنا نعتقد ان رشاد لابد ان يبقى فى القاهرة ، وانه سيكلف بدور معين فى حركة الاحرار

وكان جمال فى ذلك الوقت قد بدا فعلا يضع خطته النهائية .. فلما علم بهذا القرار .. تملكه الضيق ، وصمم على الغاء هذا النقل .. واستدعى اليه صلاح سالم ، وكان فى رفح ، وطلب منه ان يذهب الى حيدر ويحاول معه باية وسيلة الغاء هذا النقل ، موهما اياه ان هذا النقل لابد ان

يؤول بين الضباط كأنه بدء حركات انتقامية من أعضاء مجلس إدارة النادى

وذهب صلاح ، وكلم حيدر فى الامر ... واتصل حيدر امام صلاح بمدير سلاح المدفعية يسأله : « لماذا نقلت رشاد الى العريش » وكيف لم تخطرنى بذلك !

واذا بالحقيقة المؤلمة تبدو سافرة فى لحظة واحدة .. فقد اجاب مدير سلاح المدفعية فورا بان رشاد مهنا شخصيا هو الذى طلب هذا النقل .. واستأذن مدير السلاح الفريق محمد حيدر فى القدوم اليه فورا واطلاعه على الطلب المقدم من رشاد مهنا بنقله ..

ولكن صلاح لم يكن يستطيع ان يصدق مايسمع ، فأصر على ان يرى ايضا .. وفى دقائق ، جاء مدير السلاح ، ومعه طلب مقدم من رشاد مهنا بنقله الى العريش !!

وكان هذا الموقف من رشاد مهنا سببا فى اتخاذ جمال عبد الناصر قرارا حاسما ، باستبعاد رشاد مهنا نهائيا من أى عمل ايجابى يقوم به الاحرار ..

المراغى بعد حيدر

على أن القصر لم يكن قد يئس بعد .. فلم يكد حيدر يفشل معنا بوسائل التهديد والاقناع ، حتى عاود القصر الاتصال بنجيب عن طريق مرتضى المراغى وزير الحربية فى ذلك الوقت ...

واستدعى المراغى نجيبا ، وطلب منه ان يحل هذا الاشكال .. والايخرج من عنده الا وقد وعده بان يقنع الضباط بمسألة قبول حسين سرى عامر بمجلس ادارة النادى ..

وكنا على علم بما كلف به المراغى ... وكنا قد أوصينا نجيبا بالا يتزحزح بحال من الاحوال ....

وقال نجيب للمراغى ... انى لا استطيع شيئا .. وان كنتم تريدون منى ان استقيل .. فلا مانع لدى !!

وكانت هذه هى آخر الجولات الخاصة بقبول حسين سرى عامر عضوا بمجلس ادارة النادى .. ولكنها لم تكن آخر المعارك ولا آخر القصص ...

فقد تلا هذا الموقف عددمن القصص المسليةالتى كانت تظهر لنا اتجاهات القصر ورجاله ومدى التخبط الذى أوقعوا فيه أنفسهم ...

واعل من الطف القصص التى وقعت فى ذلك الوقت قصة شاركتنا فيها المطربة المعروفة ... شهرزاد ...

ولا بد من شىء من الترويح عنك أيها القارىء على كل حال ...

كان سلاح المشاه قد دعا الى اقامة حفلة ترفيه لجنوده .. وكان نجيب كما هو معروف هو مدير سلاح المشاة فى تلك الفترة ..

ودعا نجيب الى الحفل كلا من الفريق محمد حيدر ، و « معالى » مرتضى المراغى « باشا »

واذ كانت المنافسات اذ ذاك قد بلغت اشدها بين المراغى وبين حيدر .. فقد غضب حيدر لدعوة المراغى وقرر الا يحضر الحفل ..

وكانت مطربة الحفل هى المطربة شهرزاد ..

وكان مقررا ان تذاع الحفلة ... وكانت محطة الاذاعة قد ارسلت الاتها فعلا الى مكانها

وفجاة صدرت الاوامر من حيدر الى محطة الاذاعة .. أو وقع التفاهم بين حيدر وبين كريم ثابت .. بعدم اذاعة الحفل ..

وبينما تتأهب شهرزاد للغناء على المسرح .. وجدت مذيع الاذاعـــة ومهندسيها يفكان الميكرفون .. ويرفعانه .. ويعودان به ..

وسألت شهرزاد : ما الخبر ؟ !

قيل لها : تقرر الا تذاع الحفلة

ولم تكن شهرزاد بالطبع تستطيع ان تفطن الى ان هناك حركةفىالجيش تغضب القصر ، وان هذا الاجراءمقصود به مسائل سياسية من اى نوع كان

وانما كانت تفهم فقط ان الاذاعة قد استكثرت عليها ان تغنى من مكان عام .. وفى حفلة من حفلات الجيش على الخصوص ..

بل لقد ذهبت بها الظنون الف مذهب ، وتصورت ان لبعض المطـربات دخلا فى منع اذاعتها ، وان لبعض موظفى الاذاعة دخلا ايضا فى هذا المنع ..

وبالطبع لم يكن هناك شيء من كل هذا . . . ولكن أيضا لم يكن هنـــاك من يستطيع اقناع شهرزاد بأن تغنى أبدا . . فقد صممت على عدم الغناء. لانها مطربة لها كرامتها ، ولها صوتها ، وليست أقل من احـــد . . واما ان تذيع الاذاعة حفلتها . . أو لن تغنى أبدا . .

اما نحن ، فكنا جد حريصين على نجاح الحفل ، رغم هـــذه الفعلة التى فعلها حيدر . .

وكان لابد من المصارحة . . مصارحة شهر زاد بكل شيء . . . وساراليها نجيب . . وقال لها أن ماحدث لاصلة له بك ولا بغيرك من المطربات . . انه نتيجة مؤامرة تدبر لنا . . وان الذين يدبرونها هم الكبار جدا . . . وانك اذ تغنين اليوم انما تغنين لاربعة آلاف ضابط وجندى ، كلهم يسعدهم أن تفشل هذه المؤامرة . . .

ويا للمصرية الشجاعة المعاندة . .

لم تكد شهر زاد تشعر أن هناك نوعا من التحدى للكبار جدا . . كماقال لها نجيب . . حتى اخذت الامر مأخذا جديدا . . فقررت ان تغنى لا كمـا كان مفروضا فحسب . . ولكن الى الصباح . . . .

الثورة ليلة التنفيذ

- كمال الدين حسين يخرج بلا سلاح..!
- لماذا عينا رشاد مهنا وزيرا ووصيا على العرش
- مثل للسياسيين.
- الخطأ الوحيد...
- يوم مجيد...
- ذكريات خالدة...

كانت اللحظة الحاسمة تقترب بسرعة عظيمة .. وكانت هذه السرعة فى حد ذاتها خطرا مباشرا على كل من له صلة بمسرح الاحداث ... فالحوادث عندما تسرع وتتلاحق ، يخشى ان ينفلت زمامها ، بحيث تتحكم هى فى الذين يصنعونها ..

والحوادث أيضا عندما تسرع وتتلاحق ، تكشف مكنونات النفوس وتجلو جواهرها ...

وهكذا كانت احداث شهر يوليو من عام ١٩٥٢ .. الاحداث التى سبقت يوم الثورة .. كانت سريعة متلاحقة ، وكانت تجرى فى اكثر من اتجاه ، وتجرف أمامها اكثر من تيار ، وتنتاب بدوارها كل الرؤوس ...

كان الملك فى حالة أقرب الى الجنون .. فمنذ جاءت نتائج انتخابات النادى تحديا صريحا له ، ومنذ وقف ضباط الجيش فى ناديهم ذلك الموقف المكشوف المعادى للملك ، ومنذ بدت فيهم روح الاستهتار الذى لا حدود له بالعرش ، وبالتالى بكل القوى التى كان العرش يستند اليها .. وخصوصا قوته البوليسية التى كان فاروق يمنحها كل ثقته .. منذ وقعت كل هذه الاحداث ، والملك لا يقر له قرار ...

ولم يكن تاثير هذه الحالة فى الملك يقتصر على تصرفاته الشخصية فحسب ، ولا على علاقته بالجيش وقيادة الجيش فحسب ، وانما انعكست هذه الحالة على الموقف السياسى والموقف الوزارى

فاصبح بقاء الوزير فى وزارته رهنا بما لديه من حلول لهذا الموقف ، أو من آمال فى العثور على الحلول .

ولم يكن فى مصر كلها من يستطيع حل ذلك الموقف . ولذلك لم يكن وزير يبقى فى منصبه ..

وفى هذه الدوامة الصاخبة ، كانت قيادتنا تعمل فى صمت وهدوء وصبر واتزان .. كانت تعد لليوم الذى عرفه العالم كله ، وسجله التاريخ .. يوم الثورة ..

يوم الثورة ...

والايام التى سبقت يوم الثورة ...

قد لا يكون مما يهم قراء هذه الصفحات أن أذكر لهم تفاصيل الخطـة التنفيذية للثورة ... فهى تفاصيل عسكرية ، كأى خطة عسكرية بسيطة توضع لاحتلال مدينة ، أو اقرار وضع .

ولكن ما قبل ذلك اليوم وما بعده يهم كثيرا ..

وملابسات التنفيذ فى تلك الليلة تهم أيضا كثيرا ..

لان ما مر بنا فى تلك الايام ، وما مر بنا فى تلك الليـلة بالذات ، هو التاريخ الحقيقى للناس وللشعب ؛ وللاوضاع التى سيطرت على البـلاد حقبة طويلة من الزمن ..

لكأن السنين جميعا كانت ترسب رواسبها مصفات الزمن ، لتتراكم هذه الرواسب كلها فى فترة قصيرة .. هى تلك التى سبقت يوم ٢٣ يوليو ..

وكأن صراع الشعب وآماله قد تجمعت أيضـا خلال الاعوام الطويلة الكئيبة ، لكى تقود خطى الجيش والشعب فى ذلك اليوم التاريخى المجيد .

وفى خلال كل ذلك تقع مفارقات ، وحوادث صغيرة ، وتصرفات شخصية ، قد نذكرها اليوم فنبسم ونضحك ، ونحمد الله .. ولكنها حين كانت تقع كانت تؤرق البال .. حتى تنتهى .!

مع القصر وجها لوجه

ولقد كان القصر فى تلك الايام لا يزال شاكا فى قدرتنا على القيام بحركة كاملة .. ولكنه كان يريد أن يبطش بنا ، استعادة لمكانته التى رأى انهـا اهتزت اهتزازا شديدا . وقطعا للطريق علينا ، لانه كان يعتقد اننا وان كنا اضعف من ان نقوم بحركة كاملة ، فنحن على كل حال نستطيع ان نكون التمهيد الاول للحركة الكاملة ..

كان هو يعتقد هذا .. وكنا نحن نغذى فيـه ذلك الاعتقاد بالاساليب الكثيرة التى اتخذناها ، لتضليله وتضليل رجاله فى القصر ، وفى الجيش ..

ولذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهـذا الفتك .. فى نفس الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الجاسـمة ، الفتك به ، بعرشه وحكم أسرته للبلاد ..

ماذا بعد الثورة ؟

كنا قد انتهينا من ذلك تماما .. وكنا لهذا قد بدأنا نفكر فيما بعد الثورة ايضا .. وكنا ايضا قد انتهينا الى قرار ..

ففيما يتعلق بالثورة نفسها ، وبتنفيذ خطتنا ، كان قرارنا هو ان ينفرد الجيش بكل شيء .. فقد قام جمال باتصالات كافية مع جميع الهيئات التى كان يمكن أن تكون عاملا مساعدا فى الثورة ، واذا بالنتيجة الوحيدة التى يخرج بها ، هى ان الجيش يجب ان يتحمل وحده جميع اعباء التنفيذ . لان جميع الهيئات والاحزاب التى اتصل بها ، قد أثبتت أنها غير جديرة بالثورة ، ولا مستعدة لعمل أى شيء ، بل لعل ما فيها من رجعية أصيلة كان وحده خليقا بدفعها الى خيانة الثورة ، لو أنها استطاعت الى ذلك سبيلا ..

ومع ذلك فقد بقى علينا أن نفكر فيما بعد الثورة .. فيما يخلف التنفيذ .. ماذا نصنع ؟

هل نحكم ؟

هل نسلم الامر للشعب يصرفه كيف يشاء ؟

ومن الذى يتحمل مسئولية الحكم عندما نترك الامر للشعب ، وريثما يختار الشعب ممثليه ؟

سؤال يقضى على السؤال الاول قضاء مبرما ؟

فهل نسلم الامر للسياسيين .. ؟

واى السياسيين جدير بقيادة البلاد بعد الثورة ؟

وعلى أى أساس يحكمون ؟!

وجعلنا نقلب الامور .. نضع كل فرض ثم ندور حوله ، نتلمس أوجه القوة فيه واوجه الضعف ..

وينهار الفرض الاول ، فنبحث عن الفرض الثانى ..

وهكذا دراسة طويلة خرجنا منها بنتيجة واحدة هى :

ان الجيش لا يحكم ، وانما يقوم بالثورة ، ثم يسلم البلاد للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير ..

اما كيف .. واى أنواع المدنيين .. فلم نستطع ان نقرر شيئا محددا معينا .. وانما اكتفينا بأن نقرر مبدئيا ، اعادة البرلمان المحلول ، وكان هو نفس برلمان سنة ١٩٥٠ ، الذى جاء بأغلبية وفدية ، وترك الحكم لحزب الاغلبية يصرفه ريثما تجرى أول انتخابات نظيفة فى مصر ..

مثل للسياسيين

هذا هو القرار الذى استرحنا اليه ، وشعرنا حياله بالعزة الكاملة ، وروعة المثل الاعلى ...

أليست ثورة على الاوضاع القديمة كلها ...

فماذا كان الطابع المميز للاوضاع القديمة ؟!

كان شيئا واحدا ظاهرا .. الجهاد فى سبيل الحكم ، لا الجهاد فى سبيل المثل الاعلى ، أو فى سبيل الصالح العام ..

الاحزاب كانت هكذا ..

والهيئات كانت هكذا ..

والمستقلون والافراد كانوا هكذا ..

كل كان يسعى الى الحكم ، ليحقق به مصالح شخصية وحزبية .. وكل كان يجعل الصالح العام فى المرتبة الثانية على أقل تقدير ..

ولذلك أردنا أن نضرب للشعب مثلا جديدا ، أردنا أن نقدم له صورة جديدة يرى فيها وجوه أبنائه المخلصين ، لا وجوه حكامه المفسدين ..

اردنا أن نقول له ، لقد انجبت أفرادا يستطيعون أن يكافحوا فى سبيلك لا فى سبيل انفسهم .. وان يصلوا الى الحكم فى سبيلك لا فى سبيل انفسهم .. ولكنهم لايحكمون .. لا يحكمون لانهم ــ حقيقة ــ لم يعملوا فى سبيل الحكم ، ولكن عملوا فى سبيلك ــ ولك أنت وحدك بعد ذلك أن تحكم ، وان تختار ما يحكمون .

لم يكن احدا يترك الحكم مختارا .. فأردنا ان نتركه مختارين .. ان نتركه والشعب يدمى ايديه تصفيقا لنا ، ودفعا بنا الى مقاعد الحكم .. أن نتركه وقد حققنا الامنية الاولى لكل مصرى عاش فى خلال القرن الاخير .. أمنية الخلاص من حكم أسرة محمد على وملوك أسرة محمد على ..

اردنا أن نضرب مثـــلا للسياسيين .. مثلا يقنعهم بالدليـــل الواقعى القاطع ، بأن الوضع كله قد تغير .. تغير من اساسه الى الحد الذي أصبح الحاكم يترك الحكم فيه فى يوم نصره الكبير ..

اردنا ان نقول له ، لقد انجبت أفرادا يستطيعون أن يكافحوا فى سبيلك مطمعا ، مادام الحاكم لا يقصد به الا مصلحة الوطن ، وانـــــا لذلك نترك الحكم او نترفع عنه .. نأباه لانفسنا لاننا لا نريد أن نحكم ، وانما نريد لمصر أن تحكم حكما صالحا .. وأن تكون نحن بعض جنود هذا الحكم الصالح النزيه ..

واعتقدنا اننا اذا فعلنا ذلك ، فقد قضينا على كل أمل للسياســيين فى ان ينظروا الى الحكم كوسيلة للكسب أو الاثراء أو استغلال النفوذ .. فان وضع المثل الصالح أمام اعينهم كفيل بدفعهم الى احتذائه أو التمثيل به .

الخطأ الوحيد

وكم كنا طيبين بسطاء .. وكم كنا متفائلين .

لقد قدرنا كل شيء من أعمالنا العسكرية ، فأحسنا التقدير ولم نخطىء مرة واحدة ..

ولكننا قدرنا فى هذه المرة ، فأخفقنا الواقع .. وغلب فينا التفاؤل على ادراك حقيقة الواقع ..

عندما نصل الى الحديث عما تلا الثورة من الاحداث ، سيأتى تفصيل الامر كاملا .. وسيعرف الناس لماذا حكم على ماهر شهرا ، ولماذا تولينا الحكم ، وكيف أردنا أن نعيد البرلمان القديم ، وكيف قررنا اجراء الإنتخابات العامة فى فبراير ١٩٥٣ ، اى بعد ستة اشهر فقط من الثورة ..

كنا نريد أن نغلب الواقع الكريه على امره .. كنـــا نريد أن ننتصر على كل شيء حتى على خبث النفوس ..

ولكن أخيرا .. وضح لنا أن المستحيل له وجود .. وأن نابليـــون لم يكن على حق أبدا !!

ولكن هذا سنتركه اليوم .. نتركه كما تركناه يوم فكرنا فيه ، ثم لم نكد نستقر على رأى ، حتى أدرنا عيوننا وجهة اخرى .. بدأنا نعد للتنفيذ ، ونرقب الاحداث ..

يوم مجيد

وجاء يوم ٢٣ يوليو ، ليظهر لنا أشياء كثيرة .. ليظهر لنا ان تقديراتنا كانت صحيحة تماما .. وان الله كان يرقب حركتنا ، ويقدر لها معنا كل ما يكفل لها النجاح .. وأن الشعب كان كله فى انتظار القيادة التى تقوده الى النصر .. فينتصر ..

ولعلى لست مستطيعا ان اؤرخ تاريخ شاهد العيان للايام التى سبقت ٢٣ يوليو مباشرة .. فقد كنت اذ ذاك فى رفح .. وعندما وصلنى الامر من جمال بالعودة ، عدت مباشرة ، ولكنى لم أكن افطن أن الحركة مدبرة فى الليلة نفسها .. ولعل القراء يدهشون اذ أروى لهم انى جئت من السفر ، وتوجهت مباشرة الى احدى دور السينما .. فمـــا أن عدت فى منتصف الليل الى منزلى ، حتى وجدت اشارة التنفيذ ، فلم ألبث لحظة واحدة ، وانما مضيت من فورى الى القيادة .

وهناك أصبحت نكتة تروى ، ونادرة يتندر بها الاخوان ..

فما ان يسأل واحد منهم فى أى من اجتماعاتنا — حتى اليوم — أين انور ، حتى يجد من يجيب : فى السينما ..

ولذلك أقتصر على ما رأيته ، وما شاركت فيه قبيل الحركة واثناءها ..

تهديد نجيب

ولعل اخطر ما مر بنا قبيل الحركة ، كان المحاولة الاخيرة من القصر ؛ التى انتهت بقرار حل مجلس ادارة النادى ..

فقد أرسل القصر الى نجيب تهديدات كثيرة بنقله من القاهرة .. وكان مغزى هذا النقل ، هو اجباره على الاستقالة ، أو دفعه اليها .. كما وجد من رؤساء الوزارات من حاول ان يغريه بكرسى الوزير ، وكان علينا ان نحـافظ على بقائه ضابطا معنا ، بعد ان استقر رأينا على تكليفه بقيادة الثورة .

واجتمعنا فى تلك الايام ، وبحثنا الامر ، ثم توجه جمال الى نجيب ، وطلب منه الا يستقيل أبدا مهما هددوه ومهما صنعوا به ، وان يعمل على المحافظة

على نفسه ، وعلى مركزه فى الجيش ، بأى ثمن وبأية وسيلة . . وطلب منه طبعا فى حالة عرض الوزارة عليه أن يرفضها . .

ووافق نجيب على ذلك . . وفعلا لم يخضع لعوامل التهديد ، ولا لعوامل الاغراء ، ولم يقبل شيئا مطلقا . .

وكان لهذا الرفض طبعا عواقبه . . اذ ترتب عليه صدور القرار بحل مجلس ادارة النادى ، وان يقوم محمد نجيب بتسليم النادى لاخيه ، اللواء على نجيب . . على ان يتكون للنادى بعد ذلك مجلس ادارة مؤقت . .

وهذه طبعا كانت الشرارة المباشرة المؤذنة بالحركة . .

ذكريات

وفى يوم الحركة ، لكل منا ذكريات . . وذكريات

فى ذلك اليوم نفسه ، كان جمال وكمال الدين حسين — مثلا — لايزالان يقومان بالتدريس فى كلية أركان الحرب فعلا . . ولم يبد عليهما للضباط اى شىء . . رغم أن خطة تنفيذ الحركة نفسها ، كان مستقرة مطمئنة فى جيب سترة جمال . .

ويذكر كمال الدين حسين ، انه فى نفس يوم ٢٢ يوليو ظهرا ، كان يناقش بعض طلبة الكلية . . واخذ الطلبة يسألونه اسئلة ، واذا به يذكر ان هناك واجبا عليه ، اهم من مناقشة الطلبة ، والاجابة على اسئلتهم فى ذلك اليوم فاخذ يتهرب من اجاباتهم ، و « يكلفت » الشرح « كلفتة » ظاهرة ، وطلبته فى اندهاش . . لان الذين يعرفون كمال يعرفون مدى دقته واخلاصه لعمله وعنايته فيه بكل صغيرة وكبيرة . .

ولكن هؤلاء الطلاب ، رأوا كمال بعد الحركة لكى يحاسبوه على هذه « الكلفتة » التى لم تغب عنهم ، والتى لم يكونوا يدركون فى ظهر ذلك اليوم السبب فيها . . وكان يستغربون . .

ولا يكاد كمال يذكر هذه القصة ، حتى يذكر كيف خرج لاداء واجبه فى تلك الليلة . . وليس معه سلاح . . فهو يروى انه اتفق مع جمال على ان يزوده جمال ببعض الاسلحة ليخرج بها هو ورجاله . . وتأتى ساعة التنفيذ ، فيفاجأ كمال ، بأن جمالا لن يستطيع تزويده بالاسلحة لان المخزن الذى كان متفقا على اخذ السلاح منه كان مغلقا . .

وقال كمال الدين حسين .. توكلت على الله واخذ رجاله معه ، وليس معهم جميعا سوى طبنجة واحدة .. ومضوا الى سلاح المدفعية .. سلاح كمال .. ومن هناك اخذ كل ضابط سلاحه ، وخرجوا الى عمليتهم .. الى عمليتهم ..

ومثل هذه الذكريات يذكرها الآخرون ..

يذكر جمال سالم وصلاح سالم ذكريات من رفح ومن العريش ..

موقف رشـــاد

فقد كان جمـال فى العريش ، وكان صلاح فى رفح .. والى كليهما وكلت عمليات الثورة فى ذلك القطاع ..

وكان ادق مايواجههم هنـاك ، هو وجـود رشاد مهنا ، الذى كان بالعريش ، ولم يكن على علم بشىء عن الثورة حتى تم تنفيذها فعلا

وكان على جمال سالم أن يتولى هو قيادة العمليـة كـلها هنـاك .. برغم أنه طيار ، وان صلته ليست وثيقة بضباط الجيش بطبيعة الحال ..

ويذكر جمال سـالم انه طلب معونة رشاد مهنـا ، فرفض أن يذهب فى تلك الليلة ، رفض ان يذهب الى قيادة القوة او ان يظهر بأى صـورة من الصـور . .

ولقد كان رشاد مهنا فعلا مشكلة لنا .. فقد كان التشكيل قد قرر عدم تكليفه بأى عمل من أعمال الاحرار .. وكان رشاد نفسه متباعدا نائيا بنفسـه عن الشبهات ، ولكنه مع ذلك ، كان قد اقنع عددا كبيرا من ضباط المدفعية ، بأنه وراء كل اصلاح يجري فى داخل الجيش ، وكان قد كسب بذلك ثقتهـم .. ولك لم يكن سـهلا علينـا ان ننزع هـــذه الثقة ، لان ظروف الثورة نفسها لم تكن تحتمل مجادلات ، وكان هـذا يعني ان نحافظ على صلتنا برشاد ، ودية سليمة ، محافظة منـا على القوة التى كانت تؤمن به ، وتثق فيه ..

وجاء .. فى موكب

وعند مانجحت الثورة فى القاهرة ، اصدرت قيادتنا اوامرها الى رشاد بان يبقى فى العريش وان يقوم بقيادة الفرقة هناك ..

ولكن رشاد لم يخضع لهذا الامر .. بل عاد الى القاهرة فى يوم ٢٥ يوليه ، ودخل الى القيادة فى موكب من الضباط والحرس ، ثم سـافر الى

الاسكندرية ، ليحضر خروج الملك باعتباره مشتركا فى العملية وفى قيادتها ..

وأتقن رشاد دوره حتى ظن اكثر الضباط انه عمود كبير جدا من اعمدة الثورة ، وذهبوا يرددون ماكان يختلقه لنفسه من ادوار وهمية عظيمة ..

ولا شك ان هذا التصرف قد اثر فينا فى ذلك اليوم فالمهم هو أن تنجح الثورة فقط .

... اما جمال ، فقد دعا اليه رشاد ، وكلمه على انفراد ، ولامه كثيرا على هذا التصرف ، حتى اعتذر رشاد .. وبكى ...

وعيناه وصيا

وعند خروج الملك ، وبحث مسألة الوصاية قررنا تعيين رشاد مهنا وصيا على العرش .. وكانت اسباب هذا التعيين هى ؟ أولا تعيين احد الضباط وصيا على الا يكون هذا الضابط من أعضاء مجلس القيادة حتى تحتفظ بجماعتنا كاملة داخل المجلس .. وثانيا لان رشاد كان بطبعه يحب المظهر الكبير ، وكان هذا المنصب كفيلا بارضاء نزعاته ..

وفعلا ، عينا رشاد وزيرا للمواصلات تمهيدا لتعيينه وصيا ..

وذهب جمال سالم اليه ليبلغه بذلك .. فاذا به ــ أى رشاد ــ يبكى وينتحب .. ويقول وهو يشرق الدموع .. انا لا أستحق كل هذا .. انا منذ الان ، خادم المجلس .. وخادم الثورة ..

قال هذا .. ولكن ..

ولكن بينما كانت جماهير الشعب كله تهتف بحياة الثورة ، وبينما انطلقت اصواتها الجبسة تطالب بالاصلاح ، وتعلن عن فهمها لحقيقة الثورة الكبيرة ، وانها لا يمكن أن تكون مجرد عملية لاخراج فارق .. وبينما كان الكادحون يبثون آلامهم للقادة ، والقادة يعلنون آمالهم للشعب .. كان رشاد مهنا ، وطغمة الاقطاعيين والسياسيين ، قد بدأوا فى نفس الوقت يتآمرون على الثورة .. وعلى حقوق الشعب ..

لقد نجحت الثورة .. ولهم هم أن يكسبوا مغانمها .. اليس لكل شيء ناجح أرباح ، والم يكونوا هم وحدهم الذين يستولون على الارباح دون الشعب ؟ ..

وهذه قصة بدأنا بها المذكرات .. ولا باس من ان نختمها بها ايضا :

فهرس

كتب للجميع

كتب قيمة بقروش زهيدة

تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

مدير المجلة : السيد ابراهيم

رئيس التحرير : دكتور فائق الجوهري

سكرتير التحرير : مرزوق احمد

ثمن العدد :

مصر والسودان		٧٠ مليما
سوريا	بالطائرات	٧٥ قرشا سوريا
لبنان	«	٧٥ قرشا لبنانيا
العراق	«	٨٠ فلسا
الاردن	«	٨٠ فلسا
المملكة العربية السعودية	«	١٨ قرشاسعوديا

الاشتراكات :

القطر المصرى والسودان عن سنة « ١٢ عددا » ٧٠ قرشا
سوريا ولبنان بالطائرات ٨٠٠قرش سورى أو لبنانى
الاردن والعراق بالطائرات ٩٠٠ فلس

طريقة الدفع :

مصر والسودان : نقدا أو بموجب أذونات أو حوالات بريد أو شيكات
خارج القطر المصرى : حوالة مصرفية على أحد بنوك القاهرة

المكاتبات بعنوان ٥ شارع نجيب الريحانى ت ٧٩٦٤٧

الاعلانات : يتفق عليها مع شركة الاعلانات المصرية « ش.م.م » ـ شارع جلال بالقاهرة .

العدد ٨٤ نوفمبر ١٩٥٤


Bibliotheca Alexandrina
0426551